٧٧

شراب أهل الوصل

وسقاهم ربهم شرابا طهورا

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

قال الله تعالى:

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الانسان)

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

وشرابُ أهْلِ الوَصْلِ راحٌ قَدِسَت   مِن بَـاطِنِ القرْآنِ سِرٌّ كِتَابِ

الكتاب	شراب أهل الوصل
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	العاشر من رجب١٤٣٤هـ/ العشر ون من مايو ٢٠١٣م
رقم الكتاب	السابع والسبعون من الكتب المطبوعة
سلسلة	دراسات صوفية معاصرة
الداخلى	٢٥٦ صفحة *٨٠جم * ١٧ سم * ٢٤ سم* ١ لون
ورق غلاف	كوشيه مط ٣٠٠ جم ، ٤ لون، سلوفان مط ، بصمة بارزة
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، حدائق المعادى، القاهرة، ج م ع ، تليفون : ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٠٠٢٠، فاكس: ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٠٠٢٠
رقم الإيداع	٢٠١٣/١٠٧٩٨
الترقيم الدولى	ISNB: 978-977-90-0692-5
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يرعى عباده الصادقين بمودته، ويفرغ في قلوبهم خالص محبته، ويحفظهم من كل غيٍّ وضلال بالتوفيق للعمل بشريعته، ويثبتهم للسير على المنهاج القويم باتباع خير أحبته.

والصلاة والسلام على من جعله الله للأنبياء ختام، وللدين تمام، وللناس جميعاً يوم الدين إمام، سيدنا محمد وآله الكرام، وصحابته الأعلام، وكل من تبعهم على هذا الهدى وفاز برفقتهم في دار السلام، وعلينا معهم أجمعين ..... آمين.

وبعد

قد يجد الإنسان نفسه في حيرة شديدة إذا نظر إلى أحوال أصحاب رسول الله ﷺ، وكيف تجلت فيهم العبقرية في كل مجال سلكوه، وفي كل باب ولجوه، حتى أنك لا تجد في الوجود كله قديماً وحديثاً من يضاهي حُكامهم وأحكامهم في العدل والمساواة مع الرحمة والرقة والشفقة لجميع خلق الله، ولا من يماثل قادتهم في التدبير والتخطيط لخوض المعارك، والنجدة والشجاعة أثناءها، بل يقف العالم كله دهشاً حائراً وهو ينظر إلى القمم العالية منهم في القضاء، والتي عزَّ أن يكون لها نظير في السابقين أو المعاصرين أو اللاحقين.

وهكذا الأمر فيهم جميعاً في كل أحوالهم، فإذا نظرنا بعين فاحصة متلمسين أسباب ذلك، نجد أنها تنحصر في سبب جامع واحد هو التربية القرآنية النبوية.

فلقد كان لتربية النبي ﷺ لأصحابه الفضل الأكبر في تفجير طاقاتهم، وإظهار عبقرياتهم، وتفرد نبوغهم ؛ مع إكسابهم عظيم الخلال وجميل الصفات، فبرزوا بهذا الجمال الذي ليس له مثال.

ولو رجعنا إلى الصفحات المضيئة في تاريخنا، لوجدنا وراء ذلك كله التربية الإسلامية التي قام بها رجال تربوا على مائدة القرآن، واقتدوا في سلوكهم وكل أحوالهم بالنبي العدنان، وصحابته عليهم سحائب الرضوان.

بينما نجد المواقف التي يتخلى فيها النصر والعزة للمسلمين ترجع إلى تخلي المسلمين في هذا الوقت والآن عن التربية القرآنية، وانشغالهم بالكلية بالدنيا الدنية.

ولذا نستطيع أن نقول باطمئنان تام وثقة كاملة أن المسلمين المعاصرين رغم الصحوة الإسلامية الظاهرة في الشكل والمظهر، والفضائيات الدينية، والصحف والمجلات الإسلامية، وكثرة المعروض من الكتب الدينية، والتنظيمات الكثيرة التي تنتسب إلى الإسلام، فإن المسلمين الآن لن يعودوا إلى مجد السلف الصالح وعزتهم،

وتظهر مواهبهم، وتنفتق قدراتهم إلا إذا رجعوا إلى مناهج التربية النبوية، وطبقوها بما يتناسب مع حياتهم المعاصرة بدون شذوذ وتجاوز عن الحد أو تقصير؛ بذلك وبهذه التربية يستطيعون أن يكونوا جيل النصر المنشود.

والحق الذي لا مرية فيه، وباستقراء تاريخنا المجيد نصل إلى حقيقة ناصعة:

وهي أن رجالات الصوفية الصادقين هم وحدهم أصحاب المدارس التربوية القرآنية التي خرَّجت الأبطال في كل مجال على مدى الأجيال.

كيف كان ذلك؟ وما المناهج التي استخدموها ليتم لهم ذلك؟ وما طرق التدريس التي اتبعوها ليصلوا إلى ذلك؟.

ذلك ما تجد إجابته شافية ووافية في هذا الكتاب، والذي سميناه (شراب أهل الوصل) وإن كنا ألمحنا في ثنايا بعض كتبنا الأخرى إلى شيء مما يحويه، ككتابنا (طريق الصديقين)، وكتابنا (طريق المحبوبين وأذواقهم)، وكتابنا (منهاج الواصلين)، وكتابنا (الفتح العرفاني)، وكتابنا (العطايا الصمدانية للأصفياء)، وكتابنا (مراقي الصالحين)، وكتابنا (رسالة الصالحين)، وكتابنا (نسمات القرب)، وكتابنا (الولاية والأولياء)، وكتابنا (المجاهدة للصفاء والمشاهدة)، وكتابنا (علامات التوفيق لأهل التحقيق)، وكتابنا (سياحة العارفين)، وكتابنا (موازين الصادقين)، وكتابنا (النفس وصفها وتزكيتها)، وغيرها من الكتب التي تناولنا فيها هذا المنهج النبوي التربوي، والذي لا مخرج للمسلمين من كبوتهم المعاصرة، ونهوضهم وتقدمهم بين الأمم المعاصرة إلا به.وكان هذا الكتاب بفضل الله تعالى وحسن توفيقه... جامعاً لأبواب هذا المنهج النبوي العظيم.

أسأل الله ﷻ أن يجعله زيادة للعالمين، وتنبيهاً للساهين، وموقظاً للغافلين، ونجاحاً وفلاحاً لليقظين من أمة الإسلام أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فوزي محمد أبوزيد

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠ـ٤٠ـ٥٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت : : WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى : fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com، fawzyabuzeid@yahoo.com,

تمهيد

التربية الصوفية وأثرها في أمة الإسلام

سر نهوض الأمة

تفجير الطاقات البشرية

نور الدين زنكي

صلاح الدين الأيوبي

الفتوحات العثمانية

بلاد المغرب

أثر التربية الإيمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(٢٤٩البقرة)

تمهيد

التربية الصوفية وأثرها في أمة الإسلام[1]

من ينظر في أحوال المسلمين الآن على إختلاف دولهم وتنوع شعوبهم يجد غُمّة شديدة تُحيط بهم، احتار المحللون في توصيفها وذهب المفكرون كل مذهب في تفسير أسبابها، وأخذ الحكماء يتلمسون السُبل للخروج منها، واستعادة الأمة الإسلامية لمكانتها التي تليق بها، والتى وضعها فيها رب البرية ﷻ.

ويزيد العجب إذا نظرنا إلى أحوال سيدنا رسول الله ﷺ ومن حوله، وكيف حوَّلهم ﷺ من الأحوال الجاهلية إلى أحوال تجملوا بها مازالت موضع عجبٍ من كل البرية إلى يوم الدين، وأيضاً نجد الأمة كلما حاقت بها شديد الظلمات نجد لها وقفة تهب فيها من سُباتها، وتنفض غبار الكسل واللامبالاة من شبابها، وتـهُب فتستعيد أمجادها، حدث ذلك كثيراً، وأنتم تعلمون ذلك بمطالعة تاريخنا العظيم.

سر نهوض الأمة

ما سرّ نهوض الأمة في عصر النبي ﷺ وصحابته الأخيار؟ وما سرّ نهوض الأمة من كبوتها تارة في مواجهة المغول، وتارة في مواجهة الصليبيين، ومرة في ظهور الدولة العثمانية التي اجتاحت أوروبا كلها ناشرة لدين الله وهو الإسلام، وغيرها من المرات التي ظهرت فيها قوة الإرادة؟

[1] المعادى – الخميس ١٣ من جمادى الأولى ١٤٣٣هـ ٥/٤/٢٠١٢م

نظرتُ بفكرٍ ويقين في هذا الأمر فاستجليت صورة سيد الأولين والآخرين ﷺ، فوجدت الأمر الجامع لشتات الأمة، وبزوغ أنوارها، وإظهار فتوة وبطولة شبابها، وانتصارها على أعدائها، وتحطيمها لكل من يريد كيدها، لا يحدث إلا على أيدي رجال تربَّوا على منهج الحبيب ﷺ.

فالأمر الفصل هو في التربية اليقينية التي رسَّخ بذورها، ووضع أحكامها ومبادئها سيدنا رسول الله ﷺ، ومن بعده ساروا على هديه في ذلك .. هذه التربية التي بدأها ﷺ مع صحبه الأجلة وتدور أولاً على القيم، القيم الإيمانية والمكارم الأخلاقية التي أثنى عليها الله، والتى امتدحها في كتابه ﷻ والتى كان عليها في سلوكه وفعاله وكل أحواله سيدنا رسول الله ﷺ، لاتعتمد على المال، ولا تعتمد على قوة التكنولوجيا، ولا تعتمد على خيرات الأرض، ولاتعتمد على قوة العدد، ولا تعتمد على صلابة الأجسام، ولا تعتمد على قوة الأعداد، ولكن تعتمد على صلابة النفس في التخلق بأخلاق الله، والتمسك بالقيم التي جاءت في كتاب الله، والتشبه في كل الأحوال بسيدنا رسول الله ﷺ في أخلاقه وقيمه.

وأهمها وأبرزها الوصول إلى درجة اليقين الذي يصحبه الزهد في الدنيا، والعمل لإرضاء رب العالمين ﷻ، فإن المسلمين ما أُخذوا ولا غُلبوا في زمان من الأزمنة إلا بالتنافس في الدنيا، والتحلل والتفسخ من الأخلاق الكريمة التي جاء بها الله، والقيم التي أتانا بها سيدنا رسول الله ﷺ.

كان القائد يُرسل لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو في ميدان القتال طالبا المدد، فعلى سبيل المثال أرسل له سيدنا سعد بن أبي وقاصٍ في موقعة القادسية في بلاد العراق يطلب المدد، فأرسل إليه رجلٌ واحد وقال له في رسالة مرفقة: (أرسلت إليك المقداد بن عمرو ولن يُغلب جيشٌ فيه المقداد بن عمرو) وصدقت فراسته، فإن العدو تناوش الجيش وهمَّ بعض أفراد الجيش بالتخاذل والرجوع للخلف، فصاح المقداد وهجم بمفرده على الجيش المتقدم من الفرس وتحمَّس لخروجه نفرٌ من المسلمين وكان ذاك سبب النصر، يقول في ذلك الإمام محى الدين بن عربى ﷺ: (لو ظهرت روح أبو بكرٍ الصديق ﷺ، لهزمت جيشاً بأكمله) ليست العبرة بالجسم وقوة الجسم ولكن العبرة في الروح التي تسكن هذا الجسم، يقول في ذلك الإمام الشافعى ﷺ:

علىّ ثيابٌ لو يُباع جميعها بفلسٍ		كان الفلـس منهـــن أكثـــرا
وبينهما نفسٌ لو يُقاس ببعضها		نفوس الورى كانت أعزّ وأكبرا
وماضرَّ نصلَ السيف إخلاقُ غمده		إذا كان عضباً حيث وجهته فرى

ليس المهم الزّى، ولا المهم في المظهر!!

ولكن المهم من يسكن في هذا المظهر الذي فيه اليقين، وفيه التمكين، وفيه صدق الإيمان، وفيه صلابة العقيدة التي تلقاها من حضرة النبي، أو من ينوب عنه صلوات الله وتسليماته عليه.

وحاصر عمرو بن العاص حصن بابليون في مصر، وطال الحصار، وعلم أن الروم جاءهم مدد وبلغ عددهم مائة وعشرين ألف مقاتل، وكان جملة ما معه من جنود المسلمين أربعة آلاف، فأرسل إلى عمر بن الخطاب ﷺ يطلب المدد، فأرسل إليه عمر ﷺ أربعة آلاف جندى، ومعهم أربعة رجال، وأرسل مع الجيش رسالة قال فيها: (أرسلت إليك أربعة آلاف جندى، وأربعة رجال هم: الزبير بن العوام و مسلمة بن مخلد و عبادة بن الصامت و المقداد بن الأسود، وكل رجل منهم بألف فيكون جيشك إثنى عشر ألفا، ولا يُهزم جيش من إثنى عشر ألف مقاتل)،(أخرجه أحمد عن ابن عباس) فالرجل بألف، هذا المعنى مُقتبسٌ من قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (١٢٠النحل)

رجلٌ واحد ولكن يساوى أمة، ليس في مظهره ولا قوته البدنية، ولكن في جوهره وخبره وقوته الروحانية وصلابته القلبية، ونفسه القدسية التي غُذِّيت بما عند الله ﷻ من اليقين.

ربَّىَ النبي ﷺ أصحابه الأجلاء على هذا، ففجَّر فيهم هذه الطاقات الربانية التي استودعها فيهم رب البرية، وكل إنسان فيه طاقات لايعلمها إلا الكريم الخلاق، لكن أغلب الخلق يتكاسل ويتخاذل ويظل حتى يأتيه الموت ولم يستغل عُشر معشار ما فيه من طاقات أودعها فيه الخلاق ﷻ، وهى موجودة فيه ويسلمها كما هي لله ﷻ.

تفجير الطاقات البشرية

فالداعي صاحب البصيرة هو الذي يُفجر هذه الطاقات حتى صار الرجل العادى من أصحابه بعشر:

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ (٦٥الأنفال)

وهذا كان حال جند المسلمين الذين رباهم سيد الأولين والآخرين ﷺ، ولذلك عندما تنظر في معاركهم تجد محققاً فيهم قول الله ﷻ: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (٢٤٩البقرة) في كل المعارك بهذه الشاكلة، وعندك التاريخ ابحث فيه واسترشد، لم يقاتلوا لمغنم، ولم يجاهدوا لدنيا، ولم يطلبوا بجهادهم مصالح عاجلة أو شهوات فانية، ولم يجاهدوا طلباً للزعامة، ولا منافسة في الرياسة، ولا نظراً للفخر والمباهة والرياء ... وإنما أدَّبهم على الإخلاص في قصدهم في كل أحوالهم وفى جهادهم، وهذا ما نفتقر إليه الآن جماعة المسلمين في كل مكان.

الكل ينافس لمنصب، أو لمصلحة، أو لمنفعة، أو للفخر، أو للرياء والسمعة والشهرة، لكن لو كان الكل يتنافس لله، هل سيحدث اختلاف بين الفرقاء؟! إذن لماذا الإختلاف؟ لتنوع المقاصد ولإختلاف المآرب، لكن لو كان مقصد الكل رب الكل ﷻ، لماذا نختلف؟!

ما اختلاف النفوس والقصد واحد		والصـراط السـوي للمتواجـد

ولذا كنت ترى خليفة الأمة يرى أن القائد العام يترك منصبه ويتحوَّل إلى جندي، ولا يتأثر القائد ولا يتغير ولا يفتر ولا يترك الجهاد ويذهب إلى منزله معترضاً على هذا التصرف، بل إن خالد بن الوليد ﵁ عندما كان في رتبة ـ أعلى من المشير الآن ـ لأن الرتب العسكرية العليا ينبغى أن تكون بعدد المعارك العسكرية التي خاضها، لايوجد في التاريخ قائداً خاض أكثر من مائة معركة وانتصر فيها كلها، ومع ذلك جاءه خطاب العزل وهو في معمعة القتال، وماذا يعني العزل؟ أن يكون جندياً وليس يُعفى من الخدمة، ورضى، وجاءه رجلٌ من المنافقين قال: يا خالد أترضى بهذا وأنت في هذا الذي نراه؟! إن معي مائة ألف سيف يقفوا معك، ولا تنفذ هذا الأمر وخالفه، قال: بئس ماأمرتني وطلبته مني يا أخي، أنا أجاهد لله وما دمت أجاهد لله لا يهمني أن أكون قائداً أو جندياً!!.

نحن في أمسِّ الحاجة إلى نفوس تربت هذه التربية، وهي التي يحتاج إليها المجتمع المسلم لينهض من كبوته، وليعيد مجد الأمة مرة أخرى، ولا يتم ذلك إلا بالتربية، هل يتم ذلك بالقراءة؟ هل يتم ذلك بالخطب والمواعظ؟ لا يتم ذلك إلا بالتربية النبوية التي قال فيها الله:

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ (١٥١البقرة).

لو بحثنا بعد ذلك في تاريخنا المبارك لوجدنا هؤلاء الرجال هم الذين قادوا الفتوحات الإسلامية، إبتغاء وجه الله، انظر إلى عقبة بن نافع عندما وصل إلى المحيط الأطلسي، وخاض البحر بفرسه وقال: (والله لو أني أعلم أن هناك أرضاً خلف هذا البحر، لخُضت هذا البحر إليها لأجاهد في سبيل الله ﷻ) لا ليكون مليونيراً ولا ليجمع ثروات، ولا ليتولى قيادة أو ليتبوأ منصباً وإنما كل ما يريده كما قال الله:﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) ... لا يريد إلا وجه الله جلّ في عُلاه.

انظر إلى أبي أيوب الأنصاري ﷺ وقد بلغ من العمر أرذله كما يقولون، ولكنهم كانوا يحنون إلى الجهاد كما تحن الطيور إلى أوكارها في المساء، وسمع أن معاوية جهَّز جيشاً لغزو القسطنطينية فذهب ليجاهد مع هذا الجيش، وهناك في وسط الميدان مرض، فجاءه قائد الجيش يزيد بن معاوية وقال: أتشتهى شيئاً يا صاحب ضيافة رسول الله؟ لأنه أضاف رسول الله عند الهجرة، قال: نعم، إذا أنا متُ فاحملني واخترق صفوف الأعداء وآخر ما تصل إليه من الأرض فادفني هناك، انظر إلى الوصية للرجل التي يوصي بها عند لقاء الله ﷻ، ونفذ له الوصية بعد موته، فحمله الجند واخترقوا صفوف الأعداء وآخر مكان وصلوا فيه إلى الأرض حفروا فيه ودفنوه هناك، وهذا المكان بجوار سور القسطنطينية، ومازال في ضريحه المبارك ومسجده الزاهي إلى الآن يزدهى به أهل هذه البقاع جميعها.

والأمثلة في هذا المجال لا تُعد ولا تُحد، لكن ما أبغي أن أصل إليه، عندما ضعُفت روح اليقين، أو كلما ضعُف اليقين وتنافس المسلمون في الدنيا وفى الحظوظ والشهوات والأهواء ضعُفت عندهم روح الجهاد، وخبت عندهم القيم الإيمانية، فمكَّن الله ﷻ عدوّهُم منهم، ولا مخرج لهم في هذه الأحوال إلا بالرجوع إلى التربية الأولى التي كان عليها رسول الله ﷺ مع صحبه الكرام.

نور الدين زنكي

لِمَ انتصر صلاح الدين الأيوبى في حطين وقبله نور الدين زنكى الذي كان صلاح الدين قائداً من قادة جنده في معاركه مع الصليبيين؟ لأن في هذه الفترة ظهر كثيرٌ من الشيوخ المُربين، الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عدىّ بن المسافر، وغيرهم من المشايخ في نواحي الأكراد وبلاد العراق، وكان أسُ جند نور الدين زنكى وصلاح الدين من هؤلاء الرجال الذين تربوا هذه التربية، وكانوا هم أيضا على نفس النسق، ونور الدين زنكى ـ مع أنه كان حاكم بلاد الموصل وبلاد الشام ـ لم يكن يمتلك قصراً، وكان يسكن في القلعة التي يحكم منها، وكان لا يزيد في نفقاته على أفقر رجل في دولته، ويأخذ نفقاته من ثلاثة دكاكين اشتراهم من غنيمته في حمص يأكل من ريعهم، ويصنع له صنعة، يصنع بعض الحرف البسيطة ويعطيها لرجل عجوز يبيعها له سِرا ليستكمل نفقته.

ولما ضجَّت زوجته وطلبت من أخيها أن يذهب إليه ليزيد في نفقاتها، قال : هذا المال ليس ملكي، وإنما مال المسلمين، أأعطيها من مال المسلمين وأترك الفقراء والمساكين؟! ولكن لي ثلاثة دكاكين اشتريتها من سهمي في الغنيمة في حمص وهبتها لها وليس لها شيئاً غير ذلك عندي.

وكان على صلة بالله وبحبيب الله ومصطفاه، ولذلك حدث في عصره أن رجلاً أوروبياً أرسله الأوروبيون وزوَّدوه بكل ما يحتاج إليه من المال ليستخرج لهم جسد النبي ﷺ ويذهب به إليهم، وذهب الرجل وتظاهر بالإسلام،

وسكن في المدينة، وأخذ يُوزع على الناس أموالاً بغير حساب، حتى حسبوه من المُحسنين والمُتصدقين والمُنفقين، واشترى داراً قريبة من المسجد النبوي ومن الحجرة الشريفة، وكان يحفر بالليل في الأرض ثم يحمل التراب في كيس ويذهب به زاعماً أنه يزور البقيع ويُلقي فيه هذا التراب، ولما اقترب من الحجرة الشريفة إذا برسول الله ﷺ يذهب إلى نور الدين زنكي ويقول له: يا نور الدين أغثني من هذا الرجل، وأراه صورة الرجل وهيئته، لم يذهب إلى حاكم الحجاز أو حاكم اليمن، وكان هذا لصلاحه، فذهب إلى المدينة فوراً ومعه أموالاً كثيرة، وأراد أن يعرف الرجل فدعى كل أهل المدينة ليوزع عليهم العطاء، وكل من جاءه أعطاه كيساً فيه نقود، والرجل لم يأتي، فقال: ألم يبقى أحداً؟ قالوا: لم يبق إلا رجلاً من المحسنين المُنفقين المتصدقين، قال: أريد أن أراه، قالوا: إنه لم يأتي، قال: اذهبوا بي إلى بيته، فلما رآه عرف أنه هو الرجل الذي رآه في المنام، وكان الرجل يضع على ظاهر الحفرة حصيراً ليغطيها، فأدرك ببصيرته أن هذا هو المكان، فقال له: ارفع هذا الحصير، فوجد الحفرة، فقتله وذهب إلى ضريح حجرة النبي ﷺ وحفر حوله وحصَّنه بالرصاص حتى لا يستطيع أحدٌ أن يصل إليه ولا أن يقترب منه.

صلاح الدين الأيوبي

كل هذا سُقته لأعرفكم بصلاح هؤلاء الذين قادوا العباد والبلاد في وسط هذه المهالك، فحقق الله ﷻ على أيديهم النصر، هذا الرجل كان أحد قادته صلاح الدين الأيوبي، وصلاح الدين يحكي التاريخ عنه أنه لم تجب عليه الزكاة يوماً في ماله لكثرة إنفاقه وهو في هذا المنصب.

ففى معركة عكّا جهّز الجيش بإحدى عشر ألف فرس على نفقته الخاصة، فكانت النتيجة أن الناس على دين ملوكهم، أتباع نور الدين والمحيطين بصلاح الدين كانوا يتنافسون في هذا الخير وفى هذا العمل، وكان صلاح الدين مع انشغاله بأمور دولته وأمور المسلمين لا يترك قيام الليل، وجعل قيام الليل طابوراً ألزم به جيشه وقواته، وكان يُرسل من يفتش عليهم في وقت السحر ليرى ما يصنعون، ليتحقق النصر: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (٧محمد) إذن ما الذي يحقق النصر؟ التربية الإسلامية، واليقين والزهد في الدنيا والأهواء والشهوات.

الفتوحات العثمانية

مثالٌ آخر: كيف حققت الدولة العثمانية كل الفتوحات حتى اكتسحت دول أوروبا والدول الغربية في طرفة عين؟ جاءوا بصبيان وأدخلوهم في مدارس دينية عسكرية، وكان أيضاً من هؤلاء الصبيان كثير من النصارى وليسوا مسلمين، فأسلموا وتعلموا الدين وتعلموا العسكرية وربوهم على الفدائية والرغبة فيما عند الله والزهد في الدنيا، ما اسمهم؟ الإنكشارية .. أليس هؤلاء هم الجيش الذي حقق هذا النصر كله؟! هل حقق ذلك بخبرته العسكرية فقط أم بتربيته أيضاً؟ بالتربية التي تربى عليها، وهذه التربية هي التي حققت هذا الفتح، حتى وصلوا إلى فيينا في النمسا الآن، واكتسحوا كل الدول الأوروبية، ومن الجهة الأخرى وصلوا إلى شاطئ المحيط الأطلسي، واكتسحوا كل الدول العربية ... بماذا؟ بهذه الروح التي تربوا عليها التربية الإيمانية.

وكان السلطان العثماني أيضاً من أهل هذه التربية، فلذلك أول ما دخل الشام سأل: أين قبر مُحيى الدين؟ وكانوا قد قالوا قبل ذلك: (إذا دخل السين في الشين ظهر قبر محي الدين) فظهر أن السين هي السلطان سليم، والشين هي بلاد الشام، فلما دخل السلطان سليم أحيا قبر محيى الدين لعقيدته في الصالحين، وهو الذي أسسه وبناه وجعله على هيئته التي عليها الآن.

وكان حريصاً على أن يحظى بمفتاح الحرمين، وهو أول من سمّى نفسه بخادم الحرمين، لأن هذا كان مناه وهو شرفه العالى وهو أن يكون في خدمة الحرمين الشريفين.

مثالٌ آخر: قال ﷺ:

{ لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ } ٢

حاول المسلمون أن يفتحوا القسطنطينية فلا يستطيعون، إلى أن جاء السلطان محمد الفاتح، وكان السلطان محمد الفاتح يتربَّى تربية روحية على يد رجلٍ من الصالحين إسمه باللغة التركية (آق سُنجُر) وكان رجلاً من أهل الكشف، حاصر السلطان محمد القسطنطينية، وكان لا يفعل شيئاً إلا إذا استأذن شيخه، فقال لشيخه: أأبدأ في فتح القسطنطينية؟ فيقول له: انتظر، حتى جاء في يوم وقال له: ابدأ اليوم فقد رأيت رسول الله ﷺ أتى وعبر إلى الجانب الذي فيه الروم، فأبشر قد أتى النصر، فأمر الجند بالهجوم، فنظروا فوجدوا باباً في الحصن تُرك صدفة ولا يعلمون من فتحه، فدخلوا منه وفتحوا باب الحصن، وكان سبباً في النصر، ما السبب؟ هذه التربية الربانية التي كانوا عليها.

٢ الحاكم في المستدرك، ومسند الإمام أحمد عن بشر الغنوي ﷺ

حتى آخر سلاطين العثمانيين وهو السلطان عبد الحميد، وكان له شيخاً من بلاد الشام، وأرسل إلى شيخه رسالة - وهى موجودة إلى الآن يذكر فيها سبب زوال خلافة العثمانيين - قال له: جاءني اليهود وعرضوا علي كذا وكذا على أن أسمح لهم بإقامة دولة لهم في فلسطين، فقلت لهم: هل أبيع مجد آبائي وأجدادي بهذا المال؟! لا يكون ذلك أبداً، فدبروا مؤامرة للقضاء عليه، ولذلك الذي قضى عليه هو مصطفى كمال أتاتورك حيث كان من يهود الدُونمة.

بلاد المغرب

فإذا نظرت إلى التاريخ تجد هذا كله، انظر إلى بلاد المغرب، وفى بلاد المشرق، تجد أن الدول التي كان لها صولة وجولة في ردّ أعداء الإسلام وخدمة المسلمين، وأعظمها دولة المرابطين ودولة الموحّدين، دولة المرابطين أصلها كان رجلاً من الصالحين وكان إسمه عبد الله يس، وكان يسكن في جزيرة، واجتمع عليه كثير من المُريدين ورباهم على الروح الإسلامية والقيم القرآنية، فلما زاد عددهم كلفهم بالجهاد، وكان في هذا الوقت الفرنجة في بلاد الأندلس اكتسحوا جزءاً كبيراً من بلاد المسلمين نظراً لميل المسلمين الحاكمين إلى اللهو والغناء والطرف

وترك الجهاد، حتى أن آخر خليفة منهم، وهو يوسف الأحمر، لما دخلوا غرناطة بكى، فقالت له أمه : أتبكي كما تبكي النساء على مجدٍ أضعته بين الغوانى!! فذهب المرابطين وكانوا من أقوى الجيوش في العالم، وأدَّبوا الفرنجة ووصلوا إلى حدود فرنسا وكادوا يجتازوا الحدود ويدخلون فرنسا، واتجهوا في الجنوب ونشروا الإسلام في موريتانيا والسنغال ومالي والنيجر ونيجيريا، ولذلك هذا الحزام الصحراوي كله مسلمون، بسبب هؤلاء.

وجاءت بعدهم أيضا دولة الموحدين وكانت على نفس الشاكلة، فهؤلاء مرابطين لأنهم مرابطون، وهؤلاء موحدين لأنهم رسالتهم نشر توحيد الله جلّ في علاه.

أثر التربية الإيمانية

إذن عندما ننظر في التاريخ كله نجد أنه لا تقوم قائمة لهذه الأمة ويعلو شأنها في كل زمان ومكان إلا بالتربية التي كان عليها الحبيب وأصحابه، وأول علامة كانوا يتربون عليها الزهد في الدنيا، وطلب ماعند الله، وأن يصدق الإنسان في كل أقواله ولا يكذب أبداً لا لاعباً ولا لاهياً، وكذلك الأمانة في كل أمر من الأمور وفى كل شأن من الشئون، والعمل وفق شرع الله، والمتابعة لحبيب الله ومصطفاه صلوات ربى وتسليماته عليه، وغيرها من المبادئ القرآنية والقيم الإيمانية، وهذه الأمور لا تتم إلا على أيدي رجال ورثوا قول الله: (١٠٨يوسف)

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾

هؤلاء الرجال المربّين إذا وُجدوا والتفّ حولهم طلاب الحقيقة العلية نجت الأمة من الفتن وظهرت في الأمة الطاقات الموجودة من الكريم الخلاق المتوارية في الأجسام وانتشر دين الله ﷻ .

هذا الأمر كان عليه الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان في بداية دعوته، ومن حوله، ولذلك الشيخ سعيد حوّى وكان من علمائهم كتب كتاباً إسمه (تربيتنا الروحية) فكان يقول: لابد من التربية ..لكن أين هي التربية الآن؟ وهذا هو الفيصل، لو وُجدت التربية فلن تجد تنافساً في الفاني ولا رغبة في شيء داني، وإنما الكل يسارع في مصلحة الكل، يفنى عن الأنانية والأثرة ومصلحته الشخصية في سبيل المصلحة العامة التي يرجوها في هذه الأمة وفى هذا الوطن الذي نعيش عليه.

ولذلك أنا أرى كما رأيتم الآن أننا لا مخرج لنا مما نحن فيه الآن إلا رجالاً بهذه الكيفية تجردوا من المطامع والأهواء الشخصية والنزوات الفردية والرغبة في المظاهر الكاذبة وأصبحوا لا يريدون إلا وجه الله.

وأنتم رأيتم أمثلة حتى في زماننا هذا: الرجل الذي رأى الأمور تنحدر في السودان وهو سوار الذهب، فقام بإنقلاب ليُعيد الأمور الى مجاريها، وأجرى الإنتخابات ثم سلم السلطة للرئيس المنتخب وانسحب من الميدان، لماذا؟ لأنه تربى تربية صوفية. هل لو تربّى رجلٌ في المدارس المدنية أوالمدن الأوروبية يكون بهذه الكيفية؟ لا إنه يريد أن يجلس على الكرسي مدى الحياة، وكل من حوله يعظمه ويبجله ويكبره، لكن التربية الصوفية هي التربية النبوية، أو التربية الإسلامية وهى المخرج للأمة في كل هذه الأمور.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلمّ

الباب الأول ميراث النور الإلهي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الأول: ميراث رسول الله ﷺ

Ø فضل الله على أهل المحبة Ø عطاء المحبوبين Ø

Ø علم الإلهام Ø موسى والعبد Ø ورثة النور Ø سر الوراثة Ø

Ø هدى الأئمة الوارثين Ø

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الثانى: الوصول إلى فضل الله

Ø المحب والمحبوب Ø سر الإرتقاء Ø علوم الحقيقة Ø

Ø وجوه يومئذ ناضرة Ø بين الشريعة والحقيقة Ø

Ø الصوفية والإنتخابات Ø

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الثالث: منهج أهل التحقيق

Ø آفات النفس Ø التعرض لفضل الله Ø موانع العطاء Ø
Ø الإخلاص Ø العبودية لله Ø

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الرابع: الولي المرشد

Øعلامات الشيخ المربي Ø التزكية والتصفية Ø سرج الدنيا Ø
Ø الحي القائم Ø

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الخامس: روشتة المرشد

Øشفاء القرآن للقلوب Ø السراج المنير Ø الشورى الإسلامية Ø

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الباب الأول

ميراث النور الإلهي

الوصل الأول: ميراث رسول الله ﷺ[3]

نحن والحمد لله جميعاً أحباب الله ورسوله، والمحبين إن شئت قلت قسمين، وإن شئت قلت فريقين، وإن شئت قلت فئتين، وإن شئت قلت طائفتين، طائفة وقفت على المحبة ولم تبذل ما يعبر عن هذه المحبة لترتقى وتكون مع الأحبة، والذين وقفوا مع المحبة هنيئاً لهم وبشرى لهم، والحبيب ﷺ بيَّن ذلك لنا ولهم لما سأله الصحابي ا وقال:

{ مَتَى السَّاعَةُ ؟، قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لا شَيْءَ إِلا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ } ٤

إذن يوم القيامة يكون الإنسان مع من يحب، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه:

{ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ،قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ } ٥.

---

٣ بورسعيد – مسجد الغفران - الخميس ٢٦ من محرم ١٤٣٣ هـ ٢٠١١/١٢/٢٢م
٤ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أنس رضي الله عنه
٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أنس رضي الله عنه

فضل الله على أهل المحبة

والمحب له فضل عظيم لأن الله يعامله بكرمه ويتفضل عليه بجوده، فلا يعامله بالميزان ولا بالقسطاس المستقيم، ولا كما نسمع بالنقير والقطمير والصغير والكبير، إنما أهل المحبة ميزان معاملتهم عند ربهم قول الله ﷻ في قرآنه الكريم: (١٦الأحقاف)

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾

يعني بعبارة أخرى يتغاضى الكريم عن سيئاتهم، ويستر عسراتهم وهفواتهم، ويضاعف ويزيد من حسناتهم وصالحاتهم، هذه المعاملة الكريمة تكون للمحببين.

فاز المحبون بشرف الدنيا وسعادة الآخرة، لأن المحبة أعلى قدراً عند الله ﷻ لمن أراد أن يكون مع الأحبة، والمحبون يزيد الله ﷻ في إكرامهم فيُشَفع بعضهم في بعض، كما نسمع دائماً (الناجي يأخذ بيد أخيه) قال ﷺ:

{ إذا تآخى اثنان في الله فإن الله يأمر بأحدهما إلى الجنة، فيقول: يارب أين أخي فلان؟ فيقول رب العزة ﷻ: إنه لم يعمل بمثل عملك، فيقول: يارب إنى كنت أعمل لي وله، فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة } ٦

٦ ورد في كتاب (قوت القلوب) وفي "تعريف الأحياء بفضـــائل الإحياء" بكتاب عوارف المعارف ج٥، ص ١٩٨.

إذا كان الكلب الذي مشى وراء أهل الكهف حباً في مسيرتهم وهديهم، فأجرى الله ﷻ عليه ما أجراه عليهم، أماتهم الله الموتة الصغرى - وهي النوم - في الكهف، والكلب وقف على باب الكهف: ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ ﴾ (١٨الكهف)

والوصيد أي الفناء، فألقى الله عليه النوم مثلهم، ويُدخلهم الله ﷻ الجنة فيُكرم الكلب الذي معهم ويدخل الجنة، مع أنه لم يصلي ولم يصم ولم يفعل الصالحات التي كانوا يقدمونها لله، لكنه مشى خلفهم:

لقد فاز كــلبٌ بحــبِّ آل كهف فكيف لا أفوز بحبِّ آل النبي

إذا كان الكلب الذي مشى خلف أهل الكهف حشره الله معهم، فما بالك بمن يحب آل البيت والصالحين أين يكون؟ معهم إن شاء الله،وهذا كلام الله ﷻ .. وليس هذا كلامنا نحن!.

يكفي أن الذي يجلس معهم ولو كان ليس منهم، ولو كان جالساً مشغولاً عنهم، ولو كان جالساً لمصلحة يرجوها منهم، ما دام جلس معهم، ماذا يقول رب العزة للصحفيين الإلهيين الذين يحضرون هذه المجالس ويصورورها، ويطلع عليها الملأ الأعلى، فيقول الله كما ورد في الحديث الطويل: ماذا يطلبون وممَّ يخافون؟ وفى نهاية الحديث يقول الله للملائكة:

{ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فيَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }٧

من يجلس معهم ليس له في الشقاء، ولكنه يُصبح من أهل السعادة، إذن مجالسهم مَن الذي يجلس فيها؟ وما جزاءه؟ ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (١٠٨هود) لم يقل الله (فسيدخلون الجنة) وإنما قال: ﴿ فَفِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ أى أن هذه المجالس هي الجنة، وهذا ليس كلامي وإنما كلام رب العزة ﷻ، وصَّى رسول الله ﷺ الخلق جميعاً فقال:

٧ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ }[8]

هذه المجالس في الدنيا، والذي يجلس معهم فقد جلس في الجنة، ويأخذ وسام السعادة الأزلية من رب البرية: { هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }.

عطاء المحبوبين

هذه الأمور لا أستطيع أن أفصلها من أبواب العطاء، وسُبل الخير، والمواهب الإلهية التي ادخرها الله ﷻ للمحبين، ونحن إن شاء الله جميعاً من المحبين، لكن نحن لا نريد أن نقف عند هذه المرتبة، ونريد أن نكون من الطائفة الأرقى والفئة الأعلى، من الطائفة الأدنى في القرب من رب البرية، وأعلى في المعية في حضرة النبي ﷺ البهية، وهؤلاء كان يُكشف عنهم الغطاء ويفوزوا بكريم الفضل والجزاء والعطاء من الله ﷻ وهم في الدنيا قبل الآخرة، لأن ما في الآخرة لا يستطيع أحد وصفه ولا عدَّه، لكن جزاءهم في الدنيا قبل الآخرة.

فارق كبير بين الذي يعمل عند رجل أعمال ويأخذ أجره وجزاءه ومكافآته وهى جزيلة، وبين الذي يرث ويصبح له نصيب في تركة رجل الأعمال، هل يستويان؟! لا، وكذلك الأمر، فحضرة النبي ﷺ نبهنا وقال في حديثه العظيم:

---

8 سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه

{ نَحْنُ مَعَاشِرُ الأنَبِيَاء، لا نُوَرِّثُ دِرْهَمَاً وَ لادِينَاراً ، وإنمَا نُوَرِّثُ عِلْمَاً وَ نُوَرا } ٩

ومادام العلم ميراث من رسول الله، فهل سيكون هو العلم المكتوب في الكتب؟! هذا العلم الكل يقرأه والكل يُحصِّله، حتى المستشرقين وهم كافرون يحصلونه أكثر منا.

علم الإلهام

ولكن هذا العلم: ﴿ وَعَلَّمۡنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ (٦٥الكهف) أى من غير واسطة، لأن

هناك علم يُنال بالوسائط، وعلم يُنال بالهبات الذاتية بغير وسائط، وهذا لمن كشفوا عنه النقاب، ورفعوا عنه الحجاب، وألبسوه حلة الأحباب، وجعلوه يتمتع بوجه الحبيب ﷺ ويكرع من شرابه بلا حجاب، وهذا الكلام موجود ومشهود إلى أن تنتهي الدنيا، ومن قال أنه غير موجود فقد حكم على نفسه بالجحود، لأن هذا الكلام أثبته الرب المعبود في القرآن، كيف ينفيه إنسان بعقله الكاسد؟! هل لأنك لم تذقه أو تحصِّله، هل هذا معناه أنه غير موجود أو مفقود؟ لا إنه موجود، ولكنك لم تصل إلى درجة تحصيله، ولم تصل إلى المنزلة التي جعلها الله ﷻ لأهل توصيله، لأنها منزلة عظيمة:

---

٩ سنن أبي داود عن أبي الدرداء ﷺ.

﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا ﴾ أولاً ثم: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ (٦٥الكهف).

وهذا مقياس أعطاه الله لكل مسلم، فمن ادَّعى علم الإلهام، ومن ادَّعى أنه يتلقى العلم من الملك العلام نزنه بالرحمة التي في قلبه للأنام، إن كان فظاً غليظ القلب فماله ومال هذا العلم، لأن شرط العلم الرحمة ثم العلم، لأنه سيرث من الرحمة المهداة، ويكون له نصيب من عطاء الله لحبيبه ومصطفاه أولاً في قول الله:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧الأنبياء).

بعد أن يأخذ نصيبه من هذه الرحمة يتفضل الله ﷻ عليه بالحفظ كما تفضل على الأنبياء بالعصمة، فالأنبياء لهم العصمة والأولياء لهم الحفظ، ثم يُفيض الله عليه العلم المكنون، وقد حفظه فلا يُخرجه لمن عنده ظنون، أو لمن عنده بهتان، أو لمن هو بعيد عن حضرة الرحمن، وإنما يضع العلم في موضعه الذي كلَّفه به وأمره به الرحمن ﷻ.

{ لا نُوَرِّثُ دِرْهَمَاً وَ لادِينَاراً ، وإنمَا نُوَرِّثُ عِلْمَاً وَ نُورا } ١٠

١٠ سنن أبي داود عن أبي الدرداء ﷺ.

الميراث علم ونور، فهناك ورثة يرثون العلم، والعلم أنواع، منهم من يرث علم الحكمة:

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٦٩البقرة)

ومنهم من يرث علم باطن القرآن، ومنهم من يرث علوم المعرفة التي يقرب بها المطلوبين لحضرة الرحمن، والتي يقول فيها نبينا وحبيبنا ﷺ:

{ إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ، لا يَعْرِفُهُ إِلا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلا أَهْلُ الْغِرَّةِ بِاللَّهِ } ١١

ومنهم من يرث علم أسرار الكائنات، لأن الله كاشفه بعد جلاء نفسه وطهارة قلبه بما قال فيه في محكم البيان: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت) أى أنهم سُيِّروا بعين البصيرة التي أصبحت منيرة.

١١ أخرجه البحيري في الثاني من الفوائد عن أبي هريرة ﷺ

ومنهم من يُعلِّمه الله علم الأسماء الإلهية: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ (٣٣البقرة) يأخذ علم الأسماء، أسماء توقيفية وأسماء توفيقية وأسماء جلالية وأسماء جمالية وأسماء كمالية وأسماء ذاتية وأسماء وهبية ...... وبحور يغرق فيها الإنسان في أسماء ذات الله العلية إذا أكرمه الله ﷻ بهذه الخصوصية إن لم يؤيد بالحضرة النبوية.

ومنهم من يُطلعه الله ﷻ على علم الكتاب، وما أدراك ما علم الكتاب؟! فقد قال فيه نبى الله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما نطق وهو في المهد صبيا: ﴿ ءَاتَىٰنِىَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ (٣٠مريم) حينها لم يكن قد أخذ الإنجيل، ولكن هذا الكتاب هو علم الكتاب، وعلم الكتاب هو الكتاب المكنون الذي يقول فيه رب العزة: ﴿ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرۡقُومٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (المطففين) رقَمَه الحى القيوم، من يقرأ هذا الكتاب؟ لا أحد يقرأه، ولكن: ﴿ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين)

فهذا الكتاب لا يُقرأ ولكن يُشهد، وأقل درجة من هؤلاء: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾

(٢٢المطففين) فهؤلاء أقل درجة من المقربين الذين يشهدوا العلم المضنون والكتاب المكنون الذي جعل الله فيه سر ما كان وما هو كائن وما يكون، وهذا سر القَدَر، من أطلعه الله عليه فهو في خطر إلا إذا حفظه الحفيظ، وضمنه الله ﷻ بضمانته، وكان في حفظ الله ﷻ وصيانته.

علوم كثيرة في تركة النبوة، لأن كثير من الناس يعتقد أن علوم النبوة هي الأحاديث التي قالها رسول الله، والأحكام التي بيَّنها رسول الله، والتفسيرات القليلة التي فسر بها بعض آيات كتاب الله وهي علوم الرسالة، هذه علوم البلاغ، لكن علوم الرسالة شيء آخر، وعلوم النبوة شيء آخر، فهذه علوم وهذه علوم وضحها الله ﷻ في كتابه لمن ينظر في كتاب الله ﷻ بعيون صفت من الشهوات والشبهات:

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ (١٥١البقرة)

ما حدود هذه العلوم؟ ليس لها حدود: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣النساء) ولذلك عندما يعترض بعض الجهال في عصرنا على الإمام البوصيرى ﷺ وأرضاه عندما يقول في قصيدته البردة:

فإن من جودك الدنيـا وضرتـها ومن علومك علم اللوح والقلم

فيقولون: كيف يأخذ علم اللوح والقلم؟ نقول لهم: ما دام علَّمه العليم ﷻ فلا حرج على فضل الله.

موسى والعبد

وإذا كان الله بيَّن مكانة الحبيب ﷺ عندما التقى موسى الكليم مع العبد الذي في زمانه وعصره وأوانه، فعندما سأله بنو اسرائيل من أعلم الناس يا موسى؟ قال: أنا، فغضب عليه ربه لأنه لم ينسب العلم إلى العليم ﷻ، فأحاله إلى العبد - هل هذا العبد كان معروفاً في الفضائيات، أو ظاهراً في الصحف والمجلات؟! لم يكن يعرفه أحد، وهذه سُنة الله ﷻ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن الناس تنخدع بالظاهرين، وهؤلاء أهل علم القشور - إذن أين يجد موسى العبد؟.

أمره الله أن يأخذ سمكة مشوية، وأن يسير، فإذا أحسَّ بالتعب يعرف أن هذا المكان فيه العبد، فأخذ السمكة وسار ومعه تلميذه يوشع بن نون، إلى أن وصلا إلى مكان مرتفع وأحسا بالتعب، فقال له موسى نستريح هنا، فنام سيدنا موسى، ونظر سيدنا يوشع إلى السمكة وقد جاء عليها بعض رزاز الماء فتحركت واحتيت وسبحت وغاصت في البحر، ونسى أن يبلغ سيدنا موسى بذلك، واستيقظ سيدنا موسى من النوم وسارا إلى أن أحسا بالتعب، فقال: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾ (٦٢الكهف) فتذكر يوشع ماحدث للسمكة وأخبر موسى، فرجعا على آثار أقدامهما: ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (٦٤الكهف) فوجدا الخضر نائم ومسجَّى ومغطى،

فعرف أنه هو العبد، فأيقظه وقال: السلام عليكم، فقال: وعليك السلام يا موسى، قال: كيف عرفتني؟ قال: عرَّفني بك الذي أرسلك إلىَّ.كيف احتيت السمكة؟ كان الخضر يتوضأ فطارت قطرات من ماء وضوءه فنزلت على السمكة فاحتيت بإذن الله ﷻ وهذا حال الصالحين، وما من شيء حدث في الأنبياء والمرسلين وما تبعهم من الأولياء والصالحين إلا وحدث مثله أضعافاً مضاعفة في أمة سيد الأولين والآخرين ﷺ، فهذه الخاصية ليست في الخضر فقط فهى موجودة في أمة حضرة النبي ﷺ.

فالسيدة نفيسة رضي الله عنها بنت السيد حسن الأنور رضي الله عنه كان من جيرانها جماعة يهود، وكان عندهم طفلة مقعدة لا تستطيع الحركة، وجاءهم سفر، فاحتاروا ماذا نفعل بهذه الطفلة، فقالوا: نتركها عند جارتنا السيدة نفيسة حتي نرجع، واستأذنوها فأذنت، وبعد رجوعهم من السفر دقوا الباب على السيدة نفيسة، فإذا بالبنت واقفة وهي التي تفتح لهم الباب، فتعجبوا وقالوا: كيف تم لك هذا؟ قالت: رأيت السيدة نفيسة تتوضأ، وبعد أن انتهت من الوضوء أخذت أزحف حتي وصلت إلى الماء الذي توضأت به وأخذت منه ومسحت رجليَّ، فكلما مسحت جزءاً أحس أنه تحركت فيه الحياة، فلما مسحت رجليَّ تحركت بأمر الله جل وعلا، فأسلموا بسبب هذه الكرامة التي أيَّد الله عز وجل بها عباده الصالحين وأولياءه المتقين رضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

سيدنا موسى ذهب للخضر – والشاهد الذي أتيت لأجله بهذه الحكاية – أن سيدنا الخضر قال:

(يا موسى أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا – وهو علم الشريعة – وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت – وهو علم الحقيقة – وما علمي وعلمك في علم الله – وإذا بعصفور ينزل ليشرب من البحر – إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر).

أدار الله هذه القصة لنعلم أن الوحيد الذي جمع الله له الظاهر والباطن، والحقائق الظاهرة والخفية، والأسرار والأنوار، وكل مواهب حضرة العزيز الغفار هو النبي المختار ﷺ، لنعرف قدر الثروة الإلهية التي اختصنا بها الله على يد خير البرية ﷺ، فإن كل ما آتاه الله فهو لنا من علم ومن نور ومن أحوال ومن خصوصيات ومن إكرامات ومن تشريفات .... كلها لنا نحن لأننا أمته، ولكن لمن؟ لمن مشوا على هديه، وتعلقوا بحبه، وتأسوا به في كل أحيانه، ولم يلتفتوا عن حضرته مشغولين بالدنيا أو الأهواء أو غيرها عن ذاته ﷺ، إذن هؤلاء هم ورثة العلم.

ورثة النور

وهناك ورثة النور، منهم من يرث الرؤيا الصادقة، ومنهم من يرث الفراسة:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } ١٢

لا ينظر بهاتين العينين فقط وإنما ينظر بنور الله الذي آتاه الله له ميراثاً من رسول الله ﷺ، ومنهم من يرث علوم المكاشفة، والمكاشفة لا بد لها من نور، منهم من يُكاشف بما في مملكته، ومنهم من يُكاشف بما في صدور غيره، ومنهم من يُكاشف بالمعاني العلية التي استودعها الله ﷻ القرآن ولا يبيحها إلا لأهل الخصوصية ويقول فيها في كتابه:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧هود)

---

١٢ سنن الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

أى الذي على بينة ويتلو القرآن وهو مشاهد لأسرار القرآن، هل يستوى مع الذي يتلو ولا يشاهد إلا حروف القرآن؟! فهذا ميراث النور الإلهي الذي اختص به حضرة النبي، أعطاه الله ﷻللورثة الذين ورثوا حضرة النبي ﷺ، ومنهم من يُكاشفه الله ﷻ بعالم الملكوت، ومنهم من يُكاشفه الله بالأسماء والصفات الربانية، ومنهم من يُكاشفه الله بحضرات ذاته العلية، ومنهم من يُكاشفه الله ﷻ بألواح الأقدار، ومنهم من يكاشفه الله بخزائن الأسرار، ...... مكاشفات لا عدَّ لها ولا حدَّ لها تحتاج إلى النور.

سرُّ الوراثة

غُضَّ عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صـــبُّ أنـــوار القدير

إذا لم تنشغل بالمناظر الكونية، فإن عين البصيرة تُمتعك بالمناظر الملكوتية، أو المناظر الجبروتية، أو المناظر النبوية، أو المناظر الإلهية، لأنك ستصبح من أهل الخصوصية.

كيف يصل الإنسان إلى ذلك؟ من يرث الإنسان من ميراث الدنيا؟ ابنه لأنه شبيهه، فقد ورد فى الأثر واشتهر وقيل حديث وليس بحديث :

{ الولد سرُّ أبيه }

وكذلك من يتشبه بالحبيب في أخلاقه، وفى سمته، وفي هديه، وفي إقباله على ربه، وفي ذكره لربه، وفي مشيه بشرع الله، وفي شغله بأمور الخلق لأنه يريد أن يأخذهم إلى مراد الله، وإلى درجات الجنة التي أعدها الله، لو عاش الإنسان في هذا الحال لا بد أن يكون له ميراث، لكن كيف يأخذ الإنسان ميراث من غير مشابهة؟! لا يكون ذلك أبداً، فميراث رسول الله لمن أحسن التشبه ظاهراً وباطنا برسول الله ﷺ.

والأساس التشبه بالباطن، لكن لو تشبهت به في الظاهر فأطلقت اللحية واستخدمت السواك ولبست العمة وقصرت الثوب وأنا فظ غليظ في معاملة المؤمنين، هل كان على هذه الشاكلة حضرة النبي؟! لا، وقد أتهم المؤمنين الذين لا يستنون بهدي ولا يمشون على نهجي بالكفر والتشريك!! ومن أين لي هذا؟! هل أباح لى الله ﷻ أن أحكم بين الأنام وأدَّعي أن هذا مشرك وهذا كافر: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (٦٧يوسف) وهل يستطيع مؤمن كامل الإيمان في الدنيا أن يحكم لنفسه بأن يتوفاه الله على الإيمان؟! إذا كان أنبياء الله أهل العصمة كان يقول الواحد منهم: ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف)

هذا نبي يتمنى أن يموت مسلماً ويلحق بالصالحين لأن الخاتمة لا يعلمها إلا العليم ﷻ، فلذا إذا كنت لا أضمن لنفسى حسن الخاتمة فكيف أحكم على غيرى وأدَّعى أن هذا مشرك وأن هذا كافر وأن هذا ضال وأن هذا مبتدع وأنا لا أعلم من أمر نفسى قليلاً ولا كثيراً؟!!.

بل إن ما أتباهى به بين الخلق من الأعمال قد آتي يوم القيامة وأجده غير مقبول من الواحد المتعال، فكلنا نعمل الأعمال لكن من يضمن منا القبول على أى عمل منها؟!

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ (٦٠المؤمنون) ... السيدة عائشة سألت النبي ﷺ عن هذه الآية فقالت:

{ أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ }١٣

١٣ سنن الترمذي وابن ماجة ومسند الإمام أحمد

ماذا كان يفعل أصحاب رسول الله في الليل؟ ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ ﴾ (الذاريات) كانوا لاينامون إلا قليلاً من الليل

ثم يستغفرون الله ويقولون لا تؤاخذنا بالحضور، من يستطيع منا أن يحضر في صلاة كاملة من بدءها إلى ختامها؟!! إذا كان الله لا يقبل هذه الأعمال بعيوبها فلن يتقبل عملاً من أحد.

ولذلك كان الإمام أبو العزائم ﷺ يقول: (والله لو حاسبتنا على أرجى عمل عملناه بعدلك لهلكنا جميعاً) لأنه لو حاسبنا بالعدل فأين الحضور؟ وأين الخشوع؟ وأين عدم الغفلة؟ وأين الإخلاص؟ .... أمور كثيرة لا نقدر عليها، ولكننا نطمع أن ندخل في قول الله ﷻ:
﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ (١٦الأحقاف)

يأمر الله بأن تقبل أعمالهم بما فيها من عيوب ... ويلتمس في سيئاتهم الأعذار ولا تعتبر أنها أوزار.

إذن إذا كنت لا أضمن نفسي أين أنا وإلى أين أذهب فكيف أحكم على غيرى؟!! وأتهم غيرى وأشتط وأشتد وأتعامل مع غيرى بفظاظة وغلظة ربما تجعله ييأس من رحمة الله ﷻ، المؤمن دائماً يُرَجِّي إخوانه في رحمة الله، ولا يوئسهم أو يُقنطهم من عفو الله ﷻ في أى أمر من الأمور، وهذه علامة الورثة.

فالذي يرث رسول الله هو الذي يمشى على هذا المنهاج، الذي يفتح أبواب الأمل للخلق، والذي يفتح لهم أبواب الفضل والرجاء، والذي يجعلهم لا ييأسون من رحمة الله ولا يقنطون من الإقبال على الله مع ارتكاب الذنوب، لماذا؟ لأننا نريد أن نشدهم من يد الشيطان ونحولهم إلى حضرة الرحمن ﷻ.

هَدْي الأئمة الوارثين

إذن من أراد أن يكون له نصيب من ميراث رسول الله لا بد أن يمشى على هداه، ويكون له نصيب في إبلاغ شرع الله لمن حوله من عباد الله ليكون نائباً عن حضرة رسول الله ﷺ.

لكن لو تأسى برسول الله وأغلق على نفسه الباب وتفرغ للعبادة، هل هذا مطلوب في الأمة المحمدية؟! مَن سيُفَتح العقول؟! من سيُبصر للمسلمين؟! من سيبين للموحدين؟!!.

لا بد أن يكون لك دور!!

قد يقول قائل كيف يكون لى دور وأنا لم أتعلم وأحصل على درجات علمية، فنقول له: أصحاب رسول الله حصلوا على ماذا؟!! هل كان عندهم مكتبات فيها مراجع؟!! لم يكن عندهم إلا كتاب الله، ويُفيض الله على قلوبهم على قدر حاجة من حولهم من عباد الله:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)

مادام الإنسان يُعلمه الله يستبشر، وإن لم يكن الله سيعلمه مباشرة يُرسل له عبد من عباد الله يُعلمه مادام راغباً في ميراث رسول الله ﷺ.

الحكيم محمد بن على الترمذى رضي الله عنه وهو عنده سبع سنين كان يحفظ القرآن في الكُتَّاب، ومعه مجموعة من زملاءه، واتفقوا أن يخرجوا لطلب العلم من بلدة قريبة من بلدتهم ترمذ تسمى نيسابور كانت مشهورة بالعلم والعلماء، وكان وحيد أمه، وأبوه متوفي، فذهب ليستأذن أمه، فقالت: لمن تتركنا يا محمد؟! فحزن لأن عنده رغبة شديدة في تحصيل العلم، ليكون عالماً يُبلغ رسالة رسول الله.

ومن شدة حزنه كره أن يجلس مع الخلق وذهب إلى المقابر حزيناً على حاله وخاصة بعد سفر إخوانه، وفي المقابر إذا برجل يأتى إليه ويقول: يا محمد تعال أعلمك، فجلس إليه، فقال: تعال كل يوم في هذا الميعاد وأنا أعلمك، واستمر معه على هذا الحال سبع سنوات، ثم قال له بعد أن أتم تعليمه: تعلم من أنا ولماذا أتيت إليك؟ قال: لا، قال: أنا الخضر وقد أتيت لك لبِرّك بأمك!!

بسبب بره بأمه ورغبته الشديدة في العلم هيأ الله له من يُعلمه حتي صار من العلماء الأفذاذ الذين ملئوا الدنيا بالعلوم الإلهية، حتي قالوا أن أول من تكلم في علوم الولاية في الأمة المحمدية هو الحكيم الترمذى ﷺ وأرضاه.

إذن لا بد أن يكون عند الإنسان عزيمة لتبليغ رسالة رسول الله، فإذا وجد العزيمة والإرادة فإن الله يؤيده.

تبليغ الرسالة يحتاج إلى علم فيُعلمه الله، وقد يحتاج في تبليغ الرسالة إلى أمر خارق للعادة ليُقنع إنسان فيؤيده الله بالكرامة، ليس من أجل الكرامة ولكن ليقتنع هذا الإنسان الذي يريد أن يُقربه إلى حضرة الرحمن ﷻ، حتي يصل إلى مقام يقول فيه الله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (٢٢الشورى).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الوصل الثاني: الوصول إلى فضل الله ١٤

هناك استفسارات تدور في خلجات بعض السالكين وبعض المعاصرين عن: ما الطريق إلى الله؟ وهل حضرة الله له مكان محدد – حاشا لله – يصل إليه الناس فيه؟ وهل هناك طريق يوصِّل إلى ذلك؟ لا، ولكن الطريق إلى الله يعني الطريق إلى نيل فضل الله، وإلى الدخول في قول الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (٤الجمعة) وهو الطريق إلى أخذ العطاءات والهبات التي جعلها الله للأتقياء من عباد الله.

فقد جعل الله ﷻ النعم قسمين، ظاهرة وباطنة، وقال فيها: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٢٠لقمان) النعم الظاهرة هي الطعام والماء والشمس والنجوم والهواء وكل ما نراه في هذه الحياة، والنعم الباطنة أخصها الإيمان والهداية والعناية والخشوع والحضور والخشية والخوف من الله ﷻ، النعم الظاهرة موجودة، والنعم الباطنة مشهودة، ومن أراد أن يتعرض للعطاءات الإلهية الذاتية لا بد وأن يكون من أهل الخصوصية، فكيف يصل الإنسان إلى هذه المرتبة؟

---

١٤ عزبة إسحاق – ديرب نجم – شرقية - الجمعة – ١٤ من محرم ١٤٣٣هـ ٢٠١١/١٢/٩م

لكى يصل يجب أن يكون له دليل يقوده للوصول إلى هذه الأحوال المرضية، فالذي يريد أن يكون في الدنيا مُبرَّز في باب الثروة ويكون رجل ثري ووجيه ويملك كذا وكذا وجب عليه أن يبحث عن رجل يقتدي به ويتدرب على يديه كى يصل إلى هذه الأمور، وكذلك من يريد الوصول إلى فضل الله ورضوان الله وعطاءات الله الذاتية التي جعلها الله للصالحين وللمتقين لا بد وأن يكون له دليل أقامه الله ﷻ وعيَّنه الأستاذ النبيل ﷺ ليدل الحائرين ويأخذ بأيدى السائرين ليوصلهم إلى فضل رب العالمين ﷻ.

إذن فالطريق إلى الله هو الطريق إلى الحصول على فضل الله، والحصول على رحمة الله، والحصول على عطاءات الله، والحصول على الهبات الذاتية والنورانية التي جهزها الله ﷻ للصالحين، والتي قال الله فيها: ﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩ص) وفي الآية الأخرى:

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٧٤آل عمران) كل ذلك بالفضل وليس بالأجر.

ولو كانت هذه العطاءات تُنال بالأجر لاجتهدنا جميعاً في الأعمال التي توَصل إليها، ولكن ليس هناك أعمال توصل إلى ذلك، أما العبادات التي نقوم بها جميعاً فهي سبيل إلى نيل الأجر العظيم من الحسنات والدرجات في الجنات، وليس لها شأن بالفتوحات، لأن الفتوحات لها عبادات أخرى بالإضافة إلى العبادات العادية تؤدي إليها، إذ يلزم لتلك الفتوحات تعديل داخلي في الأعمال والعبادات، والفضل العظيم الذي قال الله لنا فيه:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨يونس)

هو الذي يتعرض له الإنسان في الدنيا.

وكيفية التعرض أن يبحث الإنسان على أحدٍ من أهلها توسم فيه نيل هذه العطاءات، أو رأى عليه هذه الفتوحات وهذه الهبات، فيتقرب إليه، ويُعلن بين يديه أنه يريد أن ينال هذه الفتوحات وهذه العطاءات وهذه الهبات.

وعندما يذهب إلى هذا الرجل الذي هو من أهل الفتح فإنه يعطيه برنامج يوصله إلى الفتح الذي يليق به، وهنا يُصبح هذا الأستاذ كالأستاذ المشرف على الرسالة، إذ لا بد للطالب الذي سجل هذه الرسالة أن يراجع المشرف ويعرض كل ما جمعه أو عمله عليه، ودائماً عليه أن يأخذ بتوجيهاته، ويحذف ما يأمره به، ويضيف ما يشير به عليه، ويظل على ذلك إلى أن يُزكيه المشرف فتُناقش الرسالة، وتُعرض عليه، والمشرف عندما يزكيه يأتيه الفتح من خالقه وباريه ﷻ، أما الذي لا يريد أن يُسجل رسالة فهو محب، والمحب سيكون مع الأحباب يوم العرض والحساب.

المـُحبُّ والمحبوب

إذن فنحن أمام نوعين من المحبين، نوع منهم يمشي على حسب حظه وهواه، ولكنه يحب هؤلاء القوم، ومن الجائز يوم القيامة أن يكون منهم، ومثل هذا ليس له في الدنيا نصيب في العطاءات الذاتية والفتوحات الوهبية لأنه لم يُسجل الرسالة التي بها يحصل على الماجستير أو الدكتوراه، ويظل في الدنيا محب لهؤلاء وفقط، وهؤلاء القوم يتركونه يمشي على حسب حظه وهواه، لأن مثل هذه الأشياء لا بد وأن يطلبها بنفسه، بل ويُلح فيها.

فهل يجوز لأحد من الأساتذة في الجامعة أن يُجبر طالباً أن يسجل رسالة؟ كلا، لأن الذي يريد ذلك هو الذي يبحث عن الأستاذ الذي يُسجل عنده، بل إن الأستاذ يكون بالحجز، إذ أن لكل أستاذ عدد معين من المسجلين، إذن هو الذي يبحث، وإن لم يجد في جامعة القاهرة – مثلاً – يبحث عن الأستاذ الذي يُسجل عنده في الجامعات الأخرى، ولذلك قال الله لحضرة النبي: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (١٨٦البقرة) (وإذا) تعني أن الكل لن يسأل، إذ يسأل الكل في الأمور العادية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ ﴾ (٢١٩البقرة) وذلك لأنه سؤال شرعي عام

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ (٢١٩البقرة) ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ (٢٢٢البقرة)

والذي يسأل هنا وفي ذلك الكثير، لكن الأشياء التي بها العطاء والهبات يقول فيها إذا سألك أحد من المؤهلين لهذا الأمر: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (١٨٦البقرة) إذن لن يسأل عن ذلك إلا القلة، وهم النوع الثاني، ولذلك قال لنا الإمام أبو العزائم ﷺ في هذا المعنى:

وليس الكـــل مطلـــوباً لهذا		ولكن خُصَّ لبعض أفراد قليلة

وقد ذكر ذلك ربنا في كتابه حين قال: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ والمؤمنون هنا كثير، لكن منهم ﴿ رِجَال ﴾ ماذا فعل هؤلاء الرجال؟ ﴿ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ (٢٣الأحزاب) إذن ليس الكل في هذا الباب، وليس الكل قد صدق العهد مع حضرة الوهاب، ولكنهم رجال من جملة المؤمنين، وبلا شك فإن جميع المؤمنين مكرمين، لكن هؤلاء لهم إكرام زائد، وذلك لأن هؤلاء لهم فضل زائد عند المتفضل ﷻ.

سرُّ الإرتقاء

ومن يرد أن يكون من أصحاب هذا الفضل عليه أن يحرص أن يكون له منهج، ويُطبق هذا المنهج، وهذا المنهج لا يضعه من نفسه، ولكنه يُقدم مشروعه للرسالة، وإذا أقر الأستاذ المشروع فإنه يذكر له خطوات تنفيذ المنهج، ويأمره بعرض كل شىء عليه، هنا من الجائز أن يعرضها بالحضور بين يدى الأستاذ، ومن الجائز بعد أن يرتقي أن يكون حاله كله حضور، وذلك إن ارتقى وأصبحت روحه قريبة من الأستاذ، والروح في عالم النور، وإن وصل إلى ذلك فمن الممكن أن يعرض مناماً على الأستاذ، أو يعرض يقظة عليه إذا تنبه أكثر في أى زمان ومكان، وذلك كما كان يفعل الصالحون والمتقون في كل زمان ومكان.

والذي ليس له منهج يمشي عليه، ويمشي على حسب حظه وهواه فهو مُحب، والمحب درجة عظيمة، لكن هذه العطاءات يلزمها خصوصيات:

كم جاهل نال علماً من مجالسهم أضحى حليماً عليماً بالإشارات

أين ذلك في القرآن؟ ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ من أين؟ هل علمناه من الكتب؟

لا، ولكن من العليم ﷻ الذي تجلى على صدره بما يريد: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف).

وهل الأستاذ صاحب هذا الفتح يجب أن يكون معروفاً ومشهوراً يشار له بالبنان؟ ليس ذلك بشرط، ولذلك لما وجَّه الله سيدنا موسى إلى الخضر عليه السلام هل كان يعلم مكانه؟ كان لا يعرف، فقد قال الله لسيدنا موسى عليك أن تمشي إلى أن تجد مس الجوع، عندها تجد هذا الرجل، وفي هذا المكان، مما يعني أن الرجل لم يكن يعرفه أهل زمانه كلهم، أما الذي يعرفه الكل فهو صاحب الشريعة، فالعالم الشرعي يعرفه الكل، فيظهر في التليفزيون وعلى صفحات المجلات والصحف، وذلك لأن الناس تريد الشريعة، أما الرجل العالم بالحقيقة لا تريده إلا القلة القليلة، ولا يوجههم إليه إلا المولى، وهذا ما قال فيه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

ومن طلبتهـمُ عيـن العنايـة يروك بعـين أنـوار السريـرة

والرؤية هنا ليست رؤية ظاهرة، إذ يوصلهم الله للرجل بأنوار باطنة، لأن ذلك طُلبة الأفراد والأبدال، وليس طُلبة العبَّاد ولا الزُهَّاد، وإنما كما قلنا طُلبة صنف معين، وهم أهل الفتح، وأول الفتح كما ذكرنا: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف) أو إشراقات إلهية من باب قول رب البرية: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)

مِن الذي يُعلِّم هنا؟ الله يُعلمه بذاته، كيف؟ لا نستطيع بيان هذا الأمر، ولكن ذُق تعرف؛ فمن أراد أن يعرف عليه أن يدخل من الباب إلى أن يُصبح من الأحباب ويُفتح له الرحاب، ويخصوه بما خصوا به أولي الألباب، فينال هذه الهبات ولا يستطيع تفصيلها أو الإشارة إليها إلا للأحباب، لأن هذا الكلام لا يعقله العقلاء حتى ولو كانوا أعقل العقلاء، لأن هذا الأمر غيبي من الله، فمَن الذي يستطيع أن يستوعب كيف يتلقى الإنسان من الله؟! يستطيع الإنسان المؤهل أن يتذوقها، ولكن لا يستطيع وصفها لغير أهلها وذلك لأن غير أهلها يريد العلوم من النقل من الكُتب ومن المكتبات وبالسند.

علوم الحقيقة

وعلوم الحقيقة لها سند ولها كُتب، ولكنها كتب قال الله فيها: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ ﴾ (المطففين)

مَن الذي يقرأه؟ لا يقرأه بل يشهده، وهو مقام الشهود: ﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢١المطففين)

وكتاب الأبرار هنا في الحقيقة هو سيدنا رسول الله ﷺ لأنه أُم الكتاب، أو مجمع الكتاب الذي يحتوي على كل العلوم التي أنزلها الكريم الوهاب لجميع الأحباب من بدء البدء إلى الختام، وكل واحد يأخذ منه نصيبه، يقرأ ما خُصَّ به وما أُنزل له وما وُهب له من حضرة الفتاح العليم في سدرة هذا النبي الكريم الرءوف الرحيم سيدنا محمد ﷺ، وتكون الهبة الإلهية أن الله ﷻ يفتح له عين القلب وعين الفؤاد ويجعله بصيراً سر قول الله ﷻ للسيد الخبير الأعظم ﷺ:

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٥الصافات).

إذن لا يأتي ذلك إلا عن طريقه وبواسطته ﷺ، ولذلك كان ينادي دائماً هل منكم من يريد أن يُذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً؟ والمقصود هنا هو عمى القلوب، لأن الله قال في القرآن: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤٦الحج) مِن الذي يريد أن يُذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً؟ يحدث ذلك إذا تعرض بعضهم لرسول الله، فيعالجهم كما قال سبحانه (١٠٨يوسف):

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ أى لست وحدي، ولكن معي من هم على هذا الطريق خلفي، ... وهؤلاء القوم قال فيهم النبي ﷺ للناس:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } ١٥

ليس بنور الشمس أو بنور الكهرباء، ولكن بنور الله، وذلك لأنه بهذا النور يقرأ الواحد منهم ما في الصدور، كما يقرأ الإنسان العادي ما في السطور، ويقرأ ما في الصدور بالنور الذي أعطاه له العزيز الغفور، وقد يقرأ ما في الأكوان من خصائص استودعها فيها الرحمن ﷻ، وقد يقرأ ما في القرآن من معاني علية أنزلها مع كلماته وحروفه الرحمن، وهذا ما أشار إليه في قوله ﷻ:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى ﴾ (١٠٩ الكهف)

---

١٥ سنن الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

والمعنى أنه قل لو كان البحر مداداً لمعاني كلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد معاني كلمات ربي، وهذا ما كان يقول فيه سيدنا الإمام علي ﵁: (لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم سبعين بعيراً) أى من يكتبون وراءه يكتبون كتباً تُحَمِّل سبعين جملاً من معاني فاتحة الكتاب كما يعلم هو وحده وكما عرَّفه الله، أما معاني الفاتحة فلا يعلم مداها إلا حضرة الله تعالى، وهكذا في سائر آيات كتابه ﷻ.

وقد يمن الله ﷻ عليه فيجعله من العلماء الأجلاء الذين أقامهم الله ﷻ في الأرض وأمدهم بخشيته وجعلهم نوراً لأهل الأرض وسرجاً لأهل السماء: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (٢٨فاطر) وقد يؤتيه الله ﷻ الحكمة: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٦٩البقرة) وقد يمن الله ﷻ عليه فيجعله من الذين: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠فصلت).

إنها عطاءات وهبات كلها في القرآن، وشرطها لمن يريد نوالها أن يكون له برنامج نوراني ذاتي وهبي يأخذه من عبد تقي نقي خفي، يعرض عليه حاله الظاهر والجلي والخفي ليدخل في قول الرحمن: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (٥٩الفرقان)،

وهذا ما بيَّنه لنا حضرة الله عندما أخذ سيدنا موسى علم الشريعةكله، ثم أراد بعد ذلك العطاءات فقال له الله اذهب للرجل الذي معه هذه العطاءات كى يعطيك منها، فذهب إليه وقال: ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ ﴾ ! هل قال علماً؟ لا!

وذلك كى تعرفوا أن هذه العطاءات شىء آخر غير العلم، ولذلك قال: ﴿ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا ﴾ (٦٦الكهف) والرشد هو العلم النوراني القرآني الرباني الذي يجعل الإنسان بالغاً للرشد في عالم المعاني، وهذا يعني أننا لسنا جميعاً من البالغين لأن ربنا قال في الرجل البالغ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَـٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًا ﴾ (١٤القصص)

والمعنى أنه قد بلغ رشده في عالم المعاني وفي عالم النور، واستوى وتجهز لهذه العطاءات الربانية﴿ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ وهذا ما أردنا توضيحه لكم بلغة بسيطة عن الطريق والطريقة والعطاءات والهبات.

وجوه يومئذ ناضرة

سؤال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) نرجو البيان؟

قل فيها ما شئت، فمعاني القرآن واسعة، لأن كلام الله ﷻ هو الصالح لجميع الوجهات ولجميع الغايات، لكن المهم ألا يُقلب هذه الآيات إلا أهل العنايات، فلا ينفع أن يقلبها أهل العقول ولا أهل النقول مهما كانوا فحول في هذا الباب، ولا يقلبها إلا أهل العنايات لأنها فتوحات، ولذلك كان الصالحون في كل آية يُعطون بها توجيه لأهل البداية، بمعنى أن كل واحد يأخذ من الآية توجيه له، وذلك بحسب الفتح الآتي له من الله ﷻ، ومن يريد أن يسجل رسالته فإن أول شروط التسجيل أن يأخذ دبلومة في تزكية النفس والورع، فإذا زكى الإنسان نفسه ثم تحلى بالورع فإن الله ﷻ يقبله، والقائم مقام الحبيب ﷺ يوجهه ويقيمه على المحجة البيضاء ويعطيه الشفاء الذي ينال به ما عند الله ﷻ من عظيم الفضل والخير والجزاء.

إذن لا بد من تزكية النفس أولاً، وتزكية النفس تعني طهرتها، أى أطهرها من الرعونة، ومن صفات الجاهلية من الحقد ومن الحسد ومن النفاق ومن الرياء ومن السمعة ومن حب الظهور وذلك حتى يصير الإنسان من المخلِصين، فتكون الدرجة التي بعدها أن ينتقل من المخلِصين إلى المُخلَصين، فلا يعمل عملاً ظاهراً أو باطناً إلا لله، ولا يرجو من وراءه إلا رضاه، ولا يبالي بالخلق أقبلوا أم أدبروا لأنه يعمل العمل لله، مع قيامه بأكمل الحقوق التي كلَّفه بها الحبيب نحو خلق الله، أى يقوم لهم بكافة الحقوق ولا ينتظر منهم عطاء، ولا يطلب منهم جزاء لأى عمل عمله لهم، وإنما يعمل العمل لله، ويكون تعامله دائماً مع مولاه، ولا ينتظر خيراً ولا براً ولا عطاءاً ولا فضلاً إلا من حضرة الله جل في علاه.

وبعد دبلومة تزكية النفس، وعلامة التزكية أن يصل الإنسان إلى مقام الورع، وهو – كما أشرنا سابقاً – أن يترك الإنسان كل الشبهات، ويقف على الأمور المحكمات لكى يدخل على فضل الله ﷻ، وعلى عطاء الله، وأول الورع هو الورع عن الكلام الذي لا يُرضي الملك العلام، ولذلك فإن أول أمر يجب أن ينجح فيه المريد هو العمل بقول الحبيب:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ } ١٦

١٦ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي

وقوله ﷺ: { مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }١٧

فلا ينشغل بأخبار ولا بأحوال الناس ولا بمشاكلهم ولا بمشاغلهم، وإنما يكون شغله كله مع نفسه وذلك حتى يزول لبسه، ويُقدم على الفتح مع أهل الفتح، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

بين الشريعة والحقيقة

سؤال: بعض إخواننا أهل الطريق يعتقدون أن سيدنا الخضر أعلم وأرقى من سيدنا موسى؟

لا! فسيدنا الخضر بذاته قال لموسى:

(يا موسى أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر)

والأعلى شأناً عند الله هو صاحب الرسالة والنبوة:

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ (١٦٤النساء).

١٧ سنن الترمذي وابن ماجة وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

لكن لا بد لصاحب الرسالة والنبوة من هذه الهبات وهذه العطاءات، ولذلك فنحن نقدم دائماً عالم الشريعة، أما إذا أراد عالم الشريعة أن يكون من أهل الفتح فلا بد له من أهل الحقيقة، ولذلك فإن كمَّل علماء الشريعة هم الذين تكملوا في علم الحقيقة مثل الدكتور عبد الحليم محمود ومثل الشيخ الدردير وغيرهم من مشايخ الأزهر الذين تكملوا ظاهراً وباطناً، ومثلهم الآن الشيخ علي جمعة، فقد تكمَّل في الإفتاء لأنه أخذه ظاهراً وباطناً، تكمَّل في علم الظاهر في علم الأصول، وتكمَّل في علم الباطن على يد الفحول، فأصبح يفتي على المذهبين.

إذن فالأساس في الشريعة، وهي تكليف من الله، والمكلف بها هو المقام من عند الله ﷻ، لكن لا غنى له عن صاحب الحقيقة، وأراد الله ﷻ أن يبين في هذه القصة مقام الحبيب ﷺ، فإن الله ما جمع الشريعة والحقيقة إلا في الحبيب ﷺ، وذلك لكى يعلم الجميع، فإن سيدنا موسى مع أن الله كلمه تكليماً وكان في مقام الكليم وكان من أولي العزم إلا أنه لم يأخذ الحقيقة إلا من رجل من عامة أمته، إذن فالوحيد الذي جمع فأوعى هو سيدنا رسول الله ﷺ، وذلك لكى نعرف مقامه وفضله ودرجته عند الله ﷻ، فهو وحده ﷺ الذي جمع الظاهر والباطن: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (الحديد).

وقد أشار في هذه الآية بعض الصالحين رضى الله عنهم أجمعين فقالوا عن الأول: إذا قلنا عن الله هو الأول فإنه لا بداية لأوليته، وإذا قلنا هو الآخر فإنه لا نهاية لآخريته، وإذا قلنا هو الظاهر فمن شدة ظهوره بطن، وإذا قلنا هو الباطن فمن شدة بطونه ظهر، لكن هذه الأوصاف لا تليق إلا لحبيب وصفه الله ﷻ بهذه الأوصاف، والله ﷻ غني عن هذه الأوصاف، ولذلك فإنه قال: ﴿ هُوَ ﴾ وهو اسم إشارة، هو الأول والآخر والظاهر

والباطن، وهو بكل شىء بأمر ربه وبإذن ربه عليم، وهذا الكلام لا ينفع العوام ولا يقال في مساجد ولا في خطب منبرية وإنما هي حقائق يضعها الإنسان في صدره ليغترف منها الحقائق القرآنية بذاته لذاته، بمعنى أنه يجب أن يكون لك علم خاص بك وعلم تذيعه وتشيعه، والعلم الخاص بك هو الذي يُرَقِّي الإنسان ويعلي شأن الإنسان إن شاء الله تعالى .

الصوفية والإنتخابات

سؤال: بالنسبة للصوفية فبالرغم من كثرة العدد إلا أنهم لم يعلنوا عن أنفسهم مثل السلفيين والإخوان، فما السبب؟

الصوفية وأهل التصوف الحقيقيين هم حملة الرسالة، ويعتبرون تفرغهم للرسالة وتبليغها هو الأساس، وأساس رسالتهم هي إصلاح الأحوال في المجتمعات، والقيام بما ينبغي عليهم نحو المسلمين والمسلمات، وهم قائمون بهذا الأمر، لكن التنافس بهذه الشاكلة التي نراها الآن لا بد وأن يؤدي إلى شيء في الصدر، فهل يوجد صفاء ومودة ومحبة بين كل المرشحين الآن في الإنتخابات؟! لا.

والصوفية لا يريدون ذلك، وكان الإسلام في بدايته انتقاءاً وليس ترشيحاً وانتخابات، ولذلك تجد أن الرجل الكامل من بين الناس، أو القريب من الكامل وهو الرجل الفاضل لا يرضى ولا يوافق أن يرشح نفسه في الإنتخابات حتى لا يستجدي الناس، والذي يجب أن يُنظر في مثل هذا الأمر أن يكون الأمر بالتعيين كما يحدث في نسبة من أعضاء مجلس الشعب، ولذلك يجب أن تزيد هذه النسبة، وهذا التعيين لا يكون إلا للناس الموقرين المحترمين الذين تحتاجهم الدولة، مع أنهم لا يحتاجون لمثل هذا الأمر، كما كان يفعل السلف الصالح رضي الله ﷻ عنهم.

فمن الذي عيَّن سيدنا عمر؟ الذي عيَّنه واختاره هو سيدنا أبو بكر، ووافق الجميع عليه بلا انتخابات، فالإنتخابات تفرز من ينفع ومن لا ينفع، وتتدخل فيها الأموال والمصالح، وهذه الأمور لا يرغبها الصوفية لأنهم يريدون خدمة الناس والوطن لوجه الله، وهم قائمون بذلك، والمفترض لو كان الحاكم عادل أن يستعين بمثل هؤلاء، وبمجموعة منهم في مجلس الشعب أو في مجلس الشورى.

لكن مَن من الصوفية الذين يريدون وجه الله لديه استعداد أن يجوب البلاد ويستجدي هذا وذاك؟! وهذا منافق وهذا شرير وهذا غادر وهذا آثم، ولا يستطيع الواحد منهم أن يبين لهم ذلك، لأنه يريد أن يستجدي صوته، وهذا لا يصح في دين الله، وهذا نظام غربي طبقناه.

لكن أهل الحل والعقد - مثل البرلمان الآن - في عهد عمر بن الخطاب كيف شكَّلهم؟ اختارهم وسماهم أهل الحل والعقد، وكان لا يعقد شيئاً أو يحله إلا بإذن هؤلاء، وقد اختارهم بنفس طريقة المجلس الإستشاري الذي اختاره المجلس العسكري الآن، ولو كان هناك ثقة ونظرت على المجتمع العام فإنك تجد في كل مكان أناس معروفين بأنهم أهل الثقة، وهم ظاهرون ومعروفون، حيث تجد أنه في كل مكان الآن من يُصلحون بين الناس، وكذلك يوجد فئة في كل مكان يلجأ إليهم الناس وينفعون الناس ويعينوهم. أما الصوفية الآن فليس لديهم استعداد الآن لموضوع الإنتخابات، فيأتي بسيارات وميكروفونات وإعلانات، أمر كبير قد ينجح فيه الرجل العادي، وقد ينجح فيه الرجل المنافق، لأنه يجمع حوله المنافقين وهم كثير.

إذن المفروض أن يكون هناك جزء بالإنتخاب وجزء آخر بالإختيار، أما في عصر سيدنا عمر فقد كانوا جميعاً بالإختيار، لأنه كان عصر فاضل، وكان سيدنا عمر يمتلك الفراسة التي تؤهله إلى ذلك.

الوصل الثالث: منهج أهل التحقيق18

ما أريد أن أبثه لنفسي وأبوح به لإخواني، أن الله ﷻ في كل زمان يُظهر رجالاً يؤيدهم بالفتح الإلهي، ويجلسهم على أرائك القرب، ويفتح لهم أبواب المناجاة وسبيل المشاهدات، ويتحفهم بما يتحف به أهل القرب وأهل العنايات، تارة بالحكمة المقدسة القرآنية، وتارة بالإلهامات اللدنية القرآنية، وآونة بالفراسة القلبية النورانية، وأحياناً بالمكاشفة لما في الصدور، وأحياناً بمشاهدة ملكوت ذي الجلال والإكرام.

عطايا وهبات يصطفي الله ﷻ لها أفرادا من أمة سيد السادات ﷺ، سر قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ (75الحج) ويصطفي

تعني أن الاصطفاء ما زال مستمراً لا يتوقف إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها ..... هؤلاء الرجال كثير من المحبين يحيط بهم، يريد أن ينال بعض ما نالوا، ويُحصِّل بعض ما حصَّلوا , ويفوز ببعض العطاء الذي تولاهم به الله، ويحظى بشئ من القرب لحبيب الله ومصطفاه، ويكون له نصيب من كنز العناية الإلهية بالقرب من رب البرية، والنظرات المحمدية.

---

18 الكرنك ـ الأقصر 2012/11/10م

آفات النفس

لكن بعض السالكين يتوقف وتوقفه نفسه، فيقول لنفسه هذه عطايا وهذه هبات، ومهما فعلت أنا أو غيري فلن نصل لحقيقتها، فيسد الطريق على نفسه، ويسد الطريق على غيره!! أين هذا من قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت)؟!! أنت إن تجاهد فحتماً أن تشاهد.

والبعض يخيل له - لأنه لم يُسَلِّم - أن هؤلاء الرجال وصلوا بحركة الشفاه وكثرة الأوراد والعبادات والإكثار منها آناء الليل وأطراف النهار، مَن يعمل هذه الأعمال فيا هناه بالأجر الذي جهزه له الله في الدار الآخرة، فمن يصوم له أجر، ومن يكثر من التسبيح له أجر، كل هذه الأعمال قربات وحسنات يجد أجرها عند الله ﷻ مضاعفة أضعافاً كثيرة، لكن ما مع هؤلاء الرجال منح، وهبات, وفتوحات, وعطاءات ... وهل هناك عمل يعمله المرء ينال به هبة من الهبات؟ لا، فالجنة نفسها ليست بعمل فكيف بالهبات؟!

إذن الهبات والعطاءات كيف تأتي؟ ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (٤الجمعة)

فهو فضل من الله، واختصاص يختص به من يشاء.

وماذا يجب عليَّ لأكون من أهل الاختصاص؟ لا بد أن أعرض نفسي لفضل الله، وأتعرض لعطاءات الله، وأتعرض لنفحات الله جل في علاه، فمن يرد الجنة والمنازل العالية في الجنة يعمل حسنة فيأخذ حسنة،

ويمتنع عن المعاصي والسيئات ويُقبل على الطاعات ...فهذا سيدخل الجنة إن شاء الله، لكن هذا اسمه عابد له أجر يأخذه في الآخرة، له الأجر الذي طلبه وهو قال بلسانه: (أنا عبد لله كى يدخلني الجنة)، لكن هناك رجال أخبر الله عنهم في القرآن أنهم يعبدونه لأجله هو سبحانه، لا لأجل الجنة: ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) فهؤلاء لا يريدون الجنة إلا لأن فيها وجه الله، وهؤلاء الرجال الذين قال الله فيهم لحبيبه ﷺ:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾.

والصالحون عندما يقرأ الواحد منهم القرآن، يقرأه على أنه رسائل الله إليه مباشرة، إذن يكلمنا ربنا فيقول لنا: واصبر نفسك مع هؤلاء الرجال الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وإياك أن تلتفت عنهم بالدنيا أو بالمظاهر أو بالشهوات أو غيرها ﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾

ومن يضل، أو من يلوم، كما يقول الجهال: لماذا تمشي مع هؤلاء؟ فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (٢٨الكهف) أنت مع أهل الحق فليس لك شأن بأهل الباطل: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).

إذن هؤلاء القوم يريدون وجه الله جل في علاه، واحد منهم في مناجاته لله قال له ربه: عجباً لمن رآني دون مكوناتي، فقال: سبحانك تنزهت من الذي يراك دون مكوناتك؟ - ودون هنا تعني أقل من هذه المكونات - قال: من اتخذني وسيلة إلى جناتي فقد رآني دون مكوناتي ... من يعبد الله ليدخله الجنة كمن يخدم شخصاً ليؤكله ويشربه لا ليحظى به ويجالسه ويؤانسه، وهكذا الأمر.

التعرض لفضل الله

هؤلاء الرجال كيف يتعرضون لفضل الله؟ هذا علم نفيس نحتاج أن نعلو بأرواحنا حتى نستقيه، كيف يكون جهاد العارفين؟

يتعرضون لفضل الله، وإكرامات الله، والفتح الإلهي، والعلم اللدني، والكشف ... فكل هذه تنزل من الله على قلبك، فهو محل التجليات، ومحل المشاهدات والمؤانسات، ومحل الملاطفات، ومحل القرب من الله ﷻ ومن سيدنا رسول الله ﷺ، لأن القلب نور وهو الذي يتلقى من حضرة الغفور ﷻ النور.

والقلب ليس المقصود به الجزء الصنوبري الموجود في الجسم، فالقلب الموجود في الجسم هو مضخة ماصة جاهزة تستقبل الدم وتضخه للجسم مرة أخرى، فهذا هو الجهاز الدوري، ولكن القلب هو قلب الشيء، وقلب الشيء يعني حقيقته، أى حقيقة الإنسان التي بها أصبح إنساناً، وهذه حقيقة نورانية لا يعلم كنهها إلا رب البرية ﷻ، وهذا القلب هو الذي فيه خشية الله، وخوف الله، وحب الله، والإخلاص لله، والصدق لحضرته، والحضور مع الله ... كل هذا في القلب:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ } ١٩

فإن هذا الموضع مخصص لله، لا يدخله أحد سواه من الكونين، وهذا هو جهادهم الحق، فجهاد هؤلاء الرجال في تطهير القلب والفؤاد من الأغيار، ماذا تعني كلمة الأغيار؟ كل شئ غير الله فهو غير.

١٩ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

فرغ القلب من سوانـــا ترانـــا يا مريـــــداً جمالـــنا وبهانـــا

كيف أترك الدنيا والدنيا صعب تركها؟ ألا تعلم أن الجهاد الصعب هاهنا!! فعندما يعزم الإنسان بصدق يعينه ربه تعالى ويسخر له الدنيا، ويسخر له الأعضاء ويجعلها طوع أمره يفعل بها ما يشاء، ويجعل الله ﷻ وقته كله في رضا الله جل في علاه، لكن إذا كنت متردداً فسأظل مكاني، فهذا الأمر يتطلب إنسانا يخرج من التردد.

والصالحون خرجوا من هذا التردد على الدوام، فأخرجوا الدنيا من القلب والحظوظ و الأهواء والشهوات، ولم يجعلوا فيه حباً إلا لله ورسوله، ولا هوى إلا ما يهواه الله ورسوله:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ } [٢٠]

فليس له عصبية لإبنه أولإبنته أو لزوجته أو لأخيه، وإنما عصبيته كلها لرسول الله ﷺ ولأنصاره والمهاجرين.

موانع العطاء

ما الأشياء والموانع التي تمنع العطاء؟ الأمراض التي نراها في مجتمعنا، فإذا كان المؤمنين العاديين يجب ألا يكون في قلبهم حقد ولا حسد فهل يجوز لخاصة الخاصة من المقربين أن يكون في قلبه بعض ذرة من الكبر والحقد والحسد؟!! كيف ينتظر هذا مدد الله وعطاء الله ينزل في قلبه؟!!

٢٠ سنن البيهقي عن عبد الله بن عمرو ﷺ

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة   من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

لو أن الإنسان منا مريض فهل يحس بطعم أي طعام أو شراب يتناوله بفمه؟ لا !!، بل سيجد طعمه مراً:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء مـن سقـم

وحتى يكون ذوقه سليماً فلا بد أن يكون القلب كله سليماً: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) وتكلم الله تعالى عن سيدنا إبراهيم فقال: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات) إذا سلم القلب من الحظوظ والأهواء والشهوات - وهذا جهاد الصالحين والعارفين - فقد فاز:

إذا خلا القلب من وهم وشبهات   يشاهد الغيب مـسروداً بآيات

يشاهد الغيب فوراً لأن القلب صفا ووفا، فاللحظة ممن هذا حاله أفضل من آلاف السنين من العابدين:

لحظة بقلب سليم رفعةٌ ورضا وألفُ عام بلا قلب كلحظات

هذا هو جهاد الصالحين الذين يطلبون المناصب العالية عند الله، والمراتب الراقية عند رسول الله ﷺ، والعطاءات الخاصة التي يخص بها الله الصالحين من عباد الله، ولذلك كيف كانت تربية العارفين للمريدين؟.

أول شئ يعطي للمريد روشتة ليزول مرض الكبر، فتجد الرجل الذي يدخل مع الصالحين قد يكون من العظماء والوجهاء فيقول له: أنت عليك أن تسقي بالماء، وأنت تخدم هؤلاء المريدين، وأنت ترفع هذه الفُرش وتنظفها مما علق بها من الغبار .... لماذا؟ حتى تنكسر نفسه، فإذا قَبِلَ فيا هناه، وإذا أبت نفسه فما الذي يطلبه من الله؟!.

الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ وأرضاه كان بين أحبابه، وضرب لهم مثل بينما هم جلوس عنده، نزل المطر فقال: أين يقف المطر؟ هل على رؤوس الجبال أم في الأودية؟ قالوا في الأودية، قال: كذلك مطر العناية الإلهية لا ينزل إلا في القلوب التي تواضعت لرب البرية ﷻ.

فمتى استجاب الله لأحباب رسول الله الذين كانوا مع رسول الله ﷺ؟

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (١٢٣آل عمران).

لكن عندما أعجبتهم أنفسهم وسروا بها: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ (٢٥التوبة) إذن مرض العجب يمنع العطاء، مرض الأثرة والأنانية يمنع الهبات، مرض الكبر يحجب عن كل رفيع الدرجات، مرض الحقد والحسد يسد الباب بين العبد وبين مولاه، لأن الله ﷻ لايقبل منه عملاً، لا صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج ما دام يضمر في قلبه شيئا لعباد الله جل في علاه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (١٤الأعلى) ثم ماذا؟ ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ (١٥الأعلى) ..

فكان الرجال الصالحون على هذه الوتيرة .. إذن فما الواجب علينا؟

أنت عليك نفسك، امتحن نفسك فإن وجدت عندها شيئا من الكبر فعليك أن تهينها وتنزلها وتجاهدها إلى أن تتخلص من مرض الكبر بالكلية، فالذي يرى نفسه لا يرى ربه، ومن يرى ربه يرى أن كل عمل يعمله بتوفيق الموفق وبمعونة المعين وبمدد الحي القيوم، وإذا تخلى عنه طرفة عين أو أقل لايستطيع أن يقوم بأي عمل، ولا حتى أن يعتصم من أي خطأ أو زلل، ولكن عناية الله وتوفيق الله هي التي تجعل العبد يبلغ مناه، فمن يرى نفسه كيف يرى الله؟!! بل إنه سيزهو بنفسه بين خلق الله، يرى أن له شأناً عند الناس، ويرى أنه أفضل من فلان و فلان، وقد قيل:

{ كفى بالمرء شراً أن يرى نفسه خيرا من أحد }

فالمؤمن لا يرى نفسه قط، فالشيخ ابن عطاء الله في برنامجه الذي وضعه لصغار السالكين الداخلين إلى طريق العارفين قال: الشرط الأول عندنا: (ادفن نفسك في أرض الخمول تشرق عليك أنوار الوصول) أما إذا كنت تحب الظهور وتود أن تراك الناس، وتتكلم عنك وتكون نجم الفضائيات والإذاعات فأنت لا تصلح في طريق الصالحين، الذي يريد أن يكون في طريق الصالحين يجعل عمله لايشعر به إلا مولاه، حتى من معه في البيت لا يشعرون بما يفعله لحضرة الله جل في علاه.

الإخلاص

الإخلاص جهاد العارفين، يجاهد أولاً في إخلاص النية، فلا يعمل عملا صغيراً أو كبيراً لنفسه أو لغيره إلا وتسبقه نية في هذا العمل لله، لذلك فهو من المـُخلِصين، فإذا صار على ذلك وأدام رفعه الله من المـُخلِصين إلى المـُخلَصين، واستخلصه الله ﷻ لنفسه.

ويجاهد نفسه في الصدق مع الله، والصدق مع عباد الله، فيحاسب نفسه على الكذبة في الأمر المباح، أو في المزاح، أو في اللهو، أو في اللعب حسابا ثقيلاً، لأنه بهذا يخالف التنزيل، ويخالف الأستاذ النبيل ﷺ الذي كان يقول:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا } ٢١

لا يتسامح مع نفسه أبداً في هذا الباب، يقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ:

تخلق بأخلاق الإله وحافظن على منهج المختار في العقد تنسق

العبودية لله

كيف أتعرض لفضل الله؟ عليَّ أن أجهز القلب وأكسوه بثوب العبودية الذي كان يتدثر به خير البرية ﷺ، لكن ما الذي في ثوب العبودية؟ فيه الذل والانكسار لله والتبتل بالليالي لله والافتقار لله في كل الأنفاس والتوجه إلى الله ﷻ بكل الحواس وذكر الله ﷻ له نبراس ... فهذا هو ثوب العبودية الذي كان يلبسه خير البرية، والذي يقول فيه الشيخ أبو اليزيد: (يارب بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس فيَّ، قال: وما الذي ليس فيك يارب؟ قال: الذل والانكسار والغربة) إذا دخلت على الله جاهلا علمك، وإذا دخلت فقيرًا أغناك، وإذا دخلت ضعيفا قواك، وكيف أدخل إلى الله؟ بأضداد الصفات الإلهية، بأنني عبد، لكن إذا تدثرت بثياب الإلهية فماذا أريد بعد هذا؟!! فقد قال الله ﷻ في حديث قدسي فيه وعيد شديد:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي مِنْهُمَا شَيْئًا قَصَمْتُهُ } ٢٢

---

٢١ سنن الطبراني عن عبد الله بن عمر ﷺ
٢٢ الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

فكيف تتدثر برداء العظمة وأنت بين يدي العظيم ﷻ؟! لكن المؤمن الذي يريد هذه الهبات وهذه العطاءات فلا بد أن يتعرض إلى فضل الله، وعليه أن يجاهد نفسه في التخلص مما ذكرناه، والتجمل بأوصاف العبودية، فيصبح عبداً لله، لأن الله عندما مدح الحبيب في كتابه مدحه بالعبودية: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (١الإسراء)

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (١الفرقان) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ (١الكهف) فكل المدح كان بصفة العبودية لأنه ﷺ العبد الأول والأوحد لذات الله ﷻ، ولذلك أمرنا أن نقول: (وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله) وقد رُوي أن سيدنا عمر ﵁ صعد المنبر ليخطب الجمعة بالمسلمين فحمد الله ثم أثنى عليه وقال:

(كنت أرعى غنما لخالتي بقراريط من الأجر وكنت أسمى عميرا، واليوم صرت أسمى عمر وأُدعى أمير المؤمنين، ثم نزل فقيل: يا أمير المؤمنين ما هذا؟ قال: إن نفسي حدثتني أني صرت شيئا فأحببت أن أضعها)

فهو حارس لنفسه، لذا يجب أن يحفظ نفسه من الكبر والزهو والعجب والخيلاء وغيرها من موانع العطاء من الله ﷻ، وسيدنا عثمان وكان من الأثرياء والوجهاء، ذهب يوماً إلى البرية - أي الصحراء - وجمع حطباً وحمله على ظهره ودخل به المدينة، وأرادوا أن يحملوه عنه فرفض حتى وصل إلى السوق، ورآه أهل السوق فقالوا: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال:

(نفسي حدثتني أني صرت شيئا فأحببت أن أضعها)

وهذا الذي جعل بعض العارفين يمشي بعضهم لابساً الخيش أو الحديد، أو يمشي حافياً ... كل هذا لماذا؟ ليضع نفسه، وجهاداً لنفسه، ليصل لدرجة العبودية، ويتجمل بجمال العبودية لرب البرية ﷻ، فأنت تستطيع أن تختبر نفسك اختباراً بسيطاً، إذا كنت في جمع، واستعصت عليك نفسك أن تقوم وتخدم هذا الجمع، فاعلم أنه لا فائدة منك، وإذا رأيت نفسك أفضل من أى شخص في هذا الجمع فأنت لا تصلح في هذا الطريق، فأنت ما تزال تري نفسك، وإذا كنت كلما تجلس في مكان ليس لك حديث غير (أنا) أنا كذا وأنا كذا وأنا رأيت وأنا عملت كذا ... فقد قالوا: (من قال أنا فقد نأى) وأول من قال أنا هو إبليس.

لكن إذا كنت أنت ترى نفسك أقل الناس شأناً إن تخلى عنك مولاك، وأعظم الناس إن مولاك دعاك، يعني أنت بالله لا بنفسك، وترى كل توفيق في أي قول أو صوت أو عمل أو سفر فإنما هو عناية من الله، مع أنك لا تستحق ذلك لو حاسبك الله على ذنوبك، فهذا هو حال العارفين، ولذلك تجد العارفين دائما في أوصافهم في آخر أقوالهم يعيب نفسه، فيقول الإمام البوصيري في آخر البردة:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به   وما استقمت فما قولي لك استقم

يقول لنفسه: أنا أمرتك بالخير وأنا لم أفعله، وأقول لك: استقمي وأنا لم أستقم، ونرى رجلا آخر من الصالحين يتحدث عن نفسه فيقول:

أغير تَقي يأمر النـــاس بالتقـــى   طبيب يداوي والطبيب سقيم

فكانوا يرون أنفسهم دائما في عجب أو في ندم:

يرون الذنوب والعيوب ويخافون أن يحاسبهم عليها علام الغيوب، فيمنع عنهم كل عطاء يعطيه لعبد محبوب، نعم فحقيقة لو أن الله حاسبنا على ذنب واحد حساب عدل سيهلك الإنسان، لكن لو حاسبنا بالفضل فيا هنانا، ونحن طامعون في فضل الله جل في علاه.

لذا يجب عليك أن تحرس نفسك من الذنب والكبر والفخر والخيلاء والإعجاب بالنفس، لأن هذه هي الأوحال التي تمنع عنك عطاءات الرجال!!

وكن حارساً لقلبك ومنتبهاً له أن يدخل فيه غير مولاه، فهذا هو الموضع الذي به نظر الله وعناية الله ورعاية الله، فيقول سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه:

(حرست قلبي اثني عشر عاماً فكنت بواباً على باب قلبي لا أسمح بدخول أحد فيه غير ربي ثم تنعمت بعد ذلك).

فهذا جهاد من أراد أن ينال ما نالوا، وأن يحصِّل ما حصَّلوا.

هذا باختصار شديد منهج أهل التحقيق، وأوصاف أهل الطريق؛ لمن أراد أن يكون من هذا الفريق، وأن يكون في عطاء الله وفيوضات الله وإكرامات الله عز وجل غريق.

الوصل الرابع: الولي المرشد[23]

سألنى أحد الإخوة هل من ضرورة لوجود الشيخ المربي، وخاصة بعد زيادة كتب العلم وانتشار الفضائيات والإذاعات وتلقي الناس للثقافات وكل إنسان يستطيع أن يقرأ ويعرف ما له وما عليه؟ الحقيقة إن وجود الشيخ المربي أمر إلهي من سنن الله ﷻ التي أجراها قبل خلق الخلق:

أمـلاك ربي لهـم شيـخ يعلمهــم فكيف لا تطلبون الشيخ بالهمم؟

حتى الملائكة لزمهم الشيخ، وقال له الله: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ (٣٣البقرة)

فكان آدم هو شيخ الملائكة.

علامات الشيخ المربي

والشيخ له علامات في كتاب الله، وله وظائف يقوم فيها مقام حبيب الله ومصطفاه، وأول علامة من علاماته هي قول الله ﷻ:(١٠٨يوسف)

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾

---

[23] الرزيقات قبلي – الأقصر ٢٠١٢/١١/١١م

لا بد من وجود البصيرة ، فالذي معه علم وليس معه بصيرة أصبح مثل الصيدلي الذي في الصيدلية عنده الدواء ولكنه لا يكتب روشتة الشفاء، الذي يكتب الروشتة هو الطبيب الذي معه السماعة ومعه السونار.

فالذي معه الكشف من الواحد الأحد يسلطه على القلب والنفس فيعرف عيوبها ويحدد داءها، ويستخرج لها من كتاب الله ﷻ ما به شفائها، فالقارئ حتى لو كان معه سبع دكتوراة، هل يعرف داءه ليأخذ العلاج المناسب له؟ لا، بل يكون كالمريض الذي يذهب للصيدلية من نفسه ويأخذ أدويه عشوائية ويجرب في نفسه، يأخذ هذا الدواء فلا ينفع فيجرب غيره، وهل الإنسان لديه كثير في حياته حتى يستهلكها في التجارب؟!.

العمر قصير والمطلوب عظيم وأنفاسك نفائسك، نحن لا نريد أن نخرج من هذة الحياة إلا بعد أن نصل إلى حضرة القرب من القريب جل في علاه، الإمام على رضي الله عنه وأرضاه عندما سألوه: هل تتمنى لو أنك كنت مت صغيراً؟ قال: لا، لأني عشت حتى عرفت الله جل وعلا.

والذي مات ولم يعرف الله ماذا أخذ من الدنيا؟ لم يأخذ شئ .. نحن لماذا جئنا إلى الدنيا؟

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦الذاريات)

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: معنى ﴿ لِيَعْبُدُون ﴾ أى ليعرفون ...

لمعرفة الله، لأن العبادة فقط تقوم بها الملائكة، وهل يوجد واحد من البشر يستطيع أن يصل إلى عبادة واحد من الملائكة لله ﷻ؟ لا، إذن المقصود بالعبادة هنا معرفه الله، ولقد قالوا:

(من مات ولم يعرف الله فذاك الشقى).

والشرط الثاني لهذا الطبيب أن يكون معه إذن من الحبيب المحبوب ﷺ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ (٤٦الأحزاب) لماذا؟ لأنه يوجد في الكون كثير من المؤمنين منورين، ولكن كثير منهم مشغول بهذا النور، ولا يستطيع أن يعالج غيره، أو يقدم له العلاج المناسب، وهذا ولي، لكن نحن نحتاج إلى الولي المرشد: ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (١٧الكهف).

فرق بين الولي والولي المرشد، الولي المرشد هو الذي لديه إذن من الله عن طريق حبيب الله ومصطفاه ﷺ, وأعلمه الله سبل الوصول إلي حضرته: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت) ولذلك عندما يذهب إليهم الواحد منا يقول له أنت منهجك كذا, ويقول للأخر أنت تفعل كذا, وأنت طريقك كذا, وأنت شفاؤك في كذا، وأنت دواؤك في كذا .... أدوية مختلفة, ويقول في هذا المقام ابن البنا السراقسطي ﵁ وهو من أشبيلية في أسبانيا، نسأل الله أن يردها إلى الإسلام بأهلها:

إنمـــا القـــــوم مسافـــــرون إلى حضـــرة الحـــق وظاعنون
فاحتاجوا فيـــه إلى دليـــــل عالـــم بالسيـــر وبالمقيـــل
قـــد سلك الطريـــق ثـــم عاد ليخبـــر القـــوم بمـــا استفـــاد

من يستطيع منا الآن أن يذهب في الصحراء حتى يصل إلى طرابلس بليبيا بدون دليل، ولم يسبق له عمل ذلك من قبل؟! أو حتى لو أراد أن يذهب إلى السودان, هل يستطيع بدون دليل؟! لا أحد يستطيع ذلك, فلا بد إذن من دليل، والدليل يكون عارفاً بالمحطات, وعارفاً بالمعوقات التي تعيق السالك عن طريق الله، ويعرف الحجب التي تحجبه عن حضرة الله, ويعلم الموانع التي سوف تمنعه من فتح الله جل في علاه, فينبهه,ويوجهه ويسدي له النصح, فإذا سار على هذا المنهاج وصل إلى ما وصل إليه ذلك المرشد بإذن الله.

أما الشرط الثالث بعد أخذ الإذن من الحبيب ﷺ, أن يكون معه وراثه: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ (٣٢فاطر) ليست وراثه أنساب, ولا وراثه أحساب, وإنما وراثة الكتاب، وأين يوجد الكتاب؟ سيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بعد ولادته مباشرة بعد أن ذهبت والدته به إلى قومه سألوها: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (مريم) أى كتاب آتاه وهو وليد؟! هل هو الإنجيل؟ لا إنه كتاب آخر، وهو كتاب الحقائق الإلهية الذي خصَّه الله للأنبياء والمرسلين.

والورثة الصادقين الذين اجتباهم واختارهم من أمة سيد الأولين والآخرين ﷺ لا بد أن يكون معهم المواهب التي وهبها الله للعبد الصالح الذي أمر الله كليمه سيدنا موسى ليذهب إليه ليتعلم على يديه, هل كليم الله يحتاج إلى تعليم؟! وعندما ذهب إليه, قال له: ياكليم الله أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت, وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا - وإذا بعصفور يهبط على البحر ليشرب - فقال له: وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا لعصفور من هذا البحر.

ما العلامة التي أعطاها الله لسيدنا موسى ليعرف بها العبد الصالح؟

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)

ولننتبه لنقطه مهمة, وهي أنه أخذ نصيبه أولاً من الرحمة المهداة قبل العلم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء)، النصيب الأعظم

الرحمة وبعد الرحمة العلم, حتى الذي عنده العلم وليس عنده الرحمة, لا يجوز له أن يمارس الحكمة الالهية, وتطبيب القلوب, وعلاج النفوس, وتقريبها من حضرة المليك القدوس ﷻ، إذن لا بد من الرحمة أولاً, كما قال سيدي أبو العباس المرسي ﷺ: (الرسل والأنبياء أشعة رحمة الله ﷻ وسيدنا رسول الله ﷺ هو مصدر هذه الرحمة)

لا بد أن تكون معه الرحمة والعلم اللدني الوهبي, لأن هناك الكثير من قُطَّاع الطريق في زماننا وفى كل زمان، ليس قُطَّاع الطرق التي نمشي عليها أو نركب فيها، بل قُطَّاع طريق الله أكثر, يقرأوا ويحفظوا كلام العلماء الذين تكلموا بالعلم الوهبي أمثال ابن الفارض، والشيخ القشيري, والشيخ الجيلاني ... الكلام الدسم في معناه، ويتكلموا به للناس ليقولوا هذا هو العلم الوهبي الذي أعطاه لنا الله.

هذا ليس هو العلم الوهبي, العلم الوهبي هو الذي يصادف ما يشكو منه المريد, تتجلى في حقائق، وكأنك خرقت الرقائق، واطلعت على الدقائق التي يريدها, فكاشفته بها, وشرطه ألا يخالف شرع الله في قليل أو كثير, فليس هناك علم وهبي يخالف العلم الشرعي، لأن العلم الوهبي ثمرة العمل بالعلم الشرعي, مثل الزبد بالنسبة للبن, متى نحصل على الزبد,عندما نخض اللبن, وكذلك عندما يعمل الإنسان بما علم، وذلك مجمل ما قاله ﷺ: { مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ أَوْرَثَهُ الله عِلْمُ ما لَمْ يَعْلَمْ } ٢٤

فيأتيه العلم الوهبي من الوهاب, والعلم الوهبي يجعله يعرف الداء والدواء, وما يعاني منه الأحباء فيعالجهم, وليس المهم أني أتكلم وأخطب في الناس, وفى نهاية الدرس لم يستفد أحد منهم في شيء, فليس هناك وقت ليضيع فيما لا يفيد لأننا مسافرون إلى الله, ونأخذ بأيدينا معا لنذهب إلى الله, لندخل في قول الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴾ (٨٥مريم) والذين يدخلون إلى الرحمن ليس واحد فقط بل وفد ووفود مع بعضهم.

٢٤ أخرجه أبونعيم من طريق أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون.

التزكية والتصفية

هذا المربي النوراني القرآني لا بد منه لمن أراد الفتوحات الربانية, والفيوضات الإلهية, والعطاءات القدسية, والنظرات الحنانية من الحضرة المحمدية, وهذا العلم الذي أشرنا إليه لا يوجد في الكتب ما يوصل إليه, ماذا يوجد في الكتب؟ الكتب يوجد بها الأعمال التي توصل إلى المنازل في الجنات عند الواحد المتعال, عدد الحسنات من يأخذ ٧٠ أو ٧٠٠ وهكذا: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٢٦١البقرة).

كشف الحجاب، والحصول على اللطائف الإلهية، والوصول إلى درجه الأنس برب البرية, والوصول إلى درجه أن يكون هناك صلة وصل بينه وبين خير البرية, هذه الأمور ما الأعمال التي توصل إليها؟ هناك من يقول إنه عندما يصلي على حضرة النبي مائة أو مائتين مرة من الممكن أن يراه, لا، ليس هذا شرط، ولكنه فضل من الله ومنة وكرماً من رسول الله ﷺ، لا يساويه عمل، وليس هناك في هذه الدنيا ما يساويه من مجاهدات: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٧٤آل عمران) منّة منه ﷻ, يختص بها من يشاء من عباده، ولا يُسأل عما يفعل.

هل هناك شخص يستطيع أن يتعلم حرفه أو صنعة ويبدع فيها ويصبح فيها خبيراً ويُشار إليه بالبنان بدون معلم لهذه الصنعة؟ طبعاً لا يوجد, كذلك هل يوجد أحد يستطيع أن يقرأ القران قراءة وتلاوة صحيحة بدون معلم للقران؟ لا، فهذه سُنَّة الله ﷻ ... فعندما يطمئن قلبي لأحد من الصالحين الذين أكرمهم الله بالفتح لما وجدته عنده من عطاء الله وإكرام الله, وأنا روحي من قبل القبل تعشق هذه الكمالات, وتتشوق إلى هذه الجمالات, وتتمنى هذه العطاءات, وتتوسل بكل وسيله إلى الله لتحظى بهذه الهبات, ماذا أفعل؟ أبحث عن شخص من أهل هذا الفضل, لأعرف منه كيف أصل إلى الله؟ وكيف أنال إكرام الله؟ وكيف استحق عطاء الله؟.

وحتى أصل إلى ما وصل إليه لا بد من التسليم بالكلية إليه, هل رأيت حداداً أو نجاراً أو صاحب أى حرفه يستطيع أن يتعلم من غير شدة عليه؟! ولكن الذي يريد أن يتهنى أو يتدلل عند صاحب الحرفة هل سيتعلم؟! هل إذا ذهب صبي إلى الحداد وجلس على كرسي لكي يتعلم, هل هذا يفيد في التعلم؟ لا, لا بد من أن يلبس ملابس العمل اللائقة ويرفع في الحديد, وقد يضربه معلمه, فلا بد من هذا في تعلم الصنعة, لماذا؟ حتى يهذب النفس.

والمرشد المربي هو الذي يشرف على جهاد النفس, حتى تطهر النفس ويذهب عنها كل لبس, ويصفو الفؤاد, ويطيب القلب, وإذا صفا القلب أصبح صالحاً لنزول التجليات الإلهية, والعطاءات الربانية, فسأل له شيخه وهو قريب من القريب, وهو له يستجيب، أن يمن عليه بعطاءه لأنه حبيب, ولذلك تجد معظم العطاءات بسبب دعوات صالحات دعا بها أحد الصالحين لكُمَّل المريدين, بعد أن رأى منهم الإجابه والإستجابة في السير على المنهاج القويم لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

سرج الدنيا

وهؤلاء المربين لا بد من تواجدهم في كل زمان ومكان, وفيهم يقول الله ﷻ في القرآن: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾ (١٠٦البقرة) لأن ظهور هؤلاء النجوم إثبات لدوام النبوة المحمدية, فالكرامات التي يجريها الله ﷻ على أيديهم يثبتونها لرسول الله ﷺ, وهم يتبرءون منها, كل كرامه تجري على يد ولي من أولياء الله لأمه حبيب الله ومصطفاه, هي في الأصل لرسول الله ﷺ.

ولما كان ﷺ نبياً ورسولاً إلى آخر هذا الزمان, كان مقتضى ذلك أن يظهر فى كل عصر إكرامات شبيهة بالمعجزات, يراها المؤمنين والمؤمنات, سمِّها كرامات, سمِّها آيات, سمِّها توفيقات, حتى يعلم الناس علم اليقين أن أمر هذا الدين حق حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك لاتخلو منهم أرض الله في أى زمان أو مكان حتى تكون لله الحجه البالغه.

الحي القائم

قد يقول البعض وهل يستطيع الإنسان أن يصل إلى ذاك الذي قلناه على يد ولي صادق انتقل إلى جوار مولاه ﷻ؟ قد يكون ذاك لقليل رفعت عنه الحجب في حياة شيخه, وأصبح ينادي شيخه, لا يباعد بينه الممات أو تحجبه عنه مسافات, فالعلاقة التي بينهما استوت.

أما بالنسبة لنا جماعه المريدين كانت إرادة رب العالمين (الله حي قيوم ولايصل إليه واصل إلا بحي قائم) فأنا أحتاج لمن يكشف عليَّ, والذي يكتب لي روشتة الشفاء, والذي يتابعني, والذي يوجهني, والذي يأخذ بيدي, فلا بد أن يكون حي قائم.

أما الصالحون فلهم نورهم، ولهم بركاتهم، نذهب لزيارتهم, لأن الدعاء مستجاب في روضاتهم, ونتوسل إلى الله ﷻ بهم, ولكن دواء كشف الستائر عن البصائر, ودواء رفع الحجاب ليتمتع الأحباب بعطاء الله في عَلِيِّ الجناب لا بد من حي قائم مُقام من حضرة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وكان الصالحون السابقون - ولا يزالون - في كل زمان ومكان يقولون إذا جاء أوانهم بالخروج من الدنيا إلى الله ﷻ للأحباب: من لم يصل أو يتكمل على يدي فليبحث له عن شيخ حي يتكمل على يديه, السُنَّه تتطلب ذلك، سنه الله في الأرض

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ﴾ (٢٣الفتح).

سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ كان شيخه سيدي علي الخواص وكان أُمي لايقرأ ولا يكتب, ولكنه تعلم على يدي خير الخلق ﷺ, وبعد انتقاله وجد نفسه لم يتكمل, ماذا تعني لم يتكمل؟ يعني لم يرى الفتوحات والعطاءات الالهيه, ولم يتمتع بعطاءات الصالحين, ومواهب المقربين من رب العالمين ﷻ, ولذلك ذهب إلى سيدي الشيخ محمد الشناوي ليتلقى على يديه العلم ويتكمل, حتى اكتمل على يديه في الوصول الى الله ﷻ.

ذلك طريق الصالحين، وسنه السلف الصالح للذي يريد الفتح, ولكن الذي يريد الجنه فطريقها سهل, فقد ورد عن رسول الله ﷺ عندما سأله أحدهم عن الإسلام، فقال ﷺ:

{ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لا إِلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لا إِلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لا إِلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ }[25]

[25] الصحيحين البخاري ومسلم وسنن أبي داود عن طلحة بن عبيد الله ﷺ

إذا امتنع الانسان عن معاصى الله, وأقام الفرائض وأدَّى ما عليه من الحقوق لعباد الله، وأدَّى ما عليه من واجبات لمولاه يصبح في الجنه إن شاء الله, ولكن الجنة شيء, ورب الجنه شيء آخر, فهناك فارق بين من يريد الجنه ومن يريد رب الجنة: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف).

فالذي يريد الله وفتح الله وعطاء الله, فلا بد من ولي مرشد يسلم له نفسه ويأخذ بيده حتى يوصله إلى مقام القرب الأعظم ويقول له: ها أنت وربك، فإذا دخل الرحاب وأصبح من الأحباب, يفتح عليه الوهاب، وقد يقيمه هو أيضاً رجلاً يوصل الأحباب إلى هذا الباب, عطاءات الله لاتنتهي، لكن هذا سبيل الله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (١٥٣الأنعام) لم يقل امشوا عليه ولكنه قال (فاتبعوه) إذن الصراط المستقيم هو رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ (١٥٣الأنعام).

الوصل الخامس: روشتة المرشد[26]

إذا كان معي روشتة من طبيب الباطنة، ومعي روشتة من طبيب العيون، ومعي روشتة من طبيب القلب، فإني أداوم على تناول الدواء، وكذلك يجب أن يكون معي روشتة أمشي عليها من الطبيب الحكيم الرباني، إذ لا بد لكل سالك أو مريد من روشتة، والحقيقة يجب على كل سالك أن يعرف ما الروشتة التي يمشي عليها؟ وهل كل واحد يختار الروشتة الخاصة به، أم يذهب للصيدلية مثل العوام ويقول للصيدلي أريد دواء كذا وكذا ويؤلف لنفسه روشتة؟ مع الأسف فإن كثير من إخواننا يؤلف ويخترع الروشتة الخاصة به من نفسه! على أى أساس يفعل ذلك؟! لا أعرف، ومن ليس له روشتة فسيظل كما هو ولا علاج له، ولا يأتي العلاج إلا عند: ﴿ فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾ (22ق) فماذا يفعل؟.

شفاء القرآن للقلوب

إذن يجب أن يكون له في الدنيا روشتة يمشي عليها مصداقاً لقول الله:

---

26 بورسعيد – مسجد الغفران – الجمعة 28 من محرم1433هـ 23/12/2011م

﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ لم يقل وأنزلنا ولكن وننزل بصيغة المضارع المستمر إلى يوم الدين، من أين؟ ﴿ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ من معاني القرآن ومن بيان القرآن ومن أسرار القرآن ومن أنوار القرآن، وذلك على حسب ما يحدد الطبيب الروحاني، فهناك من يعطيه من البيان، وهناك من يعطيه من المعاني، وهناك من يعطيه من الأسرار، وهناك من يعطيه من الأنوار، وهناك من يعطيه من اللطائف، كلٌ على حسب حاله، لأن القرآن واسع وليس شيء واحد: ﴿ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء) ولم يقل للمسلمين، وذلك لأن المسلمين يكتفون بالفرائض الخمس، وعندما قال واحد منهم لرسول الله: لا أزيد على الفرائض الخمس، قال ﷺ:

{ أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ }٢٧

لكن الذي يريد المزيد من الحميد المجيد هم المؤمنون، وذلك لكى يرتقوا إلى مقام المحسنين، وبعد ذلك يرتقوا إلى مقام الموقنين، وبعد أن يصلوا إلى اليقين يريدون أن يكونوا أفرادا متمكنين، وبعد أن يصبحوا أفراداً متمكنين يريدون أن يكونوا من الوارثين، إنها درجات: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران)

٢٧ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن أبي داود عن طلحة بن عبيد الله ﷺ

لم يقل لهم درجات – وانتبهوا للآية – فهم أنفسهم درجات، فكل واحد منهم درجة من درجات القرب.

إذن يجب على كل سالك أن يكون معه الروشتة الخاصة به، ولا بد أن يمشي ويداوم على هذه الروشتة، وبعد كل فترة يجب أن يرجع إلى الطبيب، لأن الطبيب قد يحذف أمراً أو يضيف أمراً آخر.

السراج المنير

ويظل الإنسان سائراً على هذا المنهاج إلى أن يصل إلى السراج المنير ﷺ، وعندما يصل إلى السراج المنير فإن العلاج هناك بالليزر وليس بروشتة أو بدواء، كما قال الله لرسول الله: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٥الصافات) ماذا يفعل الليزر وما خاصيته؟ إنه عبارة عن مجموعة أشعة يسلطها الطبيب على الجزء المراد علاجه من العين أو غيرها، فتقطع قطعاً دقيقا بدون نزيف، ولكن قطع ولحام فوري.

فهل هناك شيء يستطيع أن يفتح البصيرة من الأغيار التي عليها، والأوزار التي تراكمت عليها، والأهواء التي غطتها سوى الليزر المحمدى؟!! ولذلك عندما تسلط أشعة الليزر المحمدية على عين البصيرة فإنها تزيل كل غشاوة وكل ران وكل غين وكل بين، وتصبح مضية،

ولذلك قال له حضرة الله: ﴿ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴾ أى عندما تُشَغِّل الليزر الداخلي الخاص بك وتُسلِّط الروحانية والنورانية والشفافية على عيون هذه البصائر فإنها تفتح وتزال عنها الغشاوة.

وانظروا إلى الرجل الذي أمسك بالسيف وقال إني ذاهب لأقتل محمداً لأخلص العرب منه، وعندما وصل إليه نظر ﷺ له نظرة بعين الرضا: (نظرة بعين الرضا تجعل الكافر وليا وتجعل الشقي تقيا) بمجرد نظرة واحدة:

لو نظرة منـــه لإبليس انمحــت عنه الشقـــاوة بالعطـــا المدرار

ولذلك تَعَرَّض له في ليلة المعراج وقال:

يا رسول الله انظرني – أى أنه يريد نظرة – وإني أعجب وأتعجب من الغافلين الذين يُحَرِّمون النظرة، ألم يكن يطلبها الجميع في ليلة القرب من رسول الله؟ نعم، فالدنيا طلبتها واليهود طلبوها وإبليس طلبها وداعي النصارى طلبها، وقد قال الله للجميع: ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ (١٠٤البقرة) ولكنها نظرة بعين الرضا، وبمجرد أن أخذ الرجل النظرة قال ﷺ: { لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ }٢٨

٢٨ أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن عقبة بن عامر.

وهذا يعني أن سيدنا عمر وصل إلى درجة النبوة في القرب من الله بنظرة من رسول الله، فما الفتح الذي أتاه بعد هذه النظرة؟ قال ﷺ:

{ قَدْ كَانَ فِيمَنْ خَلا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي هَذِهِ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ } ٢٩

ومحدثين أى ملهمين، ولذلك كان الذي يقوله يؤيده القرآن.

الشورى الإسلامية

ومع أنه كان على هذه الشاكلة وينزل القرآن على رأيه إلا أنه لكى يُعلِّم من حوله اختار منهم مجموعة، وكان لا يعمل أى عمل إلا بعد أن يتشاور مع هذه المجموعة وهم أهل الحل والعقد، فهل كان يحتاج عمر إلى المشورة؟! لا، وكذلك سيدنا رسول الله كان لا يحتاج إلى المشورة، وقد قال ﷺ في ذلك:

{ أَمَا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَنِيَّانِ عَنْهَا } ٣٠

والأمر كله أنه كان يريد أن يُعلِّم من حوله، فإذا كنا نحن لا نتشاور فمن أين يتعلم الناس المشورة؟! لا بد وأن يتشاور الإنسان في بيته مع أولاده وبناته وزوجته لكى يعلمهم النظام الإسلامي، وكذلك يتشاور في العمل مع من حوله ومع من تحته حتى وإن كنت رئيساً لمجلس الإدارة،

٢٩ صحيح البخاري عن عبدالرحمن بن صخر.
٣٠ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن عباس ﷺ

فإن المرؤسين أحياناً يكون عندهم خبرة أكثر مني في أمر من الأمور، فلا يوجد ديكتاتورية في الإسلام، وكذلك مع الأحباب لا بد وأن أشاورهم في كل صغيرة وكبيرة كى نعلمهم المبدأ الإسلامي وهو الشورى حتى وإن كنت أثق في رأيي، لأنه لن يصل واحد منا لمرتبة سيدنا عمر.

وقد تكلم سيدنا الحسن البصري ﷺ مع أهل البصرة في يوم وقال لهم فيما معناه: (أراكم تفعلون الشيء تستهينون به ولو كان في عهد عمر لجمع له أصحاب بدر يستشيرهم) ... إذن فقد كان عند عمر ﷺ مجلسين، الأول هو أهل الحل والعقد وهو مجلس صغير مثل مجلس الشورى، والثاني هو الجمعية العمومية أومجلس النواب وهم أهل بدر الذين كان يستشيرهم في الأمور الخاصة والهامة، والمجلس الصغير الذين هم أهل الحل والعقد كان يستشيرهم في الأمور العاجلة التي تحتاج إلى حكم سريع، أما الأمور التي تحتاج إلى تدقيق وتمحيص وقرار لا رجعة فيه فإنه كان يجمع له أهل بدر.

إذن لا بد وأن يكون لكل واحد منا روشتة ربانية، كما له روشتة في الأمراض الجسمانية، والذي يمشي على حسب حظه وهواه في الأمراض الجسمانية ولا شأن له بالأطباء، ويأتي بالعلاج الذي يعجبه أو الذي يسمع عنه من أهل الخبرة لا يحدث له الشفاء، بل إن الداء ربما يزيد وهو لا يدري، وفجأة يجد أن الأمر قد خرج من نطاق السيطرة، وتتدهور صحته، وعندما يذهب إلى الطبيب يقول له لقد تأخرت.

وكذا الأمر بالنسبة لطب القلوب، فالكسالى والمتواكلين والمنتسبين إلى أهل الطريق الذين يقولون: خليها بالبركة، أو خليها على الله، ما قَدَّره الله سيكون ويتركون العمل نقول لهم: ألا يلزم الأخذ بالأسباب؟ هل الثلة المباركة التي اختارها النبي ﷺ من حوله من الأحباب، الذين أمرنا مسبب الأسباب أن نتأسى بهم كى نصل إلى مثل حالهم تركوا الأسباب؟ على من نضحك يا أحباب؟! هل على أنفسنا أم على غيرنا؟! مع الأسف نضحك على أنفسنا، ولذلك قال القائل: (ما أكثر المنتسبين إلى أهل الله وما أقل السالكين لطريق الله ﷻ).

وانظروا إلى الموالد والجم الكبير فيها، والذي قد يصل إلى ملايين، ولكن عندما تحصر السالكين في وسط هؤلاء تجد واحد أو أربعة وذلك على حسب المولد وعلى حسب الجمع الموجود فيه، وقد كان هذا حال الأئمة قديماً وحديثاً، فقد كان الإمام من هؤلاء حوله أتباع كثيرين محبين لكن من منهم الذي يمشي على المنهاج؟! نفر قليل وأناس معدودة، وقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ في ذلك: (ربيت في زمني رجلين ونصف) أما الباقين فتجد منهم ربع رجل أو ثمن رجل وذلك كله بسبب الهوى الذي هو آفة النفوس.

ومن اتبع الهوى فقد هوى، وليس له عند الصالحين الصادقين دوا، وذلك لأنه يمشي على حسب حظه وهواه، وكلما أعطيته روشتة يأخذها ثم يلقي بها في سلة المهملات، فماذا تفعل لمثل هذا؟! عندما يذهب المريض ثلاث أو أربع مرات للطبيب وفي كل مرة لا يستعمل الروشتة فإن الطبيب في النهاية يقول له لا تأتيني بعد الآن وذلك لأنه لا فائدة فيه.

إذن يجب أن يكون المؤمن:

صاحب عزيمة مضية!!

وصاحب إرادة صلبة قوية في المتابعة للحضرة المحمدية إذا أراد أن يكون من أهل الخصوصية!!

أما إذا أراد أن يكون من العموم فنحن جميعاً والحمد لله من أهل العموم وجميعنا من المحبين، وأعلى منهم في دائرة العموم شأناً هم العجائز وكبار السن الموجودون في المنزل، لأنه لا تجد أحداً من الشباب الموجودون الآن حتي الوعاظ منهم يملك المحبة التي يملكها العجائز وكبار السن الموجودون في البيوت، فهم أعلى الناس قدراً في باب المحبة، فهي محبة صادقة أخذوها من نبعها.

إذن لا بد للإنسان من روشتة ربانية نورانية يأخذها من الطبيب الأعظم ﷺ، أو ممن كلفه بالنيابة عن حضرته بالعلاج في عيادته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى

مفاتح خزائن الجود الربانى

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل السادس: جهاد النفس

(الانتصار على النفس – هواجس النفس – مواطن تسويل النفس – النجاة من بدوات النفس – حقيقة جهاد النفس)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل السابع: قلب المؤمن

(حياة القلب – مفاتيح الخيرات – الأرزاق بالنوايا – نعمة التواضع – مفتاح الإنكسار لله)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الثامن: حب رسول الله ﷺ

(صفات العالم العامل – حقيقة الحب لرسول الله ﷺ - سر المحبة)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل التاسع: الورع

(طريق الورع – المحاسبة)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل العاشر: المؤمن قدوة

(اتقان العمل – عفة اللسان – الصدق في التعامل – أنموذج المؤمن التقي – الإسلام ولطف المعاملة – الذوق الإسلامي الرفيع – إخلاص العمل لله)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الحادى عشر: الخُلُق العظيم

(التخلق بالأخلاق الإلهية – باب الفتح – ثمار تلاوة القرآن)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الثانى عشر: سلوكيات الصادقين

(بين الروحانية والمادية – المؤمن قدوة طيبة – ثمار الأعمال الصالحة – شفاء القلوب بسنة الحبيب المحبوب – جهاد الصادقين)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الباب الثانى
مفاتح خزائن الجود الربانى

الوصل السادس: جهاد النفس[31]

يروى فى الأثر أن جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كان ينزل باستمرار يجلس مع رسول الله يتحدث معه، فسأله مرة: أى ليلة عندكم في الأرض أفضل؟ فقال: ليلة القدر، فقال: لكن عندنا في السموات الملائكة تحتفي بليلة الهجرة وليلة بدر، فالملائكة لهم ليالٍ وأيام يبتهجون بها ويفرحون بها ويستشعرون بفضل الله ﷻ في إحيائها جماعة ... الملائكة المقربون وأهل الملأ الأعلى من المسبحين والمقدسين والمهللين لله ﷻ.

فليلة الهجرة من ليالي الفتح الإلهي لأن الله ﷻ فتح فيها على حبيبه ومصطفاه كل كنوز نصر الله ﷻ، ونحن جميعا نريد كنوز نصر الله، ونريد أن نحيي هذة الليلة فنستمطر الفضل من الله، ونستمد النصر من الله، لكن على أنفسنا أولاً ثم على الكافرين ثانياً.

---

31 أولاد الشيخ ـ الأقصر ـ الأربعاء ١٤/١١/٢٠١٢

الإنتصار على النفس

كما فعل رسول الله ﷺ مع أصحابه الكرام قبل أن يجهز الأسلحة والمعدات والخطط العسكرية والعمليات جهز الخطط للجند داخلياً وخارجياً، لأن السلاح من سيستخدمه؟ الجندي، لو كان الجندي معه أحدث سلاح في العالم وليس في قلبه عقيدة ولا إيمان ولا ثبات على مبدأ، عندما يرى أول شرر من الحرب سيترك السلاح ويفر هارباً، لذلك سيدنا رسول الله بدأ بتجهيز جند الله خارجياً وباطنياً، لأن الله قال لنا:

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ (٧محمد).

كيف ننصره ﷻ؟ وهل الله يخوض معركه حتى ننصره ﷻ؟! وهل يحتاج لنصرنا؟! حاشا وكلا، إذن أين ننصره؟ ننصره في أنفسنا، لأنه أعطانا النفس وأمرنا أمراً صريحاً في كتاب الله بمجاهدة النفس، أول شيء يجاهده المسلم في دنياه نفسه، ويجاهد الشيطان، والشيطان أمره بسيط وسهل، لكن المؤمنين جعلوه شماعة يعلقون عليه الأخطاء، ثم يجاهد بعد ذلك المشركين والكافرين: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت).

كيف يجاهدوا في الله؟ يجاهدوا في النفس، وما النفس؟

وكيف نجاهدها؟ لا بد للمؤمن أن يعرف أن الذي يفوز هو من يقول فيه الله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ الذي زكى نفسه، ومن الذي لا يفلح؟ قال: ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (١٠الشمس) الذي ضحكت عليه نفسه وخدعته وسيطرت عليه حتى تضله وتبعده عن طاعة الله ومتابعة رسول الله ﷺ، ولذلك سأل أصحاب رسول الله ﷺ حضرة النبي ﷺ وقالوا له: يارسول الله من أعدى أعدائنا؟ لو سُئلنا نحن هذا السؤال بعضنا سيقول اليهود والبعض الآخر سيقول الأمريكان لكن النبي قال:

{ أَعْدَى عَدُوٍّ لَكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ } ٣٢

نفسك التي في داخلك لأنها هي التي تسول لك، وهي التي توسوس لك، وهي التي تزين لك الشر والضر والحرام وارتكاب الذنوب والآثام ومخالفة الملك العلام، ومخالفة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وتأتي لك بحجج واهية حتى تخدعك بهذه الأوهام وهذة الحيل العظام، وعندما يخرج الإنسان من دنياه ويرى رصيده عند الله يجده لا شيئاً، فيبحث عن هذه الجرائم المقدمة والمسجلة من الكرام البررة فيجد أنه لم ينتبه إليها، لأنه لو انتبه لهذة الجرائم في الدنيا لطلب العفو وتاب لله.

---

٣٢ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس ﵁

لكن معظم هذه الذنوب لا ينتبه لها البعض على أنها ذنوب، بل إن البعض يتباهى بها أمام الناس ويفاخر بها أمامهم، إلى أن يخرج من الدنيا فيرى هذه الذنوب: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق).

لكن المؤمن الكيِّس الفطن الذي ينتبه للنفس ولهفواتها وخواطرها وتلميحاتها وإشاراتها حتى ينال ما عند الله ويدخل في قول الله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٩العنكبوت) .... يدخل في معية أهل الإحسان الذين أحسنوا العمل مع الله، ... لأنه جاهد نفسه.

سيدنا رسول الله ﷺ هدَّده الروم بأنهم سيرسلون إليه جيش مكون من أربعمائة ألف جندي إلى المدينة ليقبضوا عليه ويأخذوه، لكنه ﷺ كما تعلمون أن خاتم النبوة الذي على ظهره في الجهة اليسرى مقابل القلب مكتوب فيه بالشعر: (توجه حيث شئت فإنك منصور) توجه ومعك نصر الله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ (٥١غافر).

وكان وقتها في الصيف، وأنتم تعلمون حرارة الجزيرة العربية، وكان موسم التمر لم يأت بعد، والتمر عماد الإقتصاد في المدينة المنورة، فليس معهم تمر يحملونه معهم، وليس معهم مال ليتجهزوا به، لكن رسول الله ﷺ جهز نفسه وأصرَّ على حربهم لأن الله قال له: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (١٥٩آل عمران).

وكانت المسافة حوالى سبعمائة كيلومتر، وكان من الأسلحة الإلهية التي ينصر بها الله ﷻ خير البرية سلاح اسمه سلاح الرعب، مَن الذي يستخدم هذا السلاح؟ رب العزة ﷻ يُنزل الرعب في قلوب المحاربين لرسول الله ﷺ من مسافة شهر بينه وبينهم، أى أن الذين بينهم وبين رسول الله مسافة شهر عندما يعلموا أن رسول الله قادم إليهم ليحاربهم يأتيهم خوف شديد ورعب وهلع ولا ينامون الليل ولا يهنأون بطعام، وسلاح الرعب يدمر أى قوة عالمية حتى لو كانت أمريكا وغيرها.

فسلَّط الله ﷻ عليهم سلاح الرعب، فبمجرد أن تحرك رسول الله ﷺ من المدينة خافوا وانفضوا ورجعوا، فذهب إلى المكان الذي هم فيه في تبوك شمال الجزيرة العربية وشمال الأردن فلم يجدهم، فرجع رسول الله ﷺ ومن معه، وهذا بيت القصيد الذي أنا أريده، فقال لأصحابه:

{ رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ }٣٣

وهل هناك جهاد أكبر من جهاد السيف يا رسول الله؟ قال: جهاد النفس، وبين الأصغر والأكبر هناك الصغير وهناك الكبير، لم يقل الجهاد الكبير ولكن قال الجهاد الأكبر، لأن النفس بداخلك وأنت لا تراها وربما لا تدرى بحركاتها ولا وسوستها ولا هواجسها تضل الإنسان وتخدعه وتخيبه، وتجعل الإنسان يخرج من الدنيا وقد خسر طاعة الرحمن ومتابعة النبي العدنان فيخيب: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (١٠الشمس).

هواجس النفس

كيف تدخل النفس للإنسان؟ النفس تعلم أن للجسم طلبات لا غنى له عنها، لا بد أن يأكل ويشرب، لكن هل هناك مسلم يستطيع أن يأكل ويشرب على هواه؟ لا، لا بد أن يرى لائحة الأكل التي صرَّح بها الله، ويبعد عن لائحة الأكل التي حرَّمها الله، وكما ترون النفس ضحكت على معظم المسلمين في زماننا هذا، فتحثهم على الغش في الكيل والغش في الوزن، وهل هذا الغش أباحه الشرع أو صرح به الحبيب؟! لا، فلماذا تفعله؟ النفس ضحكت عليه؟.

٣٣ ذكرَ الْحَدِيثَ فِي الإِحْيَاءِ، وَنَسَبَهُ الْعِرَاقِيُّ إِلَى الْبَيْهَقِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ﵁

ولو وجد الناس رجلاً يمشي بما يرضي الله بالقسطاس المستقيم يقولوا له: (أنت ستفقر أولادك وتضيعهم) يعينوه على المعصيه، ويقفوا مع نفسه عليه بدلاً من معاونته على طاعة الله، فيبيح لنفسه ما حرَّمه الله ﷻ، وهذة هي المصيبة الكبرى التي حلت بمجتمعات المسلمين في هذا الزمان، لأن كل واحد يريد أن يأكل على هواه وبالطريقة التي تناسبه ولا يرجع إلى شرع الله ولا إلى سنة رسول الله ﷺ.

قال لنا الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ ﴾

(١٧٢البقرة) كلوا الطيبات، أما الأشياء الأخرى فقد منعها الله لأنها خبائث، فيها مرض وداء، وفيها ما فيها من الأضرار التي لو علمناها لابتعد عنها الأشرار فضلاً عن الأخيار، ولذلك منعها العزيز الغفار ﷻ، لم يمنعها لأنه يريد أن يحرمنا، وإنما مثل الطبيب الذي يمنع مريضه من صنف من الطعام لأنه يعلم أن هذا الطعام سوف يضره ولو أكله لن يأتيه الشفاء.

فالخالق ﷻ وهو أولى بنا منا، وأرحم بنا منا، منع منا كل ما فيه ضرر لنا في الدنيا، وفيه عذاب لنا في الآخرة حرصاً علينا، لأنه ﷻ أحرص علينا من أنفسنا على أنفسنا.

كذلك النفس تعلم أن الرجل لا بد له من امرأة، والمرأة لا بد لها من رجل، وهذا تقدير الله لدوام هذة الحياة، لكنه لم يترك الأمر على المشاع فجعل نظاماً نزل به المهندس العظيم، وهو الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، خطبة شرعية، ثم عقد زواج، ثم زواج يتم على شرع الله جل في علاه، والذي لا يمتلك إمكانات الزواج أعطاه النبي ﷺ روشتة فقال:

{ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ } ٣٤

وكلمة (وجاء) تعني خصاء، كما نخصي الحيوانات أى لن تكون عنده شهوة في هذة الفترة مؤقتاً، لكن الشباب والفتيات في عجلة من هذا الأمر، يريدوا أن يجتمعوا على بعض بطريقة لا ترضي الله، ولا يوافق عليها شرع الله ﷻ، ويلتمسوا لبعضهم الأعذار التي تذكرها النفس في وساوسها وهواجسها، مثلاً أنا وزميلتي في الجامعة مباح لي الكلام معها إذا كان في المادة العلمية، لكن تتكلم معها فتسألها من أبوك ومن عمك ومن أختك؟ هل هذا الكلام أباحه شرع الله ﷻ؟ لا، هذه طريق سدَّها الشرع لأن الإنسان المؤمن يظل عفيف لله ﷻ.

ووضع الحبيب المختار ﷺ أسس العلاقات بين النساء والرجال حتى نمشي جميعاً في الطريق الحلال، لكن لا شأن لنا بالآخرين، لماذا ننظر للهالكين الذين جعل الله ﷻ الحياة الدنيا جنتهم وجعل الآخرة جحيمهم وعذابهم؟! لماذا نقتدي بهم في هذه الأشياء؟! لا شأن لنا بهم.

---

٣٤ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن أبي داود عن عبد الله بن مسعود ﷺ

هذه بعض الأشياء التي تدخل منها النفس للإنسان، لكن لو مشى الإنسان وأكرمه الله، وجاهد النفس في مثل هذة الأشياء، فأكل الحلال من طريق حلال، وتزوج من طريق حلال، ومشى على نهج المصطفى ﷺ سيكرمه الله ﷻ ببعض البشريات الإلهية، ربما يرى رؤيات منامية صادقة، وربما يرى الحبيب المختار ﷺ، أو يفيض الله ﷻ عليه من علومه الوهبية: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف).أو ربما يجعل الله ﷻ له

قبول عند الخلق، والقبول ليس بالعلم ولا بالكلام وإنما القبول من الله ﷻ، يضعه الله ﷻ في قلوب الأنام، قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ }[٣٥]

---

٣٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

لأنه قد يكون عالماً بعلوم الأولين والآخرين، وعندما يتكلم في درس في المسجد يتركه المصلون، لأنه ليس عنده قبول، فالقبول من الله ﷻ، لكن هناك أسباب للقبول، والسبب الأساسي للقبول هو الإخلاص لله ﷻ، لا يريد من الناس قليلاً ولا كثيراً، ولا يرجو بعلمه رياء ولا سمعة ولا شهرة ولا ثناء ولا تعظيم من الخلق، فلا يرجو بعلمه إلا وجه الله ﷻ، مثل سيدنا الإمام عليّ ؓ الذي عرَّفنا الله ﷻ نهجه في القرآن وقال عنه: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان).

لأن العلم يأتى من ملك الملوك إلى العبد حتى ولو كان صعلوك (ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب) لو الإرسال وقف ماذا نقول؟! توقف الإرسال، والإرسال يأتى من الواحد المتعال.

مواطن تسويل النفس

عندما يستقيم الإنسان على هذه الأمور تدخل له نفسه من منطقة أخرى، النفس تدخل أولاً للمؤمن العادي من باب الشهوات، المأكل والمشرب والملبس والنساء ... وغيرهم من الشهوات، إذا نجا الإنسان من هذه المرحلة لا تتركه النفس، بل تدخل له من باب آخر مثل حب الظهور، فتقول له: أنت يجب أن يكون لك شأن عند الناس، ويجب على الناس أن تعظمك وتكبرك، وإذا لم تقم الناس بهذا نحوه يحزن ويتضايق،

ويجب أن تشعر بالزهو وبالفخر وتعجب بنفسك لأنك قلت خطبة عظيمة ودرس عظيم، هذا إذا كان عالم، وإذا كان صاحب صوت يقرأ قرآن أو ينشد، فتشعره نفسه بالزهو والعجب وأن تلاوته هذه لم يتلوها أحد من قبل، مع أن هذا من توفيق الله ﷻ، مَن الذي يمسك بأحباله الصوتيه؟ هل فينا من يستطيع أن يمسك بهذه الأحبال أو يشغلها؟ لا، إلا إذا شغلها الرحمن ﷻ، فهو الذي يجعل الصوت عالياً أو يخفضه، وهو الذي يحليه.

لكن النفس تجعله يزهو ويشعر بالعجب، فإذا تكلم مع أحد يتكلم بتعالي وبكبرياء، لأنه رأى نفسه، والذي يرى نفسه أدخل نفسه في قبره، لأنه يبتعد عن فضل الله ﷻ، لذلك العلماء قالوا لنا هناك مواقف في القرآن يجب أن ننتبه لها، إياك أن تقول:.أنا كذا، أنا ابن فلان، أنا من عائلة فلان، لأن من قال أنا وهو إبليس قال له الله ﷻ: ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (١٨الأعراف) وهو الذي لم يفعل أى معصية أو ذنب، بل إنه عَبد الله اثنين وسبعين ألف سنة، وقد ورد فى الأثر أنه لايوجد موضع أربع أصابع في السموات إلا ولإبليس فيها سجدة لله .

لكن عندما أمره الله بالسجود لآدم قال: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ (١٢الأعراف) فأخرجه الله

من الجنة، لذا يجب أن تقول لنفسك: (إذا كان إبليس بعد كل هذه العبادات طرد من الجنة بذنب فكيف أطمع في الجنة وأنا كل يوم لي عشرات الذنوب؟!).

إذن ماذا أفعل؟ أداوم على التوبة والأوبة لحضرة علام الغيوب ﷻ، إذا أردت أن تكون محبوباً لله وتنال رضاه، لا بد أن تسارع إلى التوبة إلى الله جل في علاه: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (٣١النور).

ربما شخص يشعر في داخله أنه شيخ كبير، لكنه ليس معه مريدين أو تلاميذ، ويرى من حوله لديهم مريدين وتلاميذ، هذا هو المرض الإبليسي الذي يؤدي إلى الكبر، ولو تكبر الإنسان على الخلق يحرم من كل عطاءات الحق ﷻ، قال ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } ٣٦

وقال أيضاً:

{ وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ اللَّهُ } ٣٧

٣٦ صحيح مسلم وسنن الترمذي ومسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٣٧ صحيح مسلم وسنن الترمذي ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

والإنسان الذي يريد أن ينجو من هذه المرحلة لا يتكلم عن نفسه أبداً، ستحاول نفسه أن تضحك عليه وتقول له: يجب أن تحكي لهم عن نفسك كى تشجع المريدين، هذا من دسائس النفس، هل رأيتم أحداً من الصالحين يتحدث عن نفسه؟ لا، إذا تكلم عنها يشينها فقط، لكن يتكلم عن ربه وعن نبيه ﷺ، لأنك تريد من الناس أن تسير خلف رسول الله، ورسول الله يريد من الناس أن تسير لله، فإذا كنت منتبه لنفسي وحريص عليها أقول هذا من رسول الله، وهذا هو طريقه، وهذا هو باب الله قف عليه، ليس معنا إلا الإرشاد والتوجيه، لكن العطاءات والفيوضات والتنزلات والهبات هذه كلها ملك الله، أو يعطيها لمن يسلمها للخلق نيابة عن حضرته وهو رسول الله ﷺ: ﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩ص).

النجاة من بدوات النفس

إذن أنا عندما أدل الخلق أدلهم على الله وعلى منهج رسول الله ﷺ وأنسى كلمة (أنا) تماماً لأن الذي سيقف عند الأنا ويقولها باستمرار سيبعد في يوم من الأيام عن حضرة القرب من الله ﷻ، وهذا واضح في سير الأولين، وإن كنتم تريدون النماذج فعندكم دواوين الصالحين وسير المتقين ممتلئة بهذه النماذج الذين أخرجتهم نفوسهم عن الطريق القويم والمنهج المستقيم، لأنهم وقفوا عند الأنانية: ﴿ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ (٧٨القصص) أنا عندي صوت ولا صوت الشيخ فلان، أنا عندي علم ولا علم العالم فلان، أنا عندي طريقة في الخطابة لا توجد عند إنس ولا جان ... ماذا عندك أنت؟!! ﴿ قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (٧٨النساء).

كذلك يجب على الإنسان ألا ينطق بكلمة (لي) لأنها كلمة فرعون:

﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ (٥١الزخرف) لأن الذي يريد أن ينجو من النفس يجب أن يخلص من ياء النسب الموجودة في اللغة العربية، فلا يقل لي أو عندي أو بي أو مني، إذا سُئل: من أين لك هذا؟ يقول: هذا من فضل الله، من عطاء الله، من إكرام الله، خير الله وعطاء الله وبركات رسول الله ﷺ.

إذاً كلُّ فضلٍ وكلُّ خيرٍ وبرٍ يوجهه لله، كما قال الله لحبيبه ﷺ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٧٩النساء) أى خير يأتيك في المال أو العمل الصالح أو الولد تنسبه فورا لله ﷻ، إذا قيل لك: محصولك هذا العام ما شاء الله كثير، في الحال تقول: هذا فضل الله وعطاء الله وكرم الله، ولا تقول: هذة مهارتي وشطارتي لأني حرثت الأرض بطريقة كذا، واستخدمت سماد كذا، وغير ذلك، هل هذا هو الذي أخرج إليك الخير أم رب الخير ﷻ؟ إذاً تختصر الموضوع وتقول فضل ربي على يافلان.

ابنك تفوق وكان من الأوائل فتقول له: لأني كنت أتابعه وأعطيه دروس ووفرت له كل شئ، لماذا لا تنسب الفضل لله؟ انسب الفضل لله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨يونس).

إذن السالك الذي يريد أن يمر من مقامات السالكين ويدخل في زمرة العارفين لابد أن ينسب كل فضل إلى رب العالمين، ولا يعنيه أن تعرفه الناس، ماذا سيفعل لك الناس؟! وماذا معهم ليعطوك؟! اعمل لله، واعتقد في كل أعمالك أن الذي يطلع عليك ويجازيك ويكافئك هو الله ﷻ، سيدي أبو اليزيد البسطامي ﵁ قال في هذا الأمر: (رأيت الخلق جميعا موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات، ولم أر إلا الله ﷻ) صلَّى عليهم صلاة الجنازة حتى لا ينشغل بالخلق عن الخالق ﷻ، وماذا مع الخلق؟ لو أنهم كلهم بسطوا ألسنتهم بالثناء عليك فهل ستحتفظ بشهاداتهم في براويز ليوم القيامة؟! أنت تريد ثناء ملك الملوك ﷻ، أو الحبيب المختار المزين بالأنوار ﷺ.

إذن الإنسان في هذا الطور يجاهد نفسه في ترك الزهو وترك المباهاه وترك الفخر وترك العجب والإعجاب بالنفس، ويجاهد نفسه حتى لا يرى إلا حقيقة نفسه، ويرى كل فضل زاد عن هذة الحقيقة فهو لربه ﷻ، ولذلك مشهد هؤلاء القوم كما قال الله: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ (١٢المؤمنون) وهل الطين يسمع أويرى أو يتكلم؟! وقال ﷻ: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ (٢٠المرسلات) ...

أصل الإنسان إما طين أو ماء مهين، ومهين أى لا يمكن لأحد أن يشربه، وهل الماء المهين يسمع أو يبصر أو يتكلم؟! لا:

أكنت سميعــاً أو بصيراً وعالمــاً ولكنــــني أحسنـــت بالمــــدرار

إذن كل هذا من فضل الله وإكرام الله وعطاء الله جل في علاه، وأهل المعرفه يقفون دائماً عند هذه الحقيقة، لأنهم عرفوا حقيقة أنفسهم، ونسبوا كل فضل لهم أو حولهم لله ﷻ ولرسوله ﷺ، كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

كل الذي أنا فيه فضل محمد منــــه بدا وإليـــه كان وصوليـا

كل ما نحن فيه هو فضل رسول الله ﷺ، ليس معي شئ، نحن كالعامل الذي يعمل في توكيل، وصاحب التوكيل يأتي له بالبضاعة ويقول له وزع البضاعة على فلان وفلان، هل للعامل شيء في البضاعة؟ لا، وكذلك الأمر، فنحن معنا بضاعة رسول الله ﷺ، ونحن نقولها إذا وفق الموفق ﷻ، وفتح الباب، وتولانا بولايته، ورزقنا بعنايته، لو وجهنا القلب وقلنا أى كلام سينال الرضا والقبول، لكن لو لم نوجه القلب وحرر الإنسان الخطب العصماء، وجمع من هنا ومن هنا الناس، لن تسمع منه شيء، لأن الله هو الذي يوجه القلوب.

حقيقة جهاد النفس

فالجهاد في هذا المقام جهاد عظيم، وهو أن ينسب الإنسان كل فضل لله ﷻ ولرسوله ﷺ، إذا جاهدنا أنفسنا هذا الجهاد سيصلح الله أحوالنا، وأحوال البلاد، وأحوال العباد كلها، لأن الناس تحتاج حالاً إلى جهاد النفس، لكن كثر الخطباء إذا كان في القنوات الفضائية أو في الصحف أو على المنابر، لكن أين الـمُربين الذين يربوا الخلق على هذا النهج الذي جاء به النبي الأمين ﷺ؟ هذا ما نحتاج إليه الآن، الخطباء يقولون خطب عصماء، لكن أين الذي يمتنع من الشباب أو ينتهي عما نهى عنه الله؟! لأنهم لا يوجهون إلى التربية الإيمانية التي كان عليها سيدنا رسول الله ﷺ، والتي بدايتها جهاد النفس.

لو جاهدنا أنفسنا فإن كل شئ في الدنيا سيصبح طوع أمرنا، وكل شئ في الآخرة رهن إشارتنا، لأن الله ﷻ قال: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (٧محمد)

تكون للإنسان بمفرده إذا نصر الله ﷻ في نفسه، فإن الله سينصره على كل أعداءه، وتكون للمجتمع إذا كثر فيه الذين نصروا الله وانتصروا على أنفسهم وقاموا بهذة الحقيقة، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ.

ولذلك ضرب الله لنا في القرآن مثل واحد مع أصحاب رسول الله في غزوة بدر، كانوا ثلاثمائة وإثنا عشر، أو ثلاثمائة وثلاث عشر رجل، والكفار حوالي ألف، ومعهم جياد وأسلحة، والمسلمين ليس معهم إلا أربعة جياد، والأسلحة قليلة، ولا تصلح للحرب، لكن الله نصرهم، لماذا؟ بيَّن الله ﷻ لنا ذلك في كتابه فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (١٢٣آل عمران) لأنهم شعروا بضعف نفوسهم، وأنهم لن ينتصروا إلا بتوفيق الله ومعونة الله، ولجأوا إلى الله، فجاء النصر من عند الله ﷻ:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ (٩الأنفال).

ولما جاءت المعركة الآخرى وهي غزوة حنين، كان المسلمون إثنا عشر ألفاً، وكانت معهم الخيول والأسلحة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: { لَنْ نُهْزَمَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ }[38] لن نهزم اليوم لأن عددنا كثير، وهذا مرض العجب والفرح بالنفس، فبمجرد أن تحركوا كان الأعداء مختبئين في الجبال فنزلوا عليهم بالسهام، ففروا جميعاً، ولم يبق إلا رسول الله ونفر قليل، فعاتبهم الله ﷻ وقال:

---

٣٨ الحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ.

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (٢٥التوبة).

متى يأتي النصر؟ إذا عرف المرء نفسه، وعرف أنه ضعيف إلا إذا قواه القوي، وعرف أنه جاهل إلا إذا علَّمه العليم، وعرف أنه فقير إلا إذا أغناه الغني، وعرف أنه عجول إلا إذا حلاه الحليم، يعرف أنه من غير فضل الله لا يساوي شيء، يقف على بساط الفقر والذل فيتولاه الله بعزه، ويتولاه الله بفضله، ويتولاه الله بنصرته، ويتولاه الله بعنايته، ويتولاه الله بهدايته في كل أحواله ما دام لابساً ثوب عبوديته، وهذا هو الثوب الذي يريده منا الله ﷻ.

إذن الغاية من جهاد النفس أن يحس الإنسان أنه في أى زمان ومكان عبد لله، عبد فقير إلا إذا أغناه الله، ضعيف إلا إذا قواه مولاه، جاهل إلا إذا علَّمه الله، إذا مشى على هذا النهج يا هناه، لأن الله سيتولاه وينصره على من عاداه، كما نصر رسول الله وأحبابه وأنصاره والمهاجرين، لأنهم كانوا على هذا الدرب سائرين، وكلهم كانوا عبيداً حقاً لرب العالمين.

الوصل السابع: قلب المؤمن[39]

نحن في هذا العصر وقد بلغت التكنولوجيا العلمية والأجهزة المتطورة البحثية الغاية، ومع ذلك نجد البشرية في همٍ وغم وفُرقة وانقسامات وأحزاب وشحناء وبغضاء، وأحوال لا يرتضيها حتى أهل الغابة يفعلها من قال فيه الله: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ (٤التين) الذى خلقه مولاه في أحسن تقويم!! فيما نراه من حولنا، مع ما بلغ من التعليم، ومن الرقي لم يرق حتى إلى البهيم!! وليس هذا كلامي، وإنما كلام المولى ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾ (١٧٩الأعراف).

وانسحبت هذه الأحوال على المسلمين، فتجد المسلمين الآن في العالم كلهم يعانون من الفقر، ومن الجهل، ومن الخوف، ومن المرض، ومن المشاكل التي لا عدَّ لها، ومن المشاغل التي لا حدَّ لها، وهل كان على هذا النهج سلفنا الصالح من المسلمين الأولون الذين كانوا مع النبي الكريم، مع فقرهم وجدب أراضيهم، وقلة ثرواتهم؟.أبداً لم يكونوا على هذه الشاكلة ولم يكونوا على هذا النهج، فقد كانوا في خير حال، لماذا لسنا إذاً مثلهم؟ وحالنا ليس كحالهم؟ والخير الذي عندنا ليس كالذي كان عندهم؟.

---

[39] المسجد الغربي قرية بلهاسة مغاغة ـ المنيا ٤ من جماد الآخر ١٤٣٣هـ ٢٥أبريل ٢٠١٢م

لأن النفوس التي تسكن هذه الأجساد تغيرت في هذا الزمان، ولم تنطوِ تحت راية كتاب الله، ولم تتأسى بحبيب الله ومصطفاه، جمحت النفوس، وكلٌّ يمشي على هواه، وإذا أدَّى ركعات الصلاة يظن أنه قد أدَّى ما عليه لله، وانتهت طاعاته عند هذا الحد، ولا يقتدي بأصحاب النبي المباركين في هديهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

أصحاب حضرة النبي ﷺ سلَّمهم حضرة النبي شاشة نورانية، ومعها لوحة مفاتيح ربانية، وهذه أسرار لم تصل إليها التكنولوجيا العلمية، لأنها تكنولوجيا ربانية نورانية روحانية - قل فيها ما شئت – كلما احتاج إلى أمر يحرِّك هذه المفاتيح، فيأتي له الفتح من لدن الفتاح العليم ﷻ!! وأول مفتاح منها: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا ﴾

(٢الطلاق) مخرج من أى ضيق، ومن أى شدة، ومن أى همٍّ، ومن أى غمٍّ، ومن أى مشكلة، ومن أى معضلة، لم يحدد الله ﷻ المخرج في أى أمر لتكون كل الأمور مفتوحة للعبد المؤمن.

كيف يكون ذلك والكون كله مسير بالأسباب؟!! هؤلاء القوم خرق الله ﷻ لهم الأسباب، وجعل أرزاقهم بلا حساب، من كنوز حضرة الكريم الوهاب ﷻ:﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٨النور)

لا حساب ولا أسباب ولا غيره، كل الذي فعله حضرة النبي ﷺ أدخلهم دورة ربانية، حتى يعرفوا كيفية استخدام هذه التكنولوجيا الروحانية التي جهَّزها في القلوب حضرة علام الغيوب ﷻ.

حياة القلب

كل واحد فينا معه في قلبه من الأجهزة الربانية، ومن المفاتيح الإلهية ما يعجز العبد عن عدَّه، ويعجز القول والسرد عن حدَّه، حتى قال بعض الصالحين: (السماوات السبع وما فيهن، والأراضين السبع وما فيهن، والعرش وما يحويه، لا تساوى زاوية من ثلاثمائة وستين زاوية في قلب العبد المؤمن).

قلب العبد المؤمن أوسع من السماوات والأرض لأنه وسع الله ﷻ، والسماوات لا تسع الله جلَّ في علاه، والأرض لا تحوي ذرة من كمالات حضرة الله، والعرش ليس حاملاً بل محمولاً بقدرة الله، لكن قلب العبد المؤمن يحمل من جمالات وكمالات الله، ومن أنوار حضرة الله، ما جعل ملائكة الله ﷻ تسجد لأبينا آدم عليه السلام لما ظهر في قلبه من كمالات مولاه جلَّ في علاه، وحضرة النبي ﷺ حدَّد لنا أن نجعل دائماً موضع نظرنا وتركيزنا في محل نظر الله فقال:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ } ٤٠

إن الله لا ينظر إلى صوركم فهو الذي صوَّرنا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾ (٦آل عمران) ولا ينظر إلى أموالكم، فهو الذي وزعها، ولكنه ينظر إلى القلوب.

ما الموضع الذي أضعه نصب عيني، وأركز فيه كل اهتمامي؟ القلب، القلب يكون لمن يقول للشيء كن فيكون، إذا أدخلت فيه الدنيا وحبَّها فقد قطعت كل الصلات وكل الروابط التي بيني وبين خالق المخلوقات ﷻ، لأن النبي ﷺ قال:

{ إِنَّ اللَّهَ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا } ٤١

فإذا أدخلت الدنيا في موضع نظر الله، فقد حرمت نفسك من نظرات الله، ونظراته سبحانه معها القرب والحبّ والمودة بينك وبينه، لكنك وضعت حاجزاً وفاصلاً بينك وبين الله وهو الدنيا.

٤٠ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٤١ شعب الإيمان للبيهقي

إذا وضعت في القلب حتى حبَّ الشهوات فقد انشغلت عن الله ﷻ، وما الشهوات التي في الدنيا التي تستحق أن ينشغل الإنسان بها عن الله جلَّ في علاه؟!! كلُّ شهوات الدنيا ماذا تساوي؟!! فحتى شهوة الولد والمال والزوجة حذرنا الله من أن نُدخلها في قلوبنا، إنها قرَّة عين لك، تنفق عليه من يدك، وتسيره بعقلك وفكرك، وتقوم له بالمسئولية الشرعية التي رسمها لك في الخارطة القرآنية ربُّ البرية، وشرحها لك في المذكرة التفسيرية خير البرية ﷺ، لكن إياك أن تدخله في قلبك، فالقلب لله، لا يحلُّ فيه إلا مولاه، ولا يدخله قليلاً أو كثيراً إلا أنوار الله، وجمال الله، وخوف الله، وخشية الله، ورهبة وجناب الله، وحلاوة طاعة الله .... هذه الأشياء هي التي تدخلها في القلب، والتي يحبها الله جلَّ في علاه.

﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ (١٥التغابن) إياك أن تفتتن بهؤلاء، لأن القلب لله، وأنت الحارس الأمين على بوابة القلب، فلا تدخل فيها خواطر سوء، ولا نوازع شرّ، ولا تفكير رديء، ولا تدخل في هذه الدائرة وفي هذا الإطار إلا ما يحبه العزيز الغفار ﷻ،

وهذا يتطلب جهاد: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت)

ليس الجهاد في الزراعة ولا في الصناعة، ولا في التجارة، ولا في التعليم فقط، ولكن ﴿ فِينَا ﴾ أى في الله، ﴿ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ أى يهديهم الله ﷻ إلى المنهاج القويم.

مفاتيح الخيرات

كأن الله ﷻ ربط مفاتيح الأرزاق، ومفاتيح النعم، ومفاتيح الخير، ومفاتيح البر - في الدنيا قبل الآخرة – بالقلب! نوضح ذلك:

من يريد أن تصحَّ زراعته، وتأتي بمحصول وفير، ماذا يفعل؟ يطهِّر ويصفي القلب لله، وينوي أن هذا المحصول يكون فيه نصيبٌ لله على فقراء الله، الذين وكلَّه بهم في هذه الحياة، ماذا سيكون محصول زراعته؟ قال تعالى: ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ (١٥٨الأعراف) ....

أما إذا نوى في قلبه الطمع وعدم إخراج حق الله للفقراء، فهذا من الشيطان الذي ألهمه بذلك،

يقول له: (ما يحتاجه البيت يحرم على الجامع!!) أنت وأولادك أولى، هذا الكلام يقوله الشيطان، ويردده شياطين الإنس الذين يعاونون الشيطان من بيننا، وقد قال فيهم الله ﷻ: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورًا ﴾ (١١٢الأنعام).

ولزيادة الإيضاح: لماذا يقص الله علينا القصص في القرآن؟ لا لنتسلى بها وإنما عظة وعبرة لنا جماعة المؤمنين: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف)، الرجل الذي كان عنده بستان، وعندما يجني البستان ينادي على الفقراء والمساكين ويقول لهم: تعالوا احضروا معنا جمع المحصول لتأخذوا نصيبكم، ووصى أبناءه بأن يسيروا على هذا النهج، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى أتى البستان بالمحصول الذي اعتاد أن يأتي به في حياة صاحبه، لكن أبناءه تغيرت نواياهم!! أخوهم الأكبر لم يرتض ما كان يفعله أبوه وقال لهم: لماذا نعطي هؤلاء الناس؟! لن نعطي أحداً شيئاً ونأخذ هذا كله، وإياكم أن يبلغ أحد منكم مسكيناً أو فقيراً، واتفقوا أن يخرجوا مبكرين قبل أن تطلع الشمس حتى لا يراهم أحد، وينتهوا من جنى المحصول قبل طلوع الشمس، وأنتم تعلمون هذه القصة في سورة القلم،..

ولما وصلوا البستان وجدوا أن النيَّة غيَّرت الأمنيَّة!!، لأنهم نووا حرمان الفقراء، فأرسل الله ﷻ فوراً جنداً من جنده، فوجدوا الأشجار كلها محترقة وانتهى النبات!! قد يكون ما أتى عليه هو حشرة المنِّ، أو غيره، إذن الأمر يتطلب النية: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ (٢٩الأنفال).

من يتق الله فإن الله يلهمه بما يحبُّه مولاه من الأقوال، ومن الأفعال، ومن الأحوال، فيمشي في الدنيا بنور الله، وبتوجيه من الله، وبمدد من عند الله، ويسخر الله ﷻ له كل جند الله الذين في ملكوت الله والذين في الدنيا لأنه يمشى على هدى من الله جلَّ في علاه، وكان على هذه الشاكلة أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

الأرزاق بالنوايا

أعطانا سيدنا رسول الله ﷺ في المذكرة التفسيرية مثالاً ثانياً، الإنسان الذي يقول فيه الله: ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرًا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ (٧٠الأنفال) كما نقول في الحكمة: (بنياتكم ترزقون)، وهذه هي الحقيقة، بنية الإنسان تأتي أرزاق حضرة الرحمن، لو أراد أحد الشباب الزواج، ويريد زوجة صالحة، فإذا كانت نيته طيبة فسيسوق الله له هذه الزوجة الصالحة من غير عناء ومن غير أن يكلف هذا ولا ذاك، ويجدها أقرب إليه من أى شيء، لماذا؟ إنها عناية الله.

إذا نوى بصدق أن يعمل عملاً يكفُّه عن سؤال الناس، سيجد مدد الله واصل إليه، ويفتح الله الأبواب وإن رأى غيره أن الأبواب مُغلقة، سيدنا داوود عليه السلام كان نبيًّا ملكاً، وكان يجعل يوماً لله جلَّ في علاه للعبادة، ويوماً للحكم بين خلق الله، ويوماً لبيته وأهله، وكان في يوم عبادته ينشغل بالكلية بالله، لو دخل في العبادة ينسى الزوجة والأولاد والمملكة، ويكون عبداً بين يدى حضرة مولاه، ومن شدة إخلاصه وانشغاله بالعبادة، كان إذا قرأ الزبور تنفعل معه الطيور والحشرات والحيوانات والجبال وتنطق تردد معه ما يناجي به مولاه جلَّ في علاه ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (١٠سبأ) أى ردِّدي معه، أو رجِّعي معه.

وكانت الملائكة تتنزل لزيارته، وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين نفر من الملائكة الكرام، فكانوا يأتون لزيارته بانتظام، والصالحون في كل زمان ومكان وأولهم الأنبياء والمرسلون دائما يتحسسون عن مواضع العيوب التي فيهم حتى يصلحوها، لينالوا رضاء رب العالمين ﷻ، أما من يتحسس على مزاياه ويريد أن ينظر الخلق إلى مزاياه، فإنه مسكين!! بعيد عن درجات الصالحين وعن حضرات المقربين، وقريب من الشياطين والعياذ بالله ﷻ: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ (٧٦ص).

فقال لهم: هل فيَّ عيب؟ قالوا: ليس فيك إلا عيب واحد، أنك تأكل من بيت مال المسلمين، يريدونه أن يأكل من عمل يده، مع أنه يحكم المسلمين!! يريدونه أن يجعل الحكم والفصل بين المسلمين كالدعوة إلى الله، وشرع الله الذي كلَّفه به الله لله جل في علاه.

فعلى الفور نوى بقلبه أن يبحث عن عمل يكفّ به نفسه وأهله عن سؤال الناس، حتى لا يلجأ إلى بيت مال المسلمين، فألهمه الله ﷻ صناعة الدروع، وكان أول مخترعٍ لها وزاده الله عوناً من عنده: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (١٠سبأ) فكان إذا أمسك بالحديد يلين في يده بدون نار، ولا فرن حراري، ولا وقود ولا غيره!! لماذا؟ لأنه نوى وصدق، وما دام الإنسان نوى وصدق فيكون كالذين قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣الزمر) نيَّة بعزم أكيد، وليست نية فيها تردد، نوى بقلبه نيَّة أكيدة، فألان الله له الحديد ويسَّر الله له الأمر حتى يأكل من عمل يده عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة وأتم السلام.

أعطانا سيدنا رسول الله ﷺ المثال الآخر: كان نفر يسيرون على جبل فرأوا سحابة، وسمعوا صوتاً من السحابة يقول: (اسقِ حديقة فلان)،

وبعد قليل نزل المطر، فتتبعوا المطر فوجدوه نزل على حديقة رجل، والرجل واقفاً يحوِّل الماء ويسقي هنا وهناك، فقالوا له: هل أنت فلان؟ قال: نعم، كيف عرفتم إسمي؟! قالوا: نريد أن نعرف ماذا تفعل؟ قال: في أى شيء؟ قالوا: في محصولك هذا؟ قال: أنظر إلى ما يخرج من الحديقة فأقسِّمه ثلاثاً، ثلثٌ للفقراء والمساكين، وثلثٌ لأهلي وأولادي، وثلثٌ أردُّه في الحديقة، قالوا: من أجل ذلك سمعنا الملائكة وقد أتت لك بسحابة مخصوصة وقالوا لبعضهم: (اسق حديقة فلان)!! لماذا؟ لأن نيته أن ينفع نفسه، وأن ينفع عباد الله الفقراء الذين حوله، وما دام صدقت النية فلا بد أن يحقق الله ﷻ له الأمنية.

نعمة التواضع

القلب هو باب البركات، وهو مفتاح الخيرات، وهو الفاتح لكل التوجهات لبارىء الأرض والسماوات ﷻ، المفاتيح التي أضعها في القلب حتى تفتح لي أنوار الملكوت، وخيرات وكنوز الحي الذي لا يموت، ما هذه المفاتيح؟ سيدنا رسول الله ﷺ بينها ووضحها، والقرآن الكريم أشار إليها ونبه،

وأول هذه المفاتيح: ﴿ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ (٦٣الفرقان)

التواضع لله، والتواضع لخلق الله، وعدم التكبر على أحد من عباد الله، وأنتم تتذكرون معي آباءنا وأجدادنا كانوا أناساً طيبين ومنكسرين، وكانوا لا يتكبرون على أحد، ولا يتعالون على أحد، وأيديهم في أيدي بعض، فالخير مع أنه كان قليلاً، لكنهم كانوا يعيشون في راحة سر وفي بر، وكانوا وكأنهم المعنيون بقول الله ﷻ: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ (٩٧النحل).

في هذا العصر الآن – حتى بين أولادنا الصغار - انتشر ميكروب الكِبر ، وكلٌّ واحد يظن ما دام فلوسه في جيبه، وخيره في بيته، ولا يحتاج شيئاً من أحد، فيمشي ويدوس على الناس، حتى أنه لا يلقي السلام على أحد، وإن ألقاه فمن طرف اللسان، ويلقيه وهو مغرور يرى نفسه خيراً من بنى الإنسان!! هذا المرض حاربه النبي العدنان ﷺ، لكنه في هذا الزمان انتشر وزاد، وقد قال ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } ٤٢

---

٤٢ صحيح مسلم وسنن الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وأعطانا الله ﷻ الأمثلة في كتاب الله مع أصحاب رسول الله، دخلوا غزوة بدر وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكفار كانوا حوالي ألفاً، شغَّلوا مفتاح الذل لله وهو ما يجعل العبد ذليلاً بين يدى مولاه، وهو الذي يفتح كنوز فضل الله، من يدخل على الله ذليلاً يجعله بين الناس عزيزاً، ومن يدخل على الله فقير يغنيه الله، ويجعله في نظر الناس غني وأمير: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ (٢٧٣البقرة) ليس عندهم شيء ولكن ستر الله ﷻ، ومن يدخل على الله معترفاً ومقراً بجهله يطبق عليه القرار الإلهي: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة) يُعلِّمه الله جل في علاه علماً يخصه به، لم يسمعه أحد، ولم يقرأه أحد في كتب السابقين أو المعاصرين أو اللاحقين، فلما داسوا على مفتاح الذل جاء النصر على الفور: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (١٢٣آل عمران).

ولما ذهبوا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين وكان عددهم اثنى عشر ألفاً ومعهم من السلاح الكثير، وقالوا: { لَنْ نُهْزَمَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ }٤٣ جاء لهم مرض العُجب!! ومرض العجب معناه أن يعجب الإنسان بنفسه، ويغتر بنفسه، ويرى نفسه خيراً من غيره، وهذا مرض نهانا عنه الله ﷻ، وحاربه رسول الله ﷺ، فلم ينتبهوا إلا والأعداء قد خرجوا عليهم من هنا ومن هنا، ففروا من حوله ﷺ ولم يبق معه إلا عدد قليل من أصحابه، هربوا مع أن معهم السلاح!!: (٢٥التوبة)

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾

أخذوا يفرون وتركوا حضرة النبي ﷺ، وقد عيَّرهم الله بذلك، لماذا؟ لأنهم أصيبوا بمرض العجب، الإعجاب بالنفس، وبالغرور والكبر!!! وهذا مرض انتشر في هذا الزمان، انتشر الكبر وانتشر الغرور!! لماذا ونحن عباد الله المؤمنين؟!.

---

٤٣ الحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ.

أنت عندك مال قارون، لا نسألك شيئاً، فهو لك ليس لنا منه شيء، لماذا تغتر وترى نفسك أفضل منا؟!! ليتك تخرج منه حق الله للفقراء والمساكين، وتشكر الله على عطاياه!! لماذا تتكبر وتغتر؟! ومن الممكن في لمح البصر يتحول إلى لا شيء!! يبيت الإنسان غنياً ويصبح فقيراً!! لماذا يعجب بنفسه؟! وأنت في الدنيا بين طرفة عين وانتباهتها منتظر لنداء مولاك، من يعرف النداء ووقته يفعل ما يريد، لكن لا يعرفه أحد!! عندما يأتي النداء لن يقول لك: كم عدد أولادك؟ أو كم عدد خدمك؟ أو ما مقدار ما معك من المال؟؟ ولكن: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ ليس معك ولد، ولا صديق معك، ولا خادم معك، ولا مال!! ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٩٤الأنعام).

مفتاح الإنكسار لله

إذا القلب امتلأ بخشية الله، وانكسر القلب لله، وأصبح صاحبه منكسراً بين يدي الله فكل شيء في الدنيا والآخرة يكون مذللاً ومسخراً له بأمر الله جلّ في علاه، لأن سيدنا موسي عليه السلام يقول:

{ يارب أين أجدك؟ قال: تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي}

والذين قال فيهم النبي ﷺ:

{ كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأبَرَّهُ } ٤٤

إذا أراد شيئاً يقول يا رب، فيحقق الله له ما يريد!! هذه هي التي وصل بها أصحاب رسول الله ﷺ إلى ما يريدون، فكان الرجل منهم حيثما توجه وحيثما حلَّ، معه على الدوام القلب النوراني، يضغط على الزر الرباني فيجد الله ﷻ يهيئ ويحقق له ما يريد!! ... !!

لماذا؟ لأنه تجمل بأخلاق العبيد، وكان على خلق النبي الحبيب ﷺ، فسارت هذه القلوب السليمة على هذا المنوال، فيأتي في أى زمان أو مكان يعترضه أى أمر يقول يارب.

ألا تعلمون أن المسلمين أعطاهم الله توكيلاً بأن أى مسلم صغير أو كبير يُنَزِّل الماء من السماء في أى وقت!! لكن من الذي يستخدمه؟!! من كان قلبه صافياً لمولاه، ومملوء بخشية الله والخوف من مولاه، والذي إذا دعا الله يستجيب له مولاه ﷻ.

---

٤٤ صحيح البخاري وسنن الترمذي وأبي داود عن أنس رضي الله عنه

كلنا معنا توكيل من الوكيل ﷻ، وحضرة النبي ﷺ عرَّفنا الكيفية، لسنا في حاجة إلى تقطير ماء البحر، ولسنا في حاجة إلى مناوشات مع أثيوبيا ولا غيرها، نحتاج فقط إلى الرجوع إلى الخالق البارئ المصور ﷻ، وهو ﷻ الذي ينزل الماء إلينا حيث شئنا في أي موضع أردنا، لو وقفنا في صحراء جرداء وطلبنا الماء ينزله لنا الله!! لو وقفنا على قمم الجبال لكن بصدق نية وبقلوب تقية نقية وسألنا الله الماء يأتينا به الله على رءوس الجبال!!.

أصحاب رسول الله عرفوا هذه الكيفية، لما ذهبوا إلى البحرين، وهي جزيرة وسط الخليج، ضمَّ أهل الجزيرة السفن كلها عندهم حتى لا يجد المسلمون سفينة يصلون بها إليهم، القائد الذي كان معهم واسمه العلاء بن الحضرمي، قال لهم: قولوا: يا عليّ يا عظيم يا حليم يا كريم وانزلوا الماء بجمالكم وخيولكم، ففعلوا، فجَمَّد الله الماء!! فمشوا على الماء حوالي خمسين كيلو متراً، حتى قالوا: لم تبتل أخفاف الإبل بالماء إلى أن وصلوا الجزيرة.

ولما صلوا إلى الجزيرة لم يجدوا ماءاً، وكان ماء الجزيرة مالحاً، فدعا الله ﷻ فأنبع الله ﷻ من ماء الخليج عيوناً عذبة - موجودة إلى عصرنا هذا – إعجازاً لله وإجابة لأصحاب رسول الله!! والناس يعرفونها ويستخدمونها!! وكان هذا سبب تسميتها (البحرين) مياه عذبة فوقها مياه مالحة!! ما هذا؟! إجابة!!

﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ (٦٠غافر) كيف أنت؟ ليس شأنك، هل تتدخل في الحكومة الإلهية!! شئون إلهيه، شئون يبديها ولا يبتديها، شئون ملك الملوك الذى:

﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء)

هم تعاملوا مع الله من هذا المنطلق، فيَسَّر الله لهم كل أمر!!

نحن الآن وقفنا عند الأسباب، فحجب الله ﷻ أرزاق ما وراء الأسباب، من كنوز الوهاب، التي يعطيها للأحباب الذين تابعوا النبي ﷺ، وساروا على هذا المنهاج، منهاج الصدق والصواب!!.

فأنت يا أخى إذا طهَّرت قلبك لله، وتحصنت بين يدى الله بالخشية والخشوع والخوف من الله، اعلم علم اليقين أنك لا تسأل الله شيئاً إلا لبَّاك، ولا تطلب منه طلباً إلا أعطاك، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة!!!

كل أمر تريده، فربما ربُّ العزة ﷻ من كماله وجماله وتدليله لك، لا ينتظر حتى تسأل وتطلب!! بل يعاملك معاملة أهل الجنة، فيحقق لك ما يخطر على البال قبل السؤال، وهذا صنف من عباد الله الصالحين الأعلى، قبل أن يسأل الله يجيبه إلى ما يتمناه مولاه ويحقق له مناه.

وبالطبع الذي يصل إلى هذه الأحوال لا يسأل الله إلا ما يحبه ويرضاه جلَّ في علاه، لا يسأل دنيا واسعة، ولا علواً في الأرض بغير الحق، لا يسأله سلطة ولا مناصب ولا مكاسب فانية، ولكن يسأله الباقيات الصالحات، أو يسأله منازل عالية في الجنات، يسأله منازلات ومواجهات، يسأله علوماً إلهية راقية في كتاب الله وفي حديث رسول الله ﷺ، يسأل الله ﷻ من عطاء الأخيار، ومن كنوز الأبرار، التي جهزها الله ﷻ لهم في هذه الدار.

الوصل الثامن: حبُّ رسول الله ﷺ[45]

أصل الوصول إلى حضرة الله، وأصل السعادة في الدنيا والنجاة والفوز يوم لقاء الله هو حب رسول الله ﷺ، لماذا؟ لأني عندما أُحب رسول الله لِمَ أحبه؟ للجمال الذي جمَّله به مولاه، والصفات الإلهية الربانية التي كمَّله بها الله، فأنا لا أحبه لذاته ولكن لعطاءه وهباته التي تفضَّل بها عليه الله، إذن أنا أحب الله، فالله المعطي وهو القاسم ﷺ، فحب رسول الله ﷺ إذا ذُكر في مجالس الصالحين يُقصد به أن الإنسان يُحب أوصافه وأخلاقه وكمالاته ويحاول أن يتخلى عن أخلاق نفسه، وعن أوصاف ذاته ويُجمِّل نفسه بجمال الحبيب لأنه الجمال المهيب الذي جمَّله به الله ﷻ.

إذن مَن يدَّعى محبة رسول الله الحقيقية، ويعتز بنفسه، ويرى أن أوصافه وأخلاقه وطباعه وعاداته لا مثيل لها، أى أنه معجب بنفسه، مال هذا ومال حب رسول الله!! وتكون هذه دعوة ليس لها برهان، لكن من يُحب رسول الله لا بد أن يفنى في رسول الله، فينسى نفسه، هل يستطيع الإنسان أن يُلون هذا البنيان بلون آخر ورداء آخر ولم يُخلى هذا البنيان مما عليه الآن؟! لا، لا بد أن يزيل الأول ليُجمل بالثاني، فالذي يدَّعي أنه يُحب رسول الله لا بد أن يزيل الذي فيه أولاً.

---

[45] المعادى ـ الجمعة ٧ من محرم ١٤٣٣هـ ٢/١٢/٢٠١١م

وكل إنسان خلقه الله ﷻ فيه أوصاف أمره الله ﷻ أن يجاهد ليتخلى عنها:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (٧٢الأحزاب) فصفات الإنسان الجبلية التي جبله الله عليها هي الظلم والجهل، فالإنسان يميل دائماً للظلم، ولا يوجد أحد في الوجود يحيط بكل العلم، فالعلم كله في العالم كله، حتي المتخصصين في أي فرع من فروع المعرفة لا يحيطون بهذا الفرع كله، كما قال الرجل الحكيم:

ألا قل لمن يدَّعــى علماً ومعرفــة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

صفات العالِم العامل

لذا يجب على الإنسان حين يعرف هذه الحقيقة ألا يتعالى بعلمه، ولا يغتر بعلمه، ولا يختال بين القوم بعلمه، وإنما يقف دائماً رغم سعة علمه عند من علَّمه العليم وقال له في الكتاب الكريم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤طه) ولذلك حتي نبي الله موسى الذي اجتباه مولاه وخصه بالكلام وسماه الكليم: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (١٦٤النساء)

عندما سأله بنو اسرائيل: مَن أعلم الناس يا موسى؟ قال: أنا، فعاتبه ربه ﷻ، لأنه كان يجب أن يرد العلم لله: ﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِى عِلۡمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٦يوسف) لم يقل عالم بل عليم، والعليم هو الله ﷻ، فأمره الله ﷻ أن يذهب إلى عبد لله.

موسى صاحب رسالة وينزل عليه الوحى ويُكلم الله وله دعوة، أما العبد فلا يعرفه أحد، والله ﷻ يُرسل الكليم والنبي والرسول إلى عبد لا يعرفه أحد!! وأمره أن يمشى إلى أن يبلغ مجمع البحرين، وأمره أن يأخذ معه سمكة مشوية حتي إذا أحس بالجوع فيعرف أن العبد في هذا المكان، فذهب وأخذ معه تلميذه يوشع بن نون، وقال له سنمشي حتي ولو ثمانين عاماً لأصل إلى هذا العبد الذي معه العلم الذي أمرنى الله أن أتعلمه منه. ... وبعد أن سارا مسافة جلس موسى ليستريح بعض الشيء، وظل الغلام يقظاً، فوجد رجلاً يتوضأ فنثر منه بعض الماء فسقط على السمكة فاحتيت ونزلت البحر، ونسى الغلام أن يبلغ موسى بذلك، واستكملا سيرهما.

فلما أحس موسى بالتعب والجوع قال للغلام آتنا بالسمكة، فتذكر الغلام وأخبره بما حدث، فقال له موسى: هذا ما نبحث عنه، وارتدا على آثار أقدامهما، ولما وصلا وجدا العبد نائماً على تل صغير مُسَجى عليه، فقال العبد: أنت موسى بن كذا بن كذا، ونطق له باسمه إلى الخليل إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وقال له: (يا موسى أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت).

وأثناء الكلام نزلت عصفورة فشربت من البحر – فقال العبد: (وما علمى وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر) حتى نعرف مقدار العلوم التي معنا والتى نتعالى بها على الناس!! ونريد من الناس أن تعظمنا، وهذا من خبال النفس وبعدها عن حب رسول الله ﷺ.

حقيقة الحب لرسول الله ﷺ

ما الذي ينجي الإنسان من كل هذه المطبات؟

حب رسول الله، لأن الذي يحب رسول الله لا يُقنعه شيء في الوجود يتجلى له حتي من حضرة المعبود، حتي ولو وصل إلى مقام الشهود، وأذن له حضرة النبي في الورود، إلا إذا واجه ظاهراً وباطناً صاحب الكرم والجود ﷺ، ولا يقنع بشيء غير ذلك ولا يرضيه ولا يريح باله ولا نفسه.

لكن الذي ليس معه هذا المنهاج بمجرد أن يأخذ بعض العلوم البسيطة ولسانه ينطلق فالنفس تنفلت، فتريد الظهور، وتريد ثناء الخلق وتكريمهم، وتنسى في هذا الوقت ما لها عند سيد الخلق ﷺ، والذي يبعد الإنسان عن ذلك هو الحب الصادق لرسول الله ﷺ.

والحب الصادق هو أن يدوب الإنسان في هواه، فلا يكون له كيان مع حبيب الله ومصطفاه، ولا يرضى حتي تشرق عليه الأنوار وتتجلى عليه الحقيقة الإلهية بالأسرار، وتنبع له عين يشرب منها ويكرع منها من رحيق النبي المختار ﷺ،

وطالما الإنسان يقف عند قصاصات علم الظاهر فإنه يُخشى عليه من المطبات والمشكلات التي تعترض السالكين والسالكات، لكن إذا فُتحت عين القلب فيرد عليه منها من رسول الله العلوم التي تُعرفه بنفسه، حتي لو أثنى عليه الخلق وغروه فإن هذا لا يُغير شعرة منه، فالإمام علىّ ﷺ كان يقول عندما يمدحونه: (اللهم إنى أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيراً مما يظنون) والإمام أبو العزائم ﷺ يقول:

علمت نفسي أني كنت لا شيء فصرت لا شيء في نفسي وفي كلي
به تنـــزه صـــرت الآن موجوداً به وجودي وامدادي به حولي
ومـن أنـا؟ عـدمٌ الله جملني فصرت صورته العليـا بلا نيـل

فمَن يدخل في العلم الوهبي المحض يجد أن الحب الذي عنده هم الذين أعطوه له، والعشق الذي في قلبه هم الذين أفرغوه فيه، فمنهم وبهم وإليهم!!!

فإذا مُحي الحجاب فهم الذين محوه وليس أنا، لا بجهادي ولا بكدي ولا تعبي، فإذا كشفوا المستور وألاحوا مضنون النور فهو فضل منهم، وليس استحقاقاً مني، فأنا لا يوجد معي ما أستحق به هذه الكمالات وهذه الفيوضات وهذه الجمالات، وإنما فضل منهم وكرم منهم وعطاء ذاتي منهم، وهذا حال الصالحين في كل وقت وحين.

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه بعد أن وصل إلى هذه الكمالات، وكانت كمالات عَلِيَّة كان يقول فيها:

فتارة أنــا مخمـور أراك أنــا وتـارة أنا عبــد ذاتـه محقـت

ثم بعد ذلك يقول:

كل الذي أنا فيه فضل محمد منه بدا وإليه كان وصوليا

وأنا الظلوم أنا الجهول أنا الذي لولا عنايتـــه هلكـــت بحاليا

لو تخلت العناية عن أكمل رجل من الصالحين طرفة عين فوراً سينزلق إلى البين والبعد والغين والرين.

ولذلك كان دعاء أكمل الصالحين: (يا عالم السر منا لا تكشف الستر عنا وعافنا واعف عنا واغفر لنا حيث كنا) لأنه لو كشف الستر وأراه للخلق لرجموه، لكن من فضله وجوده وكرمه سترنا الستور ﷻ.

سر المحبة

إذن ما الذي يُخرج الإنسان من الأوحال؟ حَبَة المحبة إذا نزلت في قلوب الأحبة فلم تُبق لغير المحبوب حبة، ويمن عليه المنان فيُفجر في قلبه عيناً تأتيه بالرحيق المختوم من كوثر النبي العدنان ﷺ، والرحيق المختوم يعني العلم الطازج الذي لم يره ولم يسمع به ولم يعلمه أحد من القوم، الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه عندما كان يسمع سيدى أبو الحسن الشاذلى يتكلم كان لا يتمالك نفسه - مع أنه كان شيخ الإسلام - وكان يأخذه الحال ويقف أمام الخيمة ويقول: هلموا واسمعوا هذا العلم الحديث عهد بالله ﷻ!! وقال في ذلك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

يُخفى الكيـــان بعاليـــه وسافله		علم من الرحمن بالإلهام في الأصل

فالذي ليس معه ذلك يبكي على نفسه، فهو كالذي يأخذ دورات كثيرة في السباحة ولكنه ما زال على الشاطئ لم يمارس بعد السباحة، فهذا هل يستطيع أن يصفها عملياً؟ لا، ولكنه يصف عندما ينزل إلى البحر، وكذلك بحر الحقائق الذي يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

أنا غارق في بحـر نـور مطلـق		لا بـــر يحصرنـــي ولا مـــلاح

مَن رام يعرفني تجرد عن سوى		نـــص الشريعـــة إن أراد فـــلاح

النور محظــور على أهـل الهـوى		والحـظ بــادر نُعطـك الأقــداح

بادر بترك الحظ والهوى!!!

سيدنا موسى أراد أن يكلم الله، فأمره أن يخلع نعليه أولاً، والنعلين إشارة إلى الدنيا والآخرة للعامة، وإشارة للهوى والحظ للخاصة، فالعامة إذا أراد أحدهم أن يكون في حضرة الله لا بد أن يخلع الدنيا والآخرة من قلبه، والخاصة الذين يريدون أن يتملوا بجمال وجه الله وبنور حبيب الله لا بد أن ينزع الحظ والهوى من فؤاده وسويداء قلبه حتي لا يبقى في الفؤاد إلا الحبيب، وهذا هو الذي يفتح لك الطريق، ويجعلك من أهل التحقيق، ويجعل لك رذاذاً على قدرك من النبي ﷺ إذا قمت له في مقام الصديق.

إذن الحب لرسول الله هو الذي يجعلني أنسى شهواتي وحظوظي وأهوائي ورغباتي في سبيل إظهار جمال الله الذي جمَّل به رسول الله، وهذا الذي أشار إليه رسول الله وقال:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ } ٤٦

فالذي يريد الكمالات والجمالات لا بد أن يصدق مع نفسه أولاً، فلا يكون هواه في فيلا أو مقعد في مجلس الشعب أو غير ذلك، بل يجب ألا يكون له هوى إلا في رسول الله ﷺ، وهذه الحالات لا ينفع فيها الرءاء ولا الرياء، ولا الأوصاف التي يضحك بها الإنسان على الخلق الأبرياء، لأنك في دائرة أهل البصيرة من الحكماء:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ (١٠٨يوسف) فمحل نظرهم للبصيرة والسريرة وليس للظواهر، لأن العارفين مُجمَّلين بجمال رب العالمين، فكما أن الله ﷻ لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، فكذلك العارفين الذين حرَّموا على بواطنهم غير الله ينظرون بنظر الله:

{ كُنْتُ عَيْنَهُ الَّتِي يَنْظُرُ بِهَا }٤٧

---

٤٦ سنن البيهقي عن عبد الله بن عمرو ﷺ.
٤٧ مسند الإمام أحمد والطبراني عن عائشة ﷺ

فلا ينظر إلى صورتك أو إلى ما تملك يداك، وإنما ينظر إلى قلبك وما فيه نحو مولاك ﷻ، فهذا هو المقياس والميزان الذي مع أهل الصلاح والتقى في كل زمان ومكان.

فعلينا بالحب، وزيادة الحب، وتنمية الحب، وإعلاء شأن الحب حتي يكون الحبيب ﷺ هو المهيمن علينا في كل أحوالنا، إذا نمنا رأيناه في منامنا، وإذا فكرنا كان هو الذي يخطر على بالنا، إذا مشينا كان هو القدوة لنا في مشينا، وإذا جلسنا كانت وجهته ﷺ هي بغيتنا عند جلوسنا، ولا يكون لنا همٌ ولا أمرٌ ولا شيءٌ إلا نحو حبيب الله ومصطفاه، وإليه الإشارة بقول الله: ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١٥البقرة) لم يقل (فثم الله) لأن الله لا يحيزه زمان ولا مكان: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ (٤الحديد) لكن ﴿ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ يعنى الوجه الذي تظهر فيه جمالات الله على قدرنا وليس على قدرة حضرة الله جل في علاه، فكل إنسان يرى في حضرة رسول الله إذا تجلى عليه ما يستطيع تحمله من جمالات مولاه ﷻ، فيشكر الله على عطاياه، ويحمده على ما أبداه له في ذات رسول الله ﷺ، أما ذات الله، وأما جمالات الله الخاصة فلا تلمع ولا تظهر إلا في الدار الآخرة لمن أهَّله لذلك مولاه جل في علاه.

الوصل التاسع: الورع[48]

طريقان يسلكهما الذاهبون إلى الله ﷻ: طريق عام، وهذا مشايخه يوظفون على المريدين أذكاراً وأنواعاً من العبادات، وأصنافاً من التسبيحات والصلوات، من أجل أن يكون من العابدين لله ﷻ، وهذا طريق سديد، لكنه يحتاج مراعاة قول الحميد المجيد: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (١٤غافر) فسالك هذا الطريق يتحرى الإخلاص، لأنه لو عمل عمل الخواص سبعين عاماً بدون إخلاص، فعمله يدخل فيه قول الله: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ (٢٣الفرقان)

ولذلك إمام الزُهَّاد في عصر حضرة النبي ﷺ، والذي قال فيه ﷺ:

{ من أراد أَن ينظر إِلَى زهد عِيسَى بْن مريم، فلينظر إِلَىأَبِي ذر الغفاري } [49]

كان شبيهاً بسيدنا عيسى في زهده وورعه وإقباله على الله ﷻ .... ومع ذلك قال الحبيب ﷺ له:

٤٨ مطاى بني مزار المنيا - الثلاثاء ٣ من جماد الآخر ١٤٣٣هـ ٢٠١٢/٤/٢٤م
٤٩ تاريخ جرجان للسهمي وأخبار أصبهان لأبي نعيم عن أبي هريرة ﵁

{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ } ٥٠

الموضوع ليس بكثرة العمل، وإنما بالإخلاص!! والإخلاص أن يكون العمل لله لا لشيء سواه، لا لدنيا .. ولا لخلق .. ولا لمصلحة عاجلة .. ولا لمنفعة زائلة .. حتى قال خاصة المتقين: ولا لجنة آجلة!! فالذي يعبد الله للجنة فإنه يكون قد اتخذ الله وسيلة إلى الجنة، ولا يجوز ذلك.

وقد قال بعض الصالحين: (قال لى ربي: عجباً لمن رآني دون مكوناتي!! قال: فقلت: سبحانك وتنزهت!! قال: من اتخذني وسيلة إلى جناتي فقد رآني دون مكوناتي) أنت تدخل الجنة من أجل وجه الله، وماذا في الجنة يساوي وجه الله؟!!

﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف)

طريق الورع

الطريق الثاني: طريق الورع، والعبادة فيه اسمها الكف، قال ﷺ:

{ لا وَرَعَ كَالْكَفِّ } ٥١

٥٠ الحاكم في المستدرك وسنن البيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ
٥١ سنن ابن ماجة والبيهقي عن أبي ذر ﷺ

والكف يعني المنع، منع الجوارح من الذنوب والآثام ... منع اللسان من الغِيبة والنميمة والسب والشتم واللعن وقول الزور والكذب والسحر ... وكل آفات اللسان، وهذه عبادة الأقطاب في طريق الله ﷻ، أما العبادات النفلية والتطوعية فسهلة، لا يوجد أحد يستطيع أن يصل فيها إلى ما وصل إليه إبليس!! عَبَدَ الله أكثر من سبعين ألف سنة!! لكنها جاءت له بمرض الغرور ومرض الكبر، فكانا سبب حجابه وبُعده عن الله ﷻ، فعبادة الكف قال فيها حضرة النبي ﷺ:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ } ٥٢

ما معنى الورع؟ يعني اتقاء المحارم، الإنسان الورع في مفهوم العوام يتورَّع عن الأكل الذي فيه شبهات، أما في مفهوم الخواص فهو الذي يتورع عن الكلام الذي فيه شبهات، وعن المجالس التي فيها شبهات، وعن النظر الذي فيه شبهات، وعن أى شيء تمسُّه أو تلمسه أو تشير إليه الأعضاء إذا كان فيه شبهات، وهذه حقيقة الورع.

عبادة الكف عبادة الحكماء الأكياس العقلاء، سهل أن تنظر في كتاب الله، وتقرأ خمسة أجزاء، أو عشرة أجزاء، وبعد أن تنتهي تحدق النظر في الغاديات والرايحات،

---

٥٢ سنن ابن ماجة ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

لكن الصعب أن تعمل بقول الله ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ (٣٠النور)، ... فهذه عبادة الأقوياء، أصحاب العزيمة القوية في دين الله ﷻ.

وقد كان هذا منهج السادة الشاذلية - وما زالوا - الذين إمامهم سيدي أبو الحسن الشاذلى ﷺ، وخليفته سيدي أبو العباس المرسي ﷺ، سألوا سيدنا أبو العباس المرسي: متى تثبت للسالك الولاية؟ قال: (إذا لم يكتب عليه صاحب الشمال شيئاً لمدة اثنى عشر عاماً) ليست المشكلة فيما يكتبه صاحب اليمين، إنما المشكلة فيما يكتبه صاحب الشمال، وهي السبيل التي بيَّنا أنها سبيل الملائكة الكرام.

أنت تريد أن تكون من عباد الرحمن، والملائكة اسمهم عباد الرحمن، إذن لا بد أن تتشبه بهم في الحال الذي مدحهم وأثنى عليهم به الرحمن ووصفهم به في القرآن: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم) الإمتناع بالكليَّة عن المعاصى الظاهرية والباطنية، الظاهرية التي هي الكبائر والصغائر التي نعرفها، والباطنية التي هي أعظمها وأخطرها الغفلة عن الله ﷻ في نفس أو أقل، أو الإنشغال بشيء غير حضرة الله ﷻ، فلا بد للإنسان أن يحرس أولاً جوارحه، وحضرة النبي ﷺ قال لنا:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }٥٣

ما أول رعية أنت مسئول عنها؟ عينك، ولسانك، ويدك، ورجلك، وفرجك، وبطنك، أليست هذه رعيتك؟!! ولو تركتهم سيأتون يوم القيامة ويكونون شهوداً عليك، ويتبرئون مما فعلته: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٤النور) ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (٢١فصلت) إنه الحس، الحس يشهد عليك، فلا بد للإنسان أن يكون حارساً أميناً على رعيته التي يتولى رعايتها في هذا الكيان وفي هذا الجسم:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ } ٥٤

بعد ذلك أنت مسئول عن زوجتك، وعن ابنتك، وعن ابنك، وهذه مسئولية ثانية، لكن ما أول رعية؟ أعضاؤك وجوارحك التي تتلقى الأوامر منك، وتنفذ بها ما تريد، لا بد أن يكون مهيمن عليها شرع الحميد المجيد، وسنة النبي الرشيد ﷺ، فكان السالكون الطالبون للمنازل العالية على هذا النهج.

٥٣ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه
٥٤ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ – وكان إماماً يقتدى به – كان له تلميذ نجيب اسمه الربيع بن الخيثم - وكان يقول له: (لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك) – الربيع هذا مكث أربعين سنة يذهب إلى بيت ابن مسعود، وكلما يدق الباب وتخرج الجارية، ترجع إلى ابن مسعود وتقول له: (صديقك هذا الأعمى بالباب) انتبهتم لهذا الأمر؟!! ليس أعمى وإنما يغض البصر!! لكن كيف يكون مريداً ولحظة ما يُفتح الباب يتلصص على ما بداخل البيت؟!! ليس بمريد وإنما لص في صورة مريد، عينه على هذا وذاك، ما هذا وما ذاك؟! فكيف يكون مريداً؟!.

حتى المشايخ كانوا على هذه الشاكلة!! ذهبوا إلى أحد الصالحين يتكلمون معه، وأثناء الحديث تكلموا عن أحد تلامذته الملازمين له، فقال أحدهم: (تلميذك هذا الأجرد) - والأجرد يعنى: الذي ليس له لحية – فقال الشيخ: هل هو أجرد؟!! قالوا: نعم، قال: والله ما عرفت ذلك إلا منكم الآن!!.

هل أنا أمكث أتطلع في وجوه الناس حتى أعرف ماذا يلبس؟ وما حال شعره؟ هل لدى وقتٌ لهذا الكلام؟!! من يرد الله هل ينشغل عنه بسواه؟ وكانوا يقولون: (متلفت لا يصل) فمن يذهب إلى مكان ما، وكلما رأى شيئاً عن يمينه أو عن شماله أو أمامه أو خلفه يظل واقفاً عنده، متى يصل؟ لكن من يريد أن يصل بسرعة

﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (٢٨الكهف).

حضرة النبي ﷺ نفسه وصاه ربه ﷻ فقال: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ ﴾ (١٣١طه) ولما أسرى به الله، أثنى عليه مولاه عندما عرض عليه الملكوت والملائكة وكل العوالم ولم يلتفت إلى شيء!! فقال في شأنه: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم) لا يريد إلا وجه الله.

كان هذا حال المريد، مشغول بالله، وأنا لو سألتني عن أى أحد، لا أستطيع أن أجيب ماذا كان يلبس أو غيره، وهل لدى وقت لذلك؟!! هل أتراءى صوراً نورانية أم صوراً خلقية؟!! لا يجوز الجمع بين الإثنين، إما هذه وإما تلك، الصور النورانية ليس فيها لحية ولا هيئة ولا غيره، فمن يرد أن يقف عند الصور البشرية ما له وما للصور النورانية!! قف كما أنت، ولن تر غيرها:

﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ (١٩٨الأعراف)

واقفون عند الصورة البشرية، ولا يرون ما فيها من العجائب الإلهية، والأسرار الربانية!! لا يرون إلا الصورة البشرية.

لا بد للإنسان أن يكون كذلك، سألوا الشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ: كيف وصلت إلى الله؟ قال ﷺ: (كنت حداداً على نفسي اثنتى عشرة سنة - لا يسمح بفلتة ولا بهفوة ولا بخطأ، وإذا حدث يسارع إلى التوبة – ثم تنعمت بعد ذلك، ونعمني ربي ﷻ) فهذا هو منهج الكُمَّل من الصالحين .. ما أول ما يجب عليك؟

{ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى }٥٥

المحاسبة

ويساعدنا على ذلك المحاسبة، لا بد من محاسبة النفس، يجب أن يكون لك حساب يومي، ولك حساب أسبوعي، ولك حساب سنوي، لا بد أن تراجع نفسك كل ليلة، ما الذي تكلمت به؟ وما الذي نظرت إليه؟ وما الذي سمعته؟ إذا كانت هذه الأمور معدودة ومحدودة فيا هناك ويا بشراك!! أما إذا كنت لا تدرى عن ذلك شيئاً لأن الثرثرة كثيرة، فما لك ولطريق الصالحين؟!.

---

٥٥ سنن الترنذي ومسند الإمام أحمد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الشيخ مكين الدين الأسمر ﷺ من تلامذة سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ، كان يقول فيه سيدى أبو الحسن الشاذلي: (مكين الدين رجل من الأبدال) كان ترزياً – ومعروف أن صاحب الحرفة يلتف حوله الناس ويتكلمون- ماذا كان يفعل؟ وما منهجه؟ يقول ﷺ: (أجلس قبل غروب الشمس أعدّ ما تلفظ به لساني فأجدها بضع كلمات لا تتجاوز الثلاث عشرة كلمة، فأنظر فيها فما وجدت منها خيراً حمدت الله عليه، وما وجدته غير ذلك استغفرت الله ﷻ منه) لأنه يحاسب نفسه، ومن يحاسب نفسه هنا لا يحاسب هناك، ومن لا يحاسب نفسه هنا سيحاسب هناك، هكذا تقول الحكمة: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا)٥٦

وكان هذا مبدأ الصالحين، الليل كله لله!! وسيدنا رسول الله ﷺ كان إذا صلى العشاء يدخل ولا يخرج، وكذلك الصالحون، لأن الليل لله، لا سهر، ولا لهو، ولا أفلام ومسلسلات، ولا نت، ولا غيره، الصالحون عندما يأتي الغروب، فقد جاء وقت ملازمة حضرة علام الغيوب ﷻ.

---

٥٦ سنن الترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

حتى كان سلطان المسلمين سيدنا عمر ﵁ – وأنتم تعرفون ذلك – كان مشغولاً بالكلية من أجل الدولة ومن أجل العدالة، وكان لا ينام ليلاً ولا نهاراً إلا غفوة بعد شروق الشمس!! فقالوا له: اشفق بنفسك يا أمير المؤمنين. قال: (إذا نمت نهاراً ضيعت رعيتي، وإذا نمت ليلاً ضيعت نفسي، فجعلت النهار لرعيتي وجعلت الليل لربي) ... الليل لله على الدوام:

﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الذاريات)

من أى شيء يستغفرون؟! سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك!! سيدنا أبو بكر نفسه ﵁ أول من سلك هذا المنهاج على يد حضرة النبي ﷺ، كان ﵁ يضع حصاة تحت لسانه، فسألوه: ما هذا يا أبا بكر؟ فأشار إلى لسانه وقال: (هذا الذي أوردني الموارد) أجعل له فرامل حتى أمسكه فلا يتكلم مع الخلق إلا عند الضرورة،، ويتكلم مع من يقول للشيء كن فيكون:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢٤الكهف) إذا نسيت غيره فاذكره، فهذا هو الذكر

الصحيح، لكن تذكره وأنت مشغول بغيره، فهل هذا ذكر؟!! قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ }٥٧

اذكر الله إن نسيـــت ســواه		قل بقلـــبك في الذكـــر يا ألله

من أراد حلاوة المناجاة لا بد أولاً أن يطهر القلب لله، ويطهر اللسان الذي يناجي به الله من أى معصية تغضب الله، لكن أنا لساني لا يكف عن الغيبة والنميمة، والسب والشتم واللعن، ثم أدخل على الصلاة وأقرأ كتاب الله، ثم أشتكي من عدم وجود حلاوة المناجاة!!! أى حلاوة تريد؟!! هل طهرته أولاً قبل أن تناجى الله؟!! لا بد أن تطهره أولاً.

العين التي تريد أن تنظر بها الأنوار ألا تمنعها أولاً من النظر الذي يستوجب غضب الواحد القهارﷻ، لكن تتجسس بها على الخلق، وتتحسس بها على الناس، وتنظر بها للغاديات والرائحات، ثم تريد من الله أن يكشف لك عن نور ملكوت السموات!!! هل هذا يجوز؟!! أيليق هذا؟!!

غض عين الحسِّ واشهد بالضمير		تشهــدن يا صـــبُّ أنوار القدير

لابد من ذلك، غضَّ هذه، وافتح ما بداخلك ترى ملكوت الله، إذا طلبت علوم الإلهام لا بد أن تطهر القلب بالتمام، حتى يكون جاهزاً للتلقي من ملائكة الله بما يلهمهم به لك الله جلَّ في علاه.

---

٥٧ سنن الترمذي والطبراني والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

هذه هي المسيرة التي عليها السالكون الذين يريدون أن يكونوا واصلين، ويكونوا متحققين، ويكونوا عارفين، ويكونوا أوتاداً وأبدالاً في طريق الصالحين، ويكونوا أئمة للمتقين: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤الفرقان)

ما أول شيء؟ لا بد أن يكون مهيمناً على جوارحه، وبعد ذلك ينال المنى، وانظر في أحوال المرسلين والأنبياء والصالحين تجد العجب العجاب الذي يحكيه لنا رب العالمين عز وجل، يوسف عليه السلام، لماذا بلغ المراد وأعطاه الله علم تأويل الأحلام، وغيرها من العلوم الإلهية والمقامات العلية؟ لأنه لما عرضت عليه الفتنة أباها، وقال: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ (٣٣يوسف).

سيدنا موسى عليه السلام كان قويًّا، ورفع غطاء البئر بمفرده الذي يحمله ثلاثون رجلاً، وذهبت إليه البنت التي أرسلها أبوها لتدعوه، ومشت أمامه، فجاءت الريح وهفهفت ثيابها، فقال لها: امشي ورائي ودليني على الطريق بحصاة هنا أوهنا، أليس هذا يا إخواني منهج الله مع أنبياء الله، ومع رسل الله، ومع أولياء الله؟!!

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (٩٠الأنعام).

أنت تصلي ركعات بالليل، وتقرأ بعضاً من سور القرآن أو أجزاء منه، ولكن القلب مشغول، والبال سارح، وفي نفس الوقت لا تستطيع أن تكف لسانك عن الآثام، ولا عينك عن النظر الحرام، ولا يدك عما يغضب الملك العلام، وتقول لماذا لم يمُن الله علىَّ؟!! لماذا لم يبلغني الله مقامات الأولياء؟!! لماذا لم يبشرنى الله ببشريات الصالحين؟!! لأنك لم تنهج النهج الذي سار عليه الصالحون والتي يقول الله فيها: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (١٥٣الأنعام) لم يقل امشوا عليه، مَن الصراط المستقيم هنا؟ سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ يعنى امشوا على هداه صلوات ربى وتسليماته عليه.

إذن إذا أردت طريق الصديقين والمقربين وكمَّل العارفين، فابدأ أولاً وهيمن على جوارحك، وراعها بشرع الله، واجعل شرع الله هو العصا التي ترُدَّ بها جوارحك عن المعاصي في هذه الحياة، وكلما تهم جارحة بمعصية ذَكِّرها وازجرها بآية من كتاب الله، أو حديث من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ.

وراعهـا وهي في الأعمـال سائمـة وإن هي استحسنت المرعى فلا تسم

راعها وحافظ وحاول أن تكون دائماً متابع ومحاسب لجوارحك في كل يوم على الأقل، المبتدئون نقول لهم: كل يوم لا بد أن تجعل لنفسك جلسة محاسبة آخر النهار حتى تسير على المنهاج القويم.

أما من مشى قليلاً وسلك نقول له: اجعل لك جلسة محاسبة قبل كل وقت من أوقات الصلاة، قبل أن تناجي مولاك حاسب نفسك وتب مما فعلته جوارحك، وتبرأ من حظك وهواك، وتوضأ وضوء الصالحين، وطهر القلب بالكلية لرب البرية، تدخل إلى الصلاة تحظى بمناجاة من يقول للشيء كن فيكون.

والصادقين نقول لهم: حاسب نفسك أولاً بأول، كل همسة، وكل حركة، وكل سكنة، لا بد فوراً وأن تزنها بشرع الله، إذا أذن تفعل، وإذا لم يأذن تترك، لأنك محاسب على كل ما قدمت يداك، وكل ما عملته جوارحك وعلى نواياك.

فالمحاسبة هي الباب لفتح هذا الرحاب، من لا يحاسب نفسه ما له وفتوحات العارفين، ورحاب الصالحين!! والذي إذا ذكَّره أخوه يغضب منه!! لانه يريد ألا يحاسبه أحد أو يتابعه أحد، فمتى يبلغ هذا مقامات الصالحين؟!!. وقد كان سيدنا عمر ﷺ يقول: (رحم الله امرءاً أهدى إلىَّ عيوب نفسي).

يدعو لمن يبين له عيوبه، ويبين أن الذي قدَّم له عيوبه كأنما قدم له هدية!! ما أعظم هدية قدمها له؟ أن يبين له عيباً من العيوب حتى يتحاشاه ويتلافاه ويعالجه، فيكون من أهل الصلاح والإصلاح بين يدى من يقول للشيء كن فيكون.

الوصل العاشر: المؤمن قدوة[58]

من ينتسبون للصالحين يُعتَبرون بصفة خاصة قدوة ونماذج مضيئة، ومُثُلاً طيبة في أى مكان يوجدون فيه، للأخلاق والسلوكيات وللمعاملات وللقيام بالأعمال، لأننا نزعم أننا نتشبه بالحبيب وصحبه، وما دمنا ندَّعي هذا فعلينا أن نأتي بالبرهان، وهو:

فتشبهوا إن لـم تكونـوا مثلهم ... إن التشبـه بالرجـال فـلاح

ولذلك مَن ينتسبون للصالحين بصدق ويقين لهم علامات مع الخلق، ليس لي شأن بما بينه وبين خالقه، هذا أمر يقول فيه رب العزة:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (١٥الجاثية)

لكن الذي يهمني هو أخلاقك معي، وسلوكك معي، وقيامك بالعمل ما طريقتك وأسلوبك فيه؟ هذا هو الذي تحيط به العين، وتنظر إليه ..، وتبحث عنه.

[58] المعادى –الجمعة ٢٠ من شوال ١٤٣٣هـ ٢٠١٢/٩/٧م

إتقان العمل

فينبغي على كل من ينتسب إلى الصالحين أن يكون أحسن الناس قياماً بالعمل في مجاله وفي مكانه الذي يعمل فيه، وأن يُحبه رؤساءه وزملاءه وجلساءه لصفاته الطيبة، وأخلاقه الكريمة التي يتعامل بها معهم، وأن يُضرَب به المثل فيُقال في هذا العمل فلان، لماذا؟ لأنه رجل يعمل ويُتقن العمل ليُرضي الله ولو لم يراقبه أحد، ولو لم يكن له نظير هذا الإتقان حافز إثابة أو مكافأة تشجيعية، لأنه يعمل ليُرضي الله جل في علاه.

عفة اللسان

وألاَّ يصدر منه إساءة إلى مسلم لا بالقول، ولا بالفعل، ولا بالهمز، ولا بالغمز، ولا باللمز، فإن المؤمن ليس بهماز ولا لماز، لأن هذا وصف الكافرين: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ (١١القلم) وللأسف تجد جماً غفيراً من المسلمين الآن في هذا الوصف، ويظن أحدهم أنه من كبار المسلمين، ومن أئمة الصالحين! كيف يكون ذلك؟!! المسلم عفُّ اللسان، يقول فيه الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: (أنفسهم عفيفة، وحاجاتهم خفيفة، الناس منهم في راحة، وأنفسهم منهم في عناء).

الناس ترتاح من جهته لأنه لا يوجد منه إساءة ولا مخططات ولا مؤامرات يخشونها من جانبه لأنه يراقب الله جل في علاه، وهذا حال الصالحين، والمنتسبين إلى الصالحين في أى وقت وحين.

إذا رأيت مَنْ هذا وصفه فاعلم أنه صادق في اتباع الصالحين، وإذا رأيت من يجالس الصالحين ويُناقض قوله فعله، وليس هذا حاله ووصفه فاعلم أنه دعي، أو منافق يرجو منافع دنيوية بمجالسة السادة الذين يتجهون بالكلية إلى رب البرية ﷻ، فتأخذ حذرك منه، فليس معنى أن من يجالسهم فهو منهم، لكن الذي منهم هو من تشبه بهم، وأصبح يمشي على منهاجهم، ويسير على هديهم في كل أحواله.

الصدق في التعامل

ولذلك أسمع أحياناً عن كثير ممن يجلسون معنا، يكون معنا وتراه وتحادثه وتجالسه يُهيئ لك أنه نزل من السماء الرابعة أو الخامسة أو السادسة!! مَلَك في صورة إنسان من الذوق الرفيع والأدب البديع وانتقاء الألفاظ والغاية في اللطف، ولو تبعته بدون أن يشعر بك، وسرت خلفه حتى يدخل منزله تجده تَحَوَّل إلى وحش كاسر، فتجد سب وشتم وعلو صوت وألفاظ لا تليق!! ما هذا وما ذاك؟!! هذا وجه وهذا وجه، والنبي حذَّر وقال:

{ إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ } ٥٩

لا تُثبَّت لك قدم صدق، ويُقال لك:

﴿ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢يونس)

---

٥٩ الصحيحين البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

إلا إذا صار لك وجه واحد مع الشيخ، ومع الزوجة، ومع الأولاد، ومع العاملين الذين يعملون لديك، ومع الجار .... مع أى أحد وجه واحد، رحمة ورق ولين مع الجميع، لكن مقابلة هذا بوجه وهذا بوجه، هذا ما حاربه رسول الله ﷺ، وهو يبني الأفراد الذين قام على أكتافهم دعوة الله، ونهضوا بالدولة الإسلامية، وبلغوها شتَّى الآفاق بمعونة الله وتوفيق الله جل في علاه.

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ حتى وهو مع الخلق فإنه يتعامل مع الحق، يعامل الحق في الخلق، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ في مقام الإحسان، يُحسن كل أمر: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ (٢٢لقمان) والعروة الوثقى هي رسول الله ﷺ، ومَن الذي استمسك بالعروة الوثقى؟ الذي وصل إلى أنواره، والذي شاهد أسراره، والذي طُوى ما بينه وبينه من البَيْن حتى أصبح قريباً منه تقع العين منه على العين.

وليس الوصول له بالسفر بالطائرة أو الباخرة، ولكن الذي سافر من نفسه، وركب براق شوقه، وساح بروحه، فرأى حضرة النبي ﷺ شمساً كلية تُضيء قلوب المقربين، وسراجاً نورانياً يُسرج أرواح المتقين في كل وقت وحين صلوات ربي وتسليماته عليه.

فليس عندنا ثنائية، لأننا واحد، ولأن الذي عنده ثنائية في شخصيته فهو مريض بالفصام، ولذلك كان ﷺ إذا التفت التفت جميعاً، فلا ينظر بطرف العين، لأن الله قال:

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ (١٩غافر).

أنموذج المؤمن التقي

نريد أن نعيد مرة أخرى في هذا الكون، وبين الخلق نموذج المؤمن التقي، الذي يحتاجه جميع الخلق للنهوض والتقدم والمدنية وإظهار الحضارة الإسلامية بأبهى صورة في هذا العصر، وهذا الأمر يحتاج إلى جهاد، وهو أن تكون واحد، فإياك ثم إياك ثم إياك أن يكون لك صورتين، أي ينسحب عليك صفة من صفات النفاق، فتعامل الأكابر بوجه، وتعامل الأصاغر بوجه آخر، بينما هم الأولى بالحنان والعطف واللطف!!

فلا بد أن تكون صورة واحدة مع الغني والفقير، ومع العظيم والحقير، لأنك تُظهر جمال الإسلام، والذي يُظهر جمال الأسلام أخلاق القرآن، وأخلاق الرحمن، وأخلاق النبي العدنان إذا ظهرت في الإنسان، هذه الأخلاق لابد أن نُحييها في هذا العصر لندخل في قول رسول الله ﷺ:

{ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ "، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنِ الْغُرَبَاءُ ؟ قَالَ: " الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللَّهِ } ٦٠

هل ماتت سُنة الظهر؟!! هل ماتت صلاة الوتر؟!! هل ماتت سُنَّة صيام الإثنين والخميس؟!! هذه السنن قد زادت، ولكن الذي مات الأخلاق كالمروءة والأمانة والوفاء بالعهد والصدق والصراحة ... الأخلاق الإيمانية هي التي ماتت في العصور الماضية، وتحتاج لمن يُحييها في هذا العصر، أن يُحييها في نفسه فتظهر عليه، ليس بالكلام ولكن بالتعامل مع الغير.

الإسلام ولطف المعاملة

أصحاب رسول الله ﷺ لمن أراد أن يكون على سمتهم، وأن يهتدي بهديهم، هل كان لهم صوت مرفوع أو مسموع؟ كانوا يتكلمون معاً همساً، ومع الحبيب كان لا يستوضح كلامهم إلا إذا طلب منهم أن يرفعوا أصواتهم ليتبين وضوح كلامهم!! حتى أن الخلق كانوا لا يشعرون بهم، لماذا؟ لإقبالهم بالكلية على ربهم ﷻ.

---

٦٠ الزهد الكبير للبيهقي ومسند الشهاب عن عمرو بن عوف المزني ﷺ

فالسالك بين أمر من اثنين، إما أن يتكلم، أو يعمل، الذي يتكلم لا يعمل، والذي يعمل ويتقن العمل لن يتكلم، إذا ذهبت إلى بلاد أوربا هل تسمع أصوات عالية في محطة حافلات أو محطة قطارات؟ لا، فمن يتكلم يتكلم بهمس، أو من يشغل نفسه بقراءة كتاب، أو مطالعة صحيفة، وحتى لو شغَّل مذياع فإنه يضع سماعات على أذنه حتى لا يُعكر صفو من حوله، ذوق رفيع وأدب بديع تعلموه من الإسلام، وللأسف تخلى عنه أهل الإسلام!!.

فانظر إلى الإزعاج الذي لا حدَّ له في كل زمان ومكان، ومن العجب أنهم صنعوا وسائل الإزعاج وصدَّروها للمسلمين ولا يستخدمونها فيما بينهم، فتجد الشوارع والمسارح كلها أصوات عالية، هذه الأصوات تُصيب الآذان بالصمم، لأن الآذان لها طاقة احتمال معينة، فتسمع في حدود ذبذبات معينة، بلغ بهم الأمر في النرويج والسويد إلى أنهم منعوا استخدام السيفون في المنزل بعد العاشرة مساءاً، ولو حدث ذلك يشكون مَنْ فعل ذلك ويحاسبونه!! ولكننا للأسف إلى مطلع الفجر ونحن في ضوضاء سواء في الشوارع أو المنازل، فلا نراعي حرمة لمريض، ولا نراعي طالباً يُذاكر، ولا نُراعي رجلاً مجهداً يريد أن يرتاح ليستأنف العمل في اليوم التالي .... كل ذلك ضربنا به عرض الحائط، ونُسب هذا – وللأسف – إلى ديننا، مع أن ديننا هو دين اللطف والذوق الرفيع.

لم يتعلم العالم كله الذوق إلا من دين الإسلام، والمسلمون الآن تخلوا عن كل ذلك، لماذا؟ لأننا اعتقدنا أن الإسلام هو الشكليات في المسجد، والشكليات في العبادات، واكتفينا بذلك، وحتى في المسجد ترتفع الأصوات، ويتحجج بعض المسلمين بأنه يريد أن يوقظ الناس لصلاة الفجر، ويفتح مكبرات الصوت في المسجد قبل الصلاة بساعة على الإذاعة، نظام الإذاعة هو قارئ يقرأ، ومبتهل يبتهل، من أين ورد هذا؟ أمن السلف الصالح؟ هل ورد عن رسول الله، أو الصحابة الأجلاء؟ لا، حتى السلف الصالح الذين عاصرناهم كان أحدهم يصعد على المأذنة يردد بعض التواشيح الدينية ليُذكر الناس بالفجر فتُقبِل، لأنه لم تكن هناك مكبرات صوت.

نحن بدعوى أننا حريصين على الدين، وعلى شعائر الدين نصنع ما يسيء إلى الإسلام وإلى المسلمين، ولا نشعر أننا اقترفنا إثماً كبيراً يشوه تعاليم هذا الدين، والدين براء من كل ذلك، فالمسلم الذي يستيقظ قبل الفجر مطالب بأن يخلو بربه، فيُصلي لله، أو يقرأ كتاب الله ليناجي الله، أو يُسبح الله، أو يستغفر الله .... يعمل عملاً صالحاً يُقدمه لمولاه، فإذا وضعنا القرآن على مُكبر الصوت ماذا يصنع هذا الذي يريد أن يُناجي مولاه؟!! لن يعرف، ولذلك نحن لا نهيئ الفرصة للعابدين الذين يرفع الله البلاء عن الأمة بهم، ونصنع أشياء ونظن أنها من الدين، كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ: (والجاهل مَنِ الأكوان مناه، وهو يظن أنه يعبد الله).

الذوق الإسلامي الرفيع

نحن نريد من إخواننا أن يكونوا صورة مثالية، ونماذج تربوية للمدرسة المحمدية، فيتحلون بالصمت:

{ الصَّمْتُ حِكَمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ } ٦١

لا يتكلم إلا عن ضرورة، وإذا تكلم لا يؤلم من سمع كلامه، وإنما كلامه كما يقول الحبيب:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالنَّحْلَةِ، لا تَأْكُلُ إلا طَيِّبًا وَلا تَضَعُ إلا طَيِّبًا } ٦٢

أسمع من بعض الإخوان الكلام وكأنه راجمة صواريخ، صواريخ تدخل على النفوس والقلوب فتثيرها وتؤذيها، وسهام الكلام أشد وقعاً من الطلقات النارية لأهل الإسلام والإيمان الذين لديهم حساسية ربانية، لأن الطلقة تؤدى إلى جرح سطحي أو عميق سيأخذ له علاج وينتهي، لكن الكلمة ربما تؤلمه لشهور، وربما لا تجعله ينام دهور!! هذه الكلمات لا تخرج من أهل الإيمان، لأن أهل الإيمان لا تخرج منهم الكلمة إلا بعد عرضها على دائرة الفكر، ووزنها بميزان العقل، ثم بعد ذلك عرضها على الشرع، إذا وافقت في كل هذه الأدوار أُخرجها بمقدار، لأنني أعلم علم اليقين أن الذي يسمعني أولاً، وأن الذي يحاسبني آخراً هو السميع ﷻ.

---

٦١ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن أنس ﷺ
٦٢ سنن النسائي والطبراني والتاريخ الكبير للبخاري عن لقيط بن عامر العقيلي ﷺ

ومعظم خلافات الناس سببها الكلام، كلمة قالها مندفعاً ولم يتدبر فيها، فلذلك لا بد من التروي والحلم، بِمَ مدح الله أبو الأنبياء إبراهيم؟

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤التوبة)

مع الله أواه، يناجي الله على الدوام، ومع خلق الله حليم في كل تصرفاته وسلوكياته، لا ينفعل بسرعة، ولا تصدر عنه أقوال أو أفعال تسيء لأنه ضبط تصرفاته بشرع الله، وبتوجيه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

إخلاص العمل لله

نريد أن نكون جميعاً على هذه الكيفية، نضبط اللسان، ونضبط الأخلاق، ونضبط النيَّة، ونجعل الأعمال كلها خالصة لربِّ البرية، لو عملت للخلق، ماذا معهم من الأجر والثواب ليعطوك إن كان في الدنيا أو في الآخرة؟! إذا كانوا لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكيف يملكونه لغيرهم؟!!لكن اعمل لله.

كان السلف الصالح رضي الله عنهم كما قيل عنهم: لا يخرج الرجل منهم من بيته حتى يستحضر سبعين نية في خروجه كلها لله ﷻ: ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (٢٩فاطر)

فلا بد للمؤمن أن يضبط تصرفاته، فيكون كملائكة الله في أحواله: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦التحريم).

هذا ما نريده من إخواننا في كل أمر، أنت مطالب بإتقان الصلاة، مثلما أنت مطالب بإتقان العمل الذي تحصل منه على رزق لنفسك ولأولادك، مثلما أنت مطالب بإتقان الكلام مع جميع الأنام، مثلما أنت مطالب بإتقان السلوكيات في كل الأماكن والإتجاهات، أنت قدوة، والناس ينظرون إليك، لا ينظرون إلى أقوالك إلا إذا وزنوا عليها سلوكياتك وأفعالك.

هذه وصية أوصي بها إخواننا جميعاً حتى ندخل في قول الله: (٢٣الأحزاب)

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾

الوصل الحادى عشر: الخلق العظيم[63]

التخلق بالأخلاق الإلهية

ما المنهج في التخلق بالأخلاق الإلهية؟ العبادات طريق إلى الجنات والدرجات والحسنات، لكن الطريق لقرب الله، والوصول لعطاء الله وفضل الله، في التخلق بأخلاق الله، ليس معنى ذلك أن نترك العبادات، لأن كثيراً من المنسوبين إلى الصالحين يتهاون في الفرائض، فشيخنا الشيخ أبو العزائم ﷺ قال لنا:

من خالف الشرع الشريف فليس من آل العزائـــم فافهمـــن برهاني

فمن يخالف الشرع في أي صغيرة أوكبيرة فليس منا، فمن يتهاون في أداء الصلاة فلا علاقة لنا به، ومن يتهاون في الأحكام الشرعية التي أمر بها رب البرية وأكد عليها صاحب الحضرة البهية ﷺ فلا علاقة لنا به، ومن يصاحبك ليستلب أموالك أيضا فهذه ليست طريقتنا، ومن يأت لزيارتك في بيتك ولم تكن بالدار ويريد أن يدخل البيت فما علاقة مثل هذا الرجل بشرع الله وبهذه الأعمال؟! فنحن أمناء على شرع الله ﷻ، البداية شرعية والنهاية صوفية.

---

[63] الرزيقات بحري – الأقصر ٢٠١٢/١١/١٢

وليس معنى أن النهاية صوفية أنهم في النهاية تركوا أعمال أهل البداية، لا، فهم أكمل الناس في أعمال الشريعة، لأنهم أئمة يقتدى بهم ويهتدى بهم في سيرهم، فمن فرط فقد فرط فيه الله، فلا بد من المحافظة على فرائض الله جل في علاه، لكن مع الفرائض ما الطريق التي توصل بسرعة لفتح الله؟ وفى الأثر:

{ إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه }

فهو يريد من الخلق أن يتخلقوا بأخلاق الله فيما بينهم ومع بعضهم، وهذا ما نحن في أمس الحاجة إليه الآن حتى ينصلح حالنا:

تخلق بأخلاق الإله وحافظن على   منهج المختار في العقد تنسق

ما هذا العقد؟ إنه عقد ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) معه في الأوصاف الكاملة، والأخلاق الكريمة التي أتحفه بها الله، والتي كان سائراً بها بين خلق الله، وشاركه في هذا أصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله تبارك تعالى عنهم أجمعين.

ولذلك كان لأهل التحقيق علامات في المنتسبين للطريق، إذا وجده يتخلق مع الخلق بأخلاق الجاهلين يعلم علم اليقين أنه محروم من مدد التوفيق من الرب الكريم، فهل الله ﷻ يمد بمدده رجل سباب وشتام ولعان؟!! لا، مهما يبرر ومهما يقول، لأن الناس دائماً عندهم حسن ظن بالمنتسبين للصالحين، فيقول أنا عندي أسباب! من يرضى بهذه الأسباب؟! والنبي ﷺ قال:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ وَلا الطَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ } ٦٤

وربما تجده أمام الخلق يتخلق بأخلاق الملائكة، ولكن عندما يذهب إلى بيته يختلق المشكلات مع زوجته وبناته وأولاده، فمال هذا ومال فضل الله وإكرام الله؟! مع قول حبيب الله ومصطفاه ﷺ:

{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأهْلِي } ٦٥

ونحن على هذا المنوال، فقد وصف الله ﷻ لرسوله ﷺ في إيجاز بليغ الصفات التي ينال بها المقام الكريم عند الرب العظيم ﷻ: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾

(٨٥الحجر)

٦٤ سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٦٥ سنن الترمذي والدارمي وصحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها.

وما الصفح الجميل؟ أي يصطلح بلا معاتبة وبلا محاسبة، ونحن نقول هيا بنا نحاسب بعضنا بعضاً حتى لا يكون بيننا شئ من الخصام! لكن الصفح الجميل هو الذي يصفح عن صاحبه ولا يعاتبه ولا يحاسبه ولا يؤاخذه، وأنتم تعلمون ماذا فعل النبي ﷺ مع أهل مكة فقال:

{ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَيَا أَهْلَ مَكَّةَ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ " قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. ثُمَّ قَالَ: " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ } ٦٦

هذه أخلاق نبينا، وأخلاق النبيين والمرسلين، وهي أخلاق المقربين، ومن أرادوا المنازل العليا عند رب العالمين ﷻ.

والصفح الجميل يعني أيضا ألا يكون في القلب أي أثر من أحد، ولا أي ضغينة لما جرى لأن الذي يريد القرب من حضرة القريب لا بد أن يهيئ نفسه لأن يخلي قلبه بالكلية للحبيب ﷻ، فلا يصح أن يكون في قلبه بقية من خلاف بينه وبين فلان، ولحظة أن يراه يتغير قلبه ويرجع مثلما كان، ولا يصح أيضا أن يكون في قلبه صدود من فلان، وساعة أن يراه يقطب جبينه ويعبس في وجهه ولا يريد أن يسمع له كلمة، أو - والعياذ بالله - يغمز ويلمز على كلماته وحركاته، فمال هذا ومال طريق الله؟!.

٦٦ تاريخ الطبري عن قتادة بن ملحان ﷺ

فطريق الله يريد الأتقياء الأنقياء الذين خلت قلوبهم من المشاغل والمشاكل وجعلوها صافية للواحد المتعال ﷻ، وكل هذا ليس عن ضعف أو عجز وإنما تركوا ذلك كله من أجله ﷻ، لأنه سبحانه يريد ذلك فهو الذي قال:

﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ (٨٥الحجر).

وهذا هو حال الصالحين في كل مكان وزمان، فها هو سيدنا الإمام علي زين العابدين ﵁ أخذ يمشي وراءه رجل سلَّطَه جماعة من المنافقين ليختبروا معدن آل البيت، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فقالوا له: تتبع هذا الرجل واشتمه، ومشى وراءه وشتمه بأقبح الألفاظ، وفي النهاية عندما اقترب من البيت وقف سيدنا الإمام علي زين العابدين وقال له: يا هذا إن كان بقي معك شئ فهاته قبل أن يراك أحد أولادي فيؤذيك، فتعجب الرجل وقال: حقاً إنكم آل البيت المطهرين ...الذين قال فيهم الله:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴾(٣٣الأحزاب)

فوضع الإمام زين العابدين يده في جيبه وأخرج كل النقود التي فيه وقال له: هذا كل الذي معي ولو كان معي غيره لزدتك، فما هذا؟(٣٤فصلت).

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

أليس هذا الخطاب لنا أيضا؟! بلى، فلماذا لانعمل به ولا ننفذه؟! فمن يعمل به هو الذي سيفوز بالمقامات العالية، وهو الذي سيدخل في مقام (يُلَقَّىٰهَآ) ما هذه التي يلقاها؟!

إنها درجة، هذه الدرجة من الذي سيحصل عليها؟ ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣٥فصلت) وكانت مجموعة المنافقين يمشون وراءه فتعجبوا، فقال لهم الإمام زين العابدين:

يخاطبني السفيـــه بكـــل قبـــح ... فأكره أن أكـــون له مجيبـــا
يزيـــد سفاهـــة وأزيـــد حلمـاً ... كعودٍ زاده الإحـراق طيبـــا

هو مثل عود البخور كلما أحرقته النار يخرج رائحة أكثر، وهذا حال الصالحين الذين يطلبون المنازل العالية من رب العالمين ﷻ، ولو بحثت في أحوال الصالحين وما تعرضوا له في حياتهم تجدهم كلهم حول هذا المطاف، ليس لديهم وقت ليحزنوا من أحد، ولا يكرهوا أحد، ولا يتغير قلبهم على أحد، وإذا تغير قلبهم على أخ فيكون هذا أمر وقتي ليعرف أنه أخطأ، فيرجع إلى المنهج القويم والصراط المستقيم، لكن ليس لديهم أمر تام إلا الحضور مع الملك العلام ﷻ.

لذا يجب على المريد أولاً أن يتخلق بخُلق العفو والصفح عن عثرات الإخوان، وعن زلات من حوله، ويتلمس لهم الأعذار، ولو فتح الإنسان باب الأعذار لغيره فاز وجاز، لكن إذا فتح باب الأعذار لنفسه وقف ووحل ولم يستطع أن يتحرك في طريق الله ﷻ.

لذا يجب أن يفتح الإنسان باب الأعذار للناس فيقول: لعله سها، لعله لايقصدني، لعله كان مهموماً بأمر عنده، لعله كان خارجاً من ضيق في بيته .... التمس لأخيك الأعذار ليكون الإنسان مع حبيب الله ومصطفاه ﷺ، ويحظى بمعية الأنوار مع المصطفى وأصحابه الأخيار رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

فمن لم يستطع أن يُخلِّق نفسه ويجاهد نفسه على الصفح وعلى عثرات وزلات الإخوان، ويحافظ على نقاء قلبه وصفاءه لحضرة الرحمن، فهذا يحتاج أن يرجع لروضة التعريف في حب العفيف الشريف، ليعرفوه أوصاف المطلوبين لرب العالمين ﷻ:

وسترا لعــورات الأحبــة كلهم وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق

فهل أحد يستطيع أن يتخلق بإسم الله العفو ليفوز؟ عمن سيعفو؟ عنا نحن، هل عن الملائكة؟ لا، إنها لا تخطئ، إذن العفو لنا نحن، فيعفو عنا ما نرتكبه من ذنوب وخطايا وأوزار، كيف تتخلق بإسم الله العفو؟ تعفو عمن يسئ إليك، مع من يتجنى عليك، مع من يحاول أن ينتقص قدرك ومقامك، وتعلم علم اليقين أنك محصن بقول رب العالمين ﷻ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج) أو في القراءة الأخرى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يدفع عنهم كل سوء، ويدفع عنهم كل ظلم، ويدفع عنهم كل غم، طالما تخلق الرجل بأخلاق الله رغبة في رضا مولاه جل في علاه، ليس خوفاً من عباد الله ولا ضعف ولا عجز وإنما رغبة في التقرب إلى الله، وبالعمل بما أمر به الله، واقتداءاً بسيدنا رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه، فهل نستطيع أن نتخلق بهذا الخلق؟ هذه العقبة الأولى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ ﴾ (البلد).

باب الفتح

هل تقوى أن تُطهِّر قلبك من الغل والغيظ؟ الغيظ من فلان بسب كذا، والغل من فلان بسب كذا، فطالما هؤلاء في قلبك فأنت مكتوف بقيود الغل وحبال الغيظ، فكيف يقذفوك في ملكوت رب العالمين لتنعم بالأنوار الإلهية وتسبح في الدار الجنانية وتعود بأزاهير الحكمة تعلمها لمن حولك من البادئين؟! فلا بد أن تفك هذه القيود التي تقيدك، وأول القيود الغيظ من فلان، والكره لفلان، والغل من فلان، والحزن من فلان ... فتكون قد دخلت في قول الرحمن: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر).

فهذا أول باب نفتح به كنوز حضرة الوهاب ﷻ، ذكره الله ﷻ في الكتاب، وبيَّنه للنبي الأواب، وجعله باباً للأحباب من بعده، أي باب هذا؟

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء)

فليس في القلب شئ لأحد من خلق الله، بعد ذلك رقاه في الحال.

وبيَّن له ﷻ معارج قربه في مقامات القرب من حضرة الله ﷻ،

فقال له:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (٨٧الحجر) ها هو الفتح!، فساعة أن تتخلق بهذا يأتيك فوراً الفتح، سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، أليست المثاني في القرآن؟ تأمل ... مرة يقول: ﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ ومرة يقول: ﴿ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ومرة يقول: ﴿ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ما هذا؟ هذا كلام الله جل في علاه، والله لا يكرر كلاماً ولا يكرر وصفاً لخير الأنام، لأن لكل مقام مقال، فالسبع المثاني أشار إليها بعض العارفين فقال: جمَّله الله بقوله:

{ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ }٦٧

وفي رواية: { وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ }٦٨

٦٧ صحيح البخاري وابن حبان وسنن البيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٦٨ الطبراني والبيهقي عن أبي إمامة ﷺ

فهؤلاء سبعة، فلماذا سماها مثاني؟ لأن الله أعطاه سمعاً يسمع به الخلائق، وأعطاه الله من عنده سمعاً يسمع به الحقائق، فأصبح معه مثاني، وأعطاه بصر يبصر به الخلق، وبصر يبصربه أنوار الحق المنبثة في الخلق: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور) وهؤلاء مثاني.

وأعطاه الله لسان يتكلم به مع الناس، ولسان يتكلم به مع الحقائق التي لا يراها ولا يطلع عليها الناس، فكان يكلم الحيوانات ويكلم الأشجار ويكلم الأطيار ويكلم كل شئ بهذ اللسان الذي أعطاه له الرحمن ﷻ.

فأعطاه الله ﷻ سبعاً من المثاني والقرآن العظيم الذي مَن يسمعه مِن فيه يحدث له هزة في نفسه ورعشة في قلبه فيُعظِّم فوراً الخالق الباري ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٢١الحشر) هل الجبال تخشع؟ لا، لكن سيدنا رسول الله ﷺ من فضيلته التي ميَّزه بها الله كان إذا قرأ القرآن على رجل كالجبل في القوة والصلابة والشدة تجده في الحال يخشع قلبه وتسكن نفسه ويُعظم الله ويرجع إلى دين الله جل في علاه، وفى المطالب العالية للعسقلانى وعند غيرة:

{ لَقِيَ رَجُل مِنْ بَنِي زُهْرَةَ عُمَرَ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ السَّيْفَ، فَقَالَ: أَيْنَ تَعْمَدُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، قَالَ: وَكَيْفَ تَأْمَنُ فِي بَنِي هَاشِمٍ، أَوْ بَنِي زُهْرَةَ، وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: مَا أَرَاكَ إِلا قَدْ صَبَوْتَ، وَتَرَكْتَ دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، قَالَ: أَفَلا أَدُلُّكَ عَلَى الْعَجَبِ يَا عُمَرُ؟ إِنَّ خَتَنَكَ وَأُخْتَكَ قَدْ صَبَوْا، وَتَرَكَا دِينَهُمَا الَّذِي هُمَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَشَى إِلَيْهِمَا ذَامِرًا قَالَ إِسْحَاقُ: يَعْنِي مُتَغَضِّبًا، حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ، وَعِنْدَهُمَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: خَبَّابٌ، يُقْرِئهُمَا سُورَةَ طه، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ خَبَّابٌ، ﷺ حِسَّ عُمَرَ، دَخَلَ تَحْتَ سَرِيرٍ لَهُمَا، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ؟ قَالا: مَا عِنْدَنَا حَدِيثٌ تَحَدَّثْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ: لَعَلَّكُمَا صَبَوْتُمَا، وَتَرَكْتُمَا دِينَكُمَا الَّذِي أَنْتُمَا عَلَيْهِ؟ فَقَالَ خَتَنُهُ: يَا عُمَرُ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَى خَتَنِهِ، فَوَطِئَهُ وَطْئًا شَدِيدًا، قَالَ: فَدَفَعَتْهُ أُخْتُهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَ وَجْهَهَا فَدَمِيَ وَجْهُهَا، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ عُمَرُ، ﷺ: أَرُونِي هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي كُنْتُمْ تَقْرَءُونَ، - وَكَانَ عُمَرُ ﷺ، يَقْرَأُ الْكُتُبَ - فَقَالَتْ: أُخْتُهُ: لا، أَنْتَ رِجْسٌ، أَعْطِنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَتَرُدَّنَّهُ عَلَيْنَا، وَقُمْ فَاغْتَسِلْ وَتَوَضَّأْ، قَالَ: فَفَعَلَ، فَقَرَأَ: ﴿ طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ،

فَلَمَّا سَمِعَ خَبَّابُ، ﷺ، كَلَامَ عُمَرَ ﷺ، خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا عُمَرُ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ: اللَّهُمَّ أَعَزِّ الدِّينَ بِعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَوْ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، فَقَالُوا: هُوَ فِي الدَّارِ الَّتِي فِي أَصْلِ الصَّفَا، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ يُوحَى إِلَيْهِ، فَانْطَلَقَ عُمَرُ، ﷺ، وَعَلَى الْبَابِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ﷺ وَأُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَأَى حَمْزَةُ ﷺ وَجَلَ الْقَوْمِ مِنْ عُمَرَ، قَالَ: نَعَمْ، هَذَا عُمَرُ، فَإِنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُسْلِمُ وَيَتَّبِعُ النَّبِيَّ ﷺ وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ يَكُنْ قَتْلُهُ عَلَيْنَا هَيِّنًا، قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ، وَحَمَائِلِ السَّيْفِ، فَقَالَ:

{ مَا أَنْتَ مُنْتَهِي يَا عُمَرُ، حَتَّى يُنْزِلَ اللَّهُ بِكَ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ مَا أَنْزَلَ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، اللَّهُمَّ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ اللَّهُمَّ أَعِزِّ الدِّينِ بِعُمَرَ " فَقَالَ عُمَرُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَأَسْلَمَ } ٦٩

ثمار تلاوة القرآن

إذا حصَّلت القرآن، وعملت بما أمرك به فيه الرحمن، ثم تلوته متخشعاً بكلامه كما أمر النبي العدنان تجد كل من سمع القرآن منك انصدع قلبه من خشيته للرحمن، ولذلك نحن محتاجون كلنا أن نقرأ القرآن كما أُنزل، كيف نقرأه يا رسول الله؟ قال:

٦٩ الأحاديث المختارة والمطالب العالية لابن حجر عن أنس ﷺ

{ فَمَنْ لَمْ يَبْكِ فَلْيَتَبَاكَ } ٧٠

فإذا قرأت القرآن اترك الدنيا وراء ظهرك، واجعل الآخرة أمام عينيك، والله ﷻ في قلبك، واعلم أن الذي يسمعه منك هو الرءوف الرحيم، لكن كيف نقرأه؟ لا بد وأن تتغني به فقد قال ﷺ:

{ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ } ٧١

فلا تقرأ القرآن وهمك كله أن تختم ختمة في يومين وكفى، فليست هذه قراءة، فالقراءة لا بد وأن تكون بتغني وتلطف وصفاء القلب وخلو البال، وفي مكان ليس فيه إثارة ولا قلق، لأنك تقرأ كلام حضرة الرحمن ﷻ، تماماً كما كان الصحابة يقرءونه، وكما كان السلف الصالح يقرءونه، فالرجل الذي من أصحاب سيدنا رسول الله كان يقرأ القرآن، ومن شدة انفعاله بالقرآن سمع الفرس تتحرك حركة سريعة وابنه نائم بجواره، فتوقف خوفاً على ابنه من أن يدوسه الفرس، ووجد في سقف الغرفة سحابة صغيرة تتدلى منها ثريات منيرة، ولم يكن لديهم كهرباء أو مصابيح وإنما بنور الحضور في كتاب الله ﷻ، وذهب ليحكي لحضرة النبي فقال له ﷺ:

{ تِلْكَ الْمَلائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ } ٧٢

أي يراها الناس في النهار فهذه: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾ (٤المزمل).

---

٧٠ الطبراني والبيهقي عن جرير بن عبد الله ﷺ
٧١ صحيح البخاري وسنن أبي داود والدارمي عن أبي هريرة ﷺ
٧٢ صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

كذلك سيدنا أبو بكر ﷺ صنع له مجلساً صغيرا في بيته ليقرأ القرآن، فكان نساء الكافرين وصبيانهم وعبيدهم يجلسون حول البيت ليستمعوا القرآن من حلاوة تلاوة سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، وكان يمنعهم أهلهم ولكن سرعان ما يعودون ثانية، لماذا؟ لحلاوة القرآن الذي يسمعونه، وثارت ثورة الكافرين لدرجة أنهم أرادوا قتله، يسألوهم لماذا؟ يقولون: إنه فتن نساءنا وأولادنا وعبيدنا، لأنه كان يتلوه بخشوع وبترنم وبترتيل كما أمر الرحمن ﷻ.

فنحن محتاجون لكي نتقرب إلى الله أن نقرأ على هذه الوتيرة: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ (٨٧الحجر) فمن سيقرأ القرآن بهذه الشاكلة سيشعر بالارتياح من الذي نعاني منه هذه الأيام، نعاني من النظر إلى هذا ماذا عنده؟ وفلان ماذا يعمل في وظيفته؟ وأنظر إلى الناس ..... فالحواس يجب أن تغض، فلا تنظر إلا لكلام رب الناس، ويتخلق المرء بقول الله لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ ﴾ (١٣١طه).

وإذا الإنسان امتلأ قلبه بنور القرآن فلا بد للجوارح أن تستريح من النظر إلى بني الإنسان، فلا يحقد ولا يحسد ولا يتطلع لأحد، ولا ينظر إلى النعم الممدودة ولا الموائد المشهودة، وإنما يتطلع إلى أعلى، فهو يريد المقامات العالية، يريد القرب من الله، يريد أن يتمتع بحبيب الله ومصطفاه، يريد الفتوحات التي ينزلها الله ويعطيها ويهبها للعارفين بالله ... وبهذا يصبح نظره عالياً، فلن ينظر للدنو والدناءة من الدنيا، ومن إلهامات سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه:

فحدق أعيــن الإيمــان وانظــر ترى الأكوان تُؤْذن بالنفـــاد
فمن عـــدم إلى عـــدم مصيرك وأنت إلى الفنا لا شك غـــاد

فالذي يرغب أن يكون مع سيدنا رسول الله ﷺ أو يكون له نصيب من كنوز الوراثة المحمدية عليه بهذه الأخلاق، والأخلاق القرآنية والأخلاق المحمدية، ويجمل نفسه بهذه الأخلاق، وهذا هو الجهاد الأعظم الذي به الشهود وبه الفتح وبه الإقبال على الله، ونيل ما عند الله من شهادات أعدَّها الله لعباده الصالحين.

الوصل الثاني عشر: سلوكيات الصادقين[73]

يتساءل كثيرٌ منا: ما أكثر الخطباء الذين يتحدثون عن الإسلام، وما أكثر العلماء الذين يتكلمون عن نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، حتى صار للدعوة الإسلامية قنوات إذاعية وقنوات فضائية، منها من يُذيع القرآن، ومنها من يُذيع حديث النبي العدنان ﷺ، ومنها من يُبين ويُعلِّم ويُفقِّه في معاني القرآن، وفي معاني سُنَّة النبي العدنان، ولكن هؤلاء جميعاً كم يدخل على أيديهم من غير المسلمين في الإسلام؟ أقل القليل، بينما لو استعرضنا الأعداد الوفيرة والبلاد الكبيرة التي دخلت من غير العرب في الإسلام تجد كلها دخلت على يد رجلٍ واحد، يعنى بلدان أفريقيا المسلمة نيجيريا والتى فيها حوالى ٢٠٠ مليون مسلم، والحزام الجنوبي لدول المغرب، وموريتانيا والسنغال ونيجيريا ومالي والنيجر .... كل هذه الدول ٩٠% على الأقلّ من سكانها مسلمين، وأندونيسيا والهند والصين، هذه البلاد أيضاً عندما نستعرض تاريخ دخولها في الإسلام نجد أن الذي أدخل الإسلام فيها رجلٌ واحد ليس معه مال ولا معه ضلاعة غير محدودة في القال، ولا معه جيش، ولا معه كتب يوزّعها، ولا شرائط يوزعها، فكيف دخل الناس في الإسلام حتى نمشي على هذا المنوال؟.

---

٧٣ جرجا ـ مسجد علي بك ـ الجمعة ١٦ من ربيع الآخر ١٤٣٣هـ ٢٠١٢/٣/٩م

بين الروحانية والمادية

العالم كله يريد أن يرى قدوة، يريد أن يرى رجلاً يفعل ما يقول، أفعاله هي أقواله، وأقواله تدّل على أفعاله، وقلبه صاف من الدنيا وشهواتها وأهوائها وحظوظها، لا يريد بدعوته إلا وجه الله، لايريد مالاً ولا يريد أن يكون قائداً، ولكن كل الذي يريده هو أن يُبلِّغ دعوة الله لينال رضاء الله جلّ في عُلاه.

إذا وُجد هذا الرجل حدِّث ولا حرج، ليس بالنسبة لنا فقط، ولكن بالنسبة لغير المسلمين، لأن العالم كله في جفاف روحاني، عندهم الخيرات من غير عدٍ ولا حدٍ، في أمريكا مثلاً من كثرة الأقوات مثل القمح والذرة يُلقُوا بها في المحيط!! لماذا؟ لكى لا تكلفهم مخازن، وكذلك الزُبد الطبيعى والتى غير موجودة عندنا، فمن كثرتها تمتلئ بها المخازن فيلقوا بها في المحيط.

خيرات وفيرة وإيرادات كثيرة، وكل ما يطلبه الإنسان من الأكوان موجود، فمن يريد أرضاً فالأرض هناك بلا حدود، ومن يريد سكن فالسكن هناك موجود ومتوفر في كل وقت وحين، كل مشاكلنا موجودة عند أهل امريكا وأهل أوروبا وسكان اليابان.

فالشيء الذي نحن مشغولين به الآن وهو الثورات والإضرابات، هذه الأشياء موجودة بدون سبب، لكن الشيء الغريب رغم توافر الخيرات وكثرتها تجد المشاكل العصبية، واليابان تُعتبر من أغنى دول العالم الآن،

لكنها كانت السنة الماضية الأولى على العالم في حوادث الإنتحار!! فلماذا ينتحرون؟ عندما يشعر المرء بأنه يعمل وليس في قلبه أملٌ ولا يوجد له وجهة أو شيء يدفعه إلى العمل فيصاب بالإحباط .. فماذا يفعل؟ يتخلصّ من الدنيا ويموت وينتهي الأمر.

ما الذى يحمي الإنسان عند الهمّ وعند الغمّ وعند الكوارث وعند نزول المصائب وعند المضايق وعند الشدات؟

الإيمان بالله، إذا تصفّح في كتاب الله، أو إذا سمع لحديث حضرة النبي ﷺ من أحد العلماء ووعاه فترفع روحه المعنوية ويشعر بكيانه ووجوده، وإذا عمل عملاً من أعمال البرّ والخير فيشعر بالفرحة.

السائحين يلعبون ويمرحون ويعملون مايريدون، لكن هل أحدٌ منهم يرجع ويجد أن روحه المعنوية مرتفعة؟! لا، لكن الرجل المسلم إذا أخبروه أنه ذاهب إلى الحج هذا العام تجد عنده نشوة روحانية وبهجة قلبية لا تستطيع أن تُعبِّر عنها الكلمات، وعندما يتحرك في الذهاب والروحة فالدنيا كلها لاتكفيه لو أعطيناها له .. لماذا ؟ لأنه سعيد بهذا العمل الذي سيقدمه لحضرة الرحمن، فرحٌ لأن ربنا إجتباه وإختاره وجعله في هذا العام من حجيج بيت الله .. فرحٌ لأنه رأى الأماكن المباركة التي باركها الله.

فالإيمان الذي نحن فيه والذي لا نشعر به هو أكبر نعمة أنعم الله بها علينا، لكن لا يعلم قدر هذه النعمة إلا من يفقدها، فنحن لا نشعر بقيمة شمسِنا ونمل منها في الصيف، لكنهم يتمنون ربع ساعة من هذه الشمس .. لماذا ؟ من البرودة الشديدة التي هم فيها .. وسبحان الله لأنهم عندهم برودة قلبية، فجعل الله حياتهم برودة في الأماكن الباردة الحسية، فتكون برودة ظاهرة وبرودة باطنة، ونحن والحمد لله حرارة حسية ظاهرية، وحرارة قلبية والتى هي حرارة الإيمان:

﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ (٧الحجرات).

المؤمن قدوة طيبة

علينا جماعة المؤمنين شكر الله ﷻ على نعمة الإيمان، ماذا تحتاج منا؟ أني أضم لعائلة الرحمن، أفراداً جُدُد يدخلون في دائرة الإيمان، وذلك لايحتاج إلى بيان بلسان، بل يحتاج إلى بيان بالجوارح والأركان، يريد أن أكون صورة لما يطلبه الله ﷻ من أهل الإيمان من أحوال، ومن أعمال نبَّه عليها الله، وكان عليها حبيب الله ومصطفاه ﷺ، ومن حوله من الصحابة المباركين، ومن تبعهم من الصالحين، نسأل الله ان نكون منهم إلى يوم الدين.

فالناس يريدون القدوة، ولذلك ربنا ﷻ عندما وجد في بعض المؤمنين أقوالهم تخالف أعمالهم عاتبهم عتاباً شديداً فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (٢الصف) وإذا تكلمنا وكلامنا خلاف أعمالنا فيكون: ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (٣الصف) والمقت يعني البُغض الشديد من الله للذي يقول ما لايفعل، إذا التزمنا بذلك يُيَسِّر الله ﷻ لنا كل السُبل وكل المسالك لنشر دين الله ﷻ اقتداءاً بهدى حبيبه ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه .

ولذلك يحتاج الإسلام منا أن نكون على صورة طيبة لما حدَّده الله ﷻ من ملامح أهل الإيمان، وصورة صادقة لما وصف الله ﷻ به أهل الإسلام، وماذا يعني هذا؟ يعني نركّز قليلاً على السلوكيات التي أمرنا بها الله وكان عليها حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

الناس خارج المسجد كيف يلمسون الإسلام منك؟ في أقوالك وأفعالك وفى أحوالك، فأنت تُصلي لله، وعندما يكون خشوعك في الصلاة فتكون درجتك في الخشوع عند الله في الصلاة في الخشية وتقوى الله، فتكون أيضاً في درجة أكبر.

عندك حضور مع حضرة الله تأخذ في الصلاة درجة أعظم، لكن كل هذا بينك وبين الله لا يراه غيرك، فما الذي يراه الناس منك في الصلاة؟

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (العنكبوت)

يرون خارج المسجد لسانك لا يؤذي أحداً، ولا يدك تمتد بسوء لأحد، ولا تفعل عملاً ولا ترتكب جُرماً يُسيء إلى الآخرين، فيعلمون علم اليقين أن هذا حقق النتائج المرجوة من الصلاة، الناس تريد أن ترى فينا نتائج هذه الأعمال التي نفعلها لنا عند الله.

أنا سأصوم لله ﷻ صياماً قد يكون إبتغاء وجه الله، وقد يكون رغبة في النظر في الآخرة إلى وجه الله، وقد يُسقيني الله ﷻ من حوض الكوثر شربةً هنيئة مريئة يوم الدين، فكل هذه درجات للصيام لى عند الله ﷻ، لكن الناس ماذا تريد أن ترى مني نتيجة الصيام؟

{ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ } ٧٤

بماذا يزن الناس الصيام؟ بأخلاق الصائم مع الناس، وكذا الحج وكذا الصدقة والزكاة .. وكذا كل الطاعات التي يفعلها المرء لمولاه، فلا بد وأن يكون لها مردود عند خلق الله، وهذا هو الذي نريده، نريد أن نوسع دائرته ونجد الخلق يلمسونه، فيدخلون في دين الله ﷻ أفواجاً.

---

٧٤ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن أبي داود عن أبي هريرة ﵁

ثمار الأعمال الصالحة

ما نتيجة كل هذه الأعمال الصالحة؟

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾

(٩٧النحل)

وهذه النتيجة في الدنيا غير الآخرة، فإنه يعيش في الدنيا في حياة طيبة، فيفتح عليه الفتاح ﷻ، وليس الفتح بالضرورة - كما نحن متصورين - أنه وسَّع عليه المال، وهل المال فتحٌ من الله؟ لقد أعطاه الله لسيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، فقال سيدنا سليمان ليعرفنا: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠النمل) ... هذا الإبتلاء ينجح فيه الإنسان إذا انفق المال فيما يُحبه الله، بعد أن يجمعه من طريق حلال أحله الله، وقد تكون النتيجة الفشل الذريع إذا جُمع المال من الحرام وصُرف في الذنوب والآثام.

أما فتح الله ﷻ على الإنسان ما سمته؟

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (١الفتح) .. لماذا هذا الفتح؟ ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح) فيكون الفتح من الله أنه يغفر لي ذنوبي، ويستر لي عيوبي، ويرزقني التوفيق والإخلاص في الأعمال، ويرزقني الصدق في الأقوال، ويرزقني أحوال الرجال الذين أثنى عليهم في كتابه الواحد ، ويرزقني التشبُه بالنبي ﷺ في الأخلاق ومكارم الخصال .. هذا هو الفتح.

لكن لو وسَّع الله عليَّ الدنيا، وسأشتري كل سنة أرضاً جديدة، وسأبني عليها، فكل هذا فتنة: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَـٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾ (١٥التغابن) فتنة للإنسان إن لم يسبقه ويلحقه ويصاحبه توفيق الرحمن، ربما يزّل بسببه الإنسان والعياذ بالله ﷻ.

فنحن نحتاج أن نترجم كتاب الله وحديث رسول الله إلى سلوك عملي نمشي به بين الناس في هذه الحياة، على أن يحفظ الله قلوبنا بهذه الأعمال حتى لا تكون لشهرة ولا لرياء ولا لسُمعة ولا لمصلحة ولا لمنفعة زائلة أو فانية، وإنما تكون كما قال الله ﷻ: فى (٩الإنسان) :

﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾

هذا لوجه الله ﷻ، وهذه تحتاج إلى حفظ شديد للقلوب، وتحتاج إلى مرابطة قوية على دائرة النفوس، لأن النفس دائماً لها تطلعات وخاصة عند فعل الصالحات، فهي تريد أن تظهر، وتريد ثناء الخلق، وتريد الشُهرة، وتريد السُمعة، وتريد حديث الملأ عنها، وتريد أن تشعر بأن لها مكانة عند الناس بسبب الأعمال التي تعملها لرب الناس.

كل هذه الأمور تحتاج إلى تطهير في النفوس، وحرص في القلوب حتى يكون العمل خالصاً وصادقاً لحضرة علام الغيوب ﷻ، وتحتاج مع ذلك أن يكون معي طبيب علَّمه الحبيب، وأعطاه سر التطبيب، وأذن له في ذلك وجعل له فيه نصيب.

شفاء القلوب بسُنَّة الحبيب المحبوب

تعالوا معي في زيارة لمصحّة الحبيب المحبوب لنرى ما فيها، كيف كان يُطبب النفوس ويعالج القلوب؟ نحن معظمنا حالياً أطباء الشرع وأقطاب العُبَّاد، ما روشتاتهم للسالكين والمريدين؟ يقول له: خذ هذا الذكر واقرأه ألف مرة، أو خذ هذه الصيغة من الاستغفار وكررها سبعين ألف مرة ... فهذه هي معظم الروشتات الموجودة .. الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه قال: (من دلَّك على العمل فقد أتعبك، ومن دلَّك على الدنيا فقد قطعك، ومن دلَّك على الآخرة فقد حجبك، ومن دلَّك على الله فقد أراحك).

الذى حضر ليعرض نفسه على رسول الله، يقول له وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، قُلْت: قَدْ قُلْتُهُ، قَالَ: إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ، فَقُلْت: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ } ٧٥

هو يريد أن يُكثر من العبادات، والحبيب ﷺ يُلطف له في العبادات ولا يريده أن يمشي في هذا الطريق إلى النهايات، حتى يصير عابداً من العُبَّاد، فديننا دين دنيا ودين، فلو مشى في العبادات ووقته كله عبادات، فأين الدنيا في هذه الحالة؟

أأترك الدنيا والنبي قد قال:

{ لا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلامِ } ٧٦

ليس عندنا رهبانية، ولا أناسٌ متخصصون في العبادة، وإنما عندنا مؤمن يعمل لدنياه ويعمل لأخراه، ويعمل ليرضى الله جلّ في عُلاه .. كله في وقتٍ واحدٍ، فيوازن هذه الأمور:

---

٧٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٧٦ مسند الإمام أحمد و قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : لَمْ أَرَهُ بِهَذَا ، لَكِنْ فِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الْبَيْهَقِيِّ : " إِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَنَا بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْحَنِيفِيَّةَ السَّمْحَةَ. "

{ جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ:

{ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }[77]

جهاد الصادقين

ما الروشتات التي كان يكتبها رسول الله ﷺ؟

عندما تراها تجدها عجيبة .. يكتب صنفاً واحداً فقط ولا يوجد غيره، وليس ثلاثة أو أربعة أصناف مثلما يفعل الآن أطباء الأجسام، لكن طب النفوس وطب القلوب تحتاج صنفاً واحداً فقط، فيراعيه حتى يفلح فيه، ثم ينتقل إلى صنف آخر.

ذهب إليه رجل وقال له: يا رسول الله أوصني، قال: { لا تكذب }

---

٧٧ الصحيحين البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد عن أنس ﷺ

وماذا يعني هذا؟ يعني أن جهاد أصحاب رسول الله الذي وجَّههم له رسول الله لمحو الصفات السيئة التي نهاهم عنها الله، جاهد نفسك إلى أن تمحو الكذب وتكون صادقاً في كل أقوالك وأفعالك، إذا انتهيت فأنت قد شُفيت من هذا الداء، فيعطيك روشتة أخرى حتى تُشفى من كل هذه الأدواء، فأنت صورة مثالية لسيد الرسل والأنبياء ﷺ، رجل آخر ذهب إليه وقال له أنا أريد روشتة فماذا قال له؟ قال له:

{ لا تَغْضَبْ }٧٨

وهذا كان رجلاً سريع الغضب، والغضب يؤدي إلى إحباط الأعمال الصالحة التي يفعلها، يعمل عملاً صالحاً كبيراً ثم يخرج عن شعوره ويُهين رجلاً غيره، وربما يكون هذا الرجل مسكيناً ولكن له قدر عند رب العالمين، فيغضب الله ﷻ لأجله، ماذا يفعل بعمله وتسبب بعد ذلك في مضايقة المساكين؟!.

المسلم لا يقول ما يؤذى غيره أو ما يستفز غيره، أى لا يصل إلى السب ولا إلى الشتم ولا إلى اللعن، لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ وَلا الطَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ } ٧٩

المسلم إن سبَّ فهل هو سليم أم مريض؟

---

٧٨ صحيح البخاري وسنن الترمذي ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٧٩ سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود ﷺ

إنه مريض ويحتاج إلى علاج من هذا الداء وهذا المرض، حتى ولو يلعن الجمادات أو الحيوانات!! فهذا مريض ويحتاج علاج لهذا الداء من صيدلية القرآن وعيادة الحبيب المصطفى العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

مسلم ولكن لسانه تعوَّد على الألفاظ الخادشة للحياء، ويقولها ولا يهمه أمام نساء أو أطفال، فهل هذا سليم أم مريض؟ مريض ويحتاج روشتة للعلاج.

مسلم ولا يستطيع السيطرة على لسانه، إذا جلس في مجلس يتكلم في حق فلان وفلان وفلان، وقيل وقال وغيبة ونميمة .. فهل هذا سليم أم مريض؟ مريض ويحتاج إلى علاج.

مسلم ولكن نفسه دائماً تدعوه للحرام، وتُحسِّنه في نظره، ويُحس بمذاق الحرام أفضل من طعم الحلال، فهل هذا ذوقه سليم أو سقيم؟ سقيم ويحتاج إلى علاج.

فهذه هي عيادة حضرة النبي ﷺ، أريد أن أكون مسلماً مثالياً، وأريد أن أكون مسلماً نموذجياً، وأريد أن أكون مسلماً كامل الأوصاف وعلى منهج القرآن، وهو في كل أحواله صورة من حضرة النبي العدنان ﷺ.

فإذا كان في الفرد داء يمنعه من الكمال فيكون جهاده ليس فقط في العبادات النفلية ولا في السنن القبلية أو البعدية، لكن جهاده في التخلص من هذه الأدواء التي تُقلل من شأنه عند الله وتجعله بعيداً في التشبه بالحبيب المصطفى ﷺ.

لو أن الإنسان يصلي الفرائض في وقتها في جماعة، ويصلي النوافل القبلية والبعدية، ويصلي صلاة الضحى، ويصلي النصف الثاني من الليل كله، ويتهجَّد لله، ويختم القرآن في كل ليلة مرة، لكنه غير قادر على معالجة نفسه من داء الكذب .. فهل تنفعه وترفعه هذه العبادات؟ لا .. لأنه لا بد في البداية أن يتخلص من هذه الأسقام، ومن هذه العلل العظام التي يتهاون بها الناس في هذا الزمان وظنوا أنها أمراض خفيفة.

يظنون أنها مثل البرد البسيط، أو صداع بسيط في الرأس، مع أن هذه الأمراض هي التي أضرَّت بالأمة، وهي التي ضيعت هيبة الأمة بين الأمم، وهي التي أوجدت المشاكل بين أفراد الأمة وهي التي جعلت المشكلات المتعددة التي ليس لها حلٌ بيننا.

{ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَلْعَنُ بَعْضَ رَقِيقِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَعَّانِينَ وَصِدِّيقِينَ؟ كَلا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَأَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: لا أَعُودُ }[٨٠]

الصدِّيق لا يلعن أحداً، وليس الصدِّيق معناها الذي يقوم الليل ويصوم النهار ويعمل الطاعات فقط .. الأساس الأول والذى عليه المعول أنه لا يلعن أحداً.

---

٨٠ شعب الإيمان للبيهقي عن عائشة رضي الله عنها.

ومرة أخرى كان أبو بكر جالساً مع حضرة النبي ﷺ، وجاء رجل وأخذ يسب سيدنا أبو بكر، وسيدنا أبو بكر ساكت إحتراماً لحضرة النبي، وحضرة النبي يريد أن يعلمّه الصفح الجميل، والله ﷻ زاده في هذا الدليل، زاده ربنا ﷻ في هذا الأمر، ويريد أن يكون مع رسول الله وصدّيق الأمة بماذا ؟ بهذه الأخلاق، لماذا زاد الرجل عن الحدّ ؟ سيدنا أبو بكر همّ ليُردّ فقام سيدنا رسول الله من المجلس ومشى وجرى خلفه سيدنا أبو بكر وقال : أنت ترى ما يفعله الرجل، فقال له ﷺ:

{ لأَنَّ المَلَكَ كَانَ يُجِيبُ عَنْكَ فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ ذَهَبَ المَلَكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لأَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ } ٨١

ولذلك حضرة النبي قال:

{ الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ } ٨٢

قد يتحوّل السب إلى ضرب، والضرب يتحوّل إلى قتل، ويحدث ما لا يحمد عُقباه، فماذا يفعل المسلم؟ لا يسب أحداً: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (٣٤فصلت).

٨١ أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ
٨٢ مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عياض بن حمار ﷺ

نفرض أنه آذاه إيذاءاً شديداً، أشد من السب واللعن، وهذا ما حدث لسيدنا أبي بكر ﵁، فكان له إبن خالته واسمه مِسطَح، وكان يُطعمه ويسقيه هو وأولاده، ويكسوه ويقضي له كل طلباته، فعندما حدثت واقعة الإفك للسيدة عائشة رضي الله عنها، وشنع المنافقون عليها، فكان إبن خالته من هؤلاء الذين اشتركوا في التشنيع عليها، فغضب سيدنا أبو بكر وقال :

{ وَاللَّهِ لا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٢٢النور) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا }[٨٣]

هل عرفنا جهاد الصديقين في إصلاح خلل الأخلاق التي أمرنا بالتخلق بها الكريم الخلاق ﷻ؟ ولذلك سيدي أبو يزيد البسطامي ﵁ قال: (ليست الكرامة أن تطير في الهواء لأن الطيور تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تمشي على الماء لأن الأسماك تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تقطع بين المشرق والمغرب في خُطوة لأن الشيطان يفعل ذلك، ولكن الكرامة أن تُغيِّر خلقاً سيئاً فيك بخلقٍ حسن).

٨٣ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عائشة رضي الله عنها.

هذا هو جهاد الصادقين، أمامك على السبورة الإلهية للحضرة النبوية، مُجملة ومزينة بالأخلاق القرآنية، وهو ينظر ويزن أحواله بأحوال الحضرة المحمدية، لكى يغير أخلاقه ويجعلها على هيئة أخلاق حبيب الله ومصطفاه، فكلما يغير خلق كلما يفتح له باباً من أبواب القرب، وفى الأثر المشهور:

{ إن لله تسعة وتسعين خلقاً من تخلق بواحد منها دخل الجنة }

على الفور من يتخلق بأخلاق الله تُفتح له الجنان العالية.

فعندما يكون المؤمنون على هذه الشاكلة الإيمانية، ويكونون على صورة خير البرية فهل يوجد واحد في الوجود يتخلف عن الدخول في دين الله ﷻ؟

أبداً والله!!

لكن ما الذي يحدث؟

كما نرى أقوالنا غير أفعالنا وغير أحوالنا!!

وما قاله الله، وبيَّنه رسول الله، والذي تحدث عنه الأئمة العلماء لله .. كل هذا فكرٌ نظري، والذى عليه المسلمون الآن في المجال العملي يخالف كل ما ذكرناه!!!

فيحتار الواحد منهم ويقول: أين الإسلام؟ هل في هؤلاء أم في الكتب؟

ويريد أن يكون ما في الكتب مطابقاً لأفعال الناس المنتسبين لهذا الدين!!

فيكونون هم هذه الصورة كما تحكي الكتب عن أوصاف هذا الدين وأهل هذا الإيمان.

هذا الأمر الذي يجب أن نضعه منا على بال، ونحاول أن نصلح أخلاقنا على نسق أخلاق نبينا حتى نكون أقرب الناس شبهاً به في كل أحواله وفى كل تصرفاته.

فإذا كنا كذلك ونسأله سبحانه أن نكون كذلك بلَّغنا الله كل مراد، وحقَّق لنا كل غاية، وجعلنا من خاصة أهل العناية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث موانع العطاء الإلهي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الثالث عشر: بين أهل اليمين والمقربين

نية الفضل الإلهي ❁ بين العابدين والمقربين ❁ مقام العبودية ❁ جهاد المقربين ❁ موانع العطاء ❁مداواة الكبر

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الرابع عشر: حجاب العقل

❁ بصيرة أبوحنيفة ﵁ ❁ أنوار التسليم ❁

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الخامس عشر: حُجُب البعد عن الله

❁ حجاب العلماء ❁ حجب العباد ❁ حجب الزهاد ❁ أنواع الحظوظ ❁

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الباب الثالث:

موانع العطاء الإلهي

الوصل الثالث عشر: بين أهل اليمين والمقربين[84]

قسَّم الله ﷻ في كتابه المبين عباده المؤمنين إلى طائفتين، أهل اليمين، والمقربين:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ (الواقعة)

أما أصحاب اليمين فغايتهم الجنة، وخوفهم من النار، وفزعهم من الهول العظيم يوم لقاء الواحد القهار يوم القرار، وهؤلاء يحتاجون إلى العلماء ليبينوا لهم السبيل، ويُرشدونهم إلى الدليل، ويمشون بهم خلف الحبيب ﷺ وآله ليكونوا يوم القيامة من الناجين، أو الفائزين، أو الداخلين في رحمة الله ﷻ يوم القيامة، وفيهم يقول الله: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (١٦السجدة) خوفاً من النار، وطمعاً في الجنة.

---

٨٤ المعادي–الخميس ١٦من ذي الحجة ١٤٣٣هـ ١/١١/٢٠١٢م

والمقربون يسعون لرضاء الله، ورغبتهم في المثول بين يدى الله، وأن يكونوا من المتمتعين يوم القيامة بالنظر إلى وجه الله، إذا عملوا أعمال أهل الجنة فليس بغيتهم الجنة لسكناها، وإنما بغيتهم الجنة لأنها الدار التي تتحقق فيها لهم الآمال، ولا أمل لهم إلا في الوصال، وفي مشاهدة الكبير المتعال ﷻ، وفيهم يقول الله: ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف).

على نهج أهل اليمين صار قوم من سُبَّاق الصالحين، واجتهدوا في العبادة وزادوا في الطاعات، ونفروا من مستلذات الدنيا وطيباتها، وأظهروا زهداً في كل الطيبات، نهارهم صيام، وليلهم قيام، ولسانهم لا يكل ولا يمل من ذكر الله، أو تلاوة كتاب الله، يبغون من وراء ذلك جنات عالية، ودرجات راقية في الجنة يوم لقاء الله ﷻ، وهؤلاء نُسميهم إذا غلب عليهم الزهد: الزُهَّاد، وإذا غلبت عليهم العبادة: العُبَّاد.

وغاية الزُهَّاد من الزهد في طيبات الدنيا أن يتمتعوا بطيبات الدار الآخرة، من نعيم مقيم، ومن حور، ومن قصور، ومن ولدان مخلدون، ومن طيبات الأكل والشرب في جنة النعيم التي وصفها الله ﷻ في قرآنه الكريم، وبيَّن أوصافها سيدنا رسول الله ﷺ الرءوف الرحيم.

وغاية العُبَّاد من زيادة أعمالهم الطيبة، واستكثارهم من الصالحات أن يكون لهم درجات عالية في الجنات، وأن يكون لهم عند الله عظيم الأجر وكثير الحسنات.

والله ﷻ لا يُخَيِّب رجاء هؤلاء ولا أولئك، لأن الله ﷻ لا يُخيِّب رجاء من ارتجاه، فيعطيهم الحسنة بعشر أمثالها، ويضاعف لهم إلى سبعمائة ضعف، بل يزيد بعد ذلك لمن يشاء.

أما المقربون فغايتهم وبغيتهم وجه الله، وبشرياتهم التي تدل على جمال نياتهم وحسن قصدهم في توجههم إلى ربهم عطايا إلهية، وخصوصيات نبوية يخصهم بها الله جل في علاه، هذه الخصوصيات وهذه العطاءات وهذه الهبات ليست نظير أعمال عملوها فحصَّلوا أجرها، وإنما هي فضل من الله وعطاء من الله ومزيد من الخير من الله جل في علاه، انتقلوا من دائرة الأجر والثواب إلى دائرة الفضل والهبات من الكريم الوهاب.

كل عامل على حسب دائرته التي يعمل فيها، والمُقيد فيها عند الله جل في علاه، المُقيد في دائرة الأجور تُطبق عليه لائحة الأجور الإلهية، ويُعطيه الله ﷻ كل المزايا التي وعد بها من يعمل لرب البرية ﷻ، ومن سجَّل نفسه – والتسجيل بالنية أى نيتك عند العمل – للأجر والثواب تُحول إلى دائرة الإختصاص وهي دائرة الأجر والثواب، وتُطبق عليك اللائحة وزيادة فضل من الكريم الوهاب ﷻ، مع أنك ينبغي أن تعلم علم اليقين أن الأجر وحده بدون فضل الله لا يُدخلك جنة النعيم:

{ مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ } وفي رواية: { إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ } ٨٥

نية الفضل الإلـهي

فأنت تُحدد لنفسك دائرة الإختصاص في نيتك في كل عمل تتوجه به لله:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ } ٨٦

إذا كانت نيتك الأجر والثواب فإن العمل يُحول إلى دائرة الأجر والثواب، وإذا كانت نيتك في العمل رضاء الله، والطمع في وجه الله جل في علاه، فإن العمل يدخل في دائرة: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٤الجمعة)

﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (١٠٥البقرة)

اختصاص من الله وفضل من الله، وصاحب هذه النية لا يرى لنفسه عملاً ولا حالاً ولا قالاً ولا مالاً ولا جاهاً ، وإنما يرى ذاك كله من الله جل في علاه.

٨٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة

٨٦ صحيح البخاري وسنن أبي داود وابن ماجة عن عمر بن الخطاب

مَن الذي أعانك على العمل حتى عملت؟ ومَن الذي وفقك علي القيام بهذا العمل حتى سُددت وأُيدت؟ يرى أنه يعمل بتوفيق الله وبمعونة الله وبحول الله وبطَوْل الله جل في علاه، ولو حاسبه الله ﷻ بميزان عدله ما صلح العمل، ولكن الله إذا شاء وعامله بفضله فإن هذا العمل يقبله الله مع ما فيه من خطل وزلل: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (١٦الأحقاف).

ولذلك يقول إمامنا ومرشدنا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

كم عامل في ظلمـــة لا يشهـدن   إلا وســاوس نفســه بخيـــال

الذي يرى أنه يعمل، ويريد أن يحاسب الله على ما عمل من صلاة وصيام وقيام وغير ذلك، هذا وقع في خطأ توحيدي رباني يقول فيه الله ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ (١٠٦يوسف)

نظر إلى ما منه إلى الله، ولم ينظر إلى عناية الله التي أحاطت به من كل وِجَهِهِ حتى أقبل على حضرة الله، فينبغي على العبد أن ينظر إلى نِعم الله التي غمرته، وتوفيق الله في الأعمال التي وفَّقه للقيام بها قبل أن ينسب إلى نفسه عملاً، أو يرى لنفسه كسباً، أو يلحظ لنفسه أى همة لأن الله ﷻ يقول: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦الصافات).

ولذلك يقول بعض الصالحين: (لو حاسبنا الله ﷻ بعدله على أرجى عمل عملناه لهلكنا جميعاً، ولو حاسبنا بفضله مع عيوبنا وذنوبنا لنجونا جميعاً) ولذا كان دوماً يقول الصالحون: (اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك) مَن الذي يستطيع أن يُعامَل بالعدل؟ لا أحد، لا أحد في الدنيا يستطيع أن يعبد الله القدر الذي عبده إبليس، فقد عبد الله اثنان وسبعون ألف سنة لا ينام فيها ولا يأكل ولا يشرب ولا ينشغل عن الله طرفة عين، وأخطأ خطئاً واحداً فكانت النتيجة قول الله له:

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٨الأعراف)

خطأ واحد ضيَّع عمل ثنتان وسبعين ألف سنة!! والعمل - كما قلت - لا يتم إلا بمعونة الله وتوفيق الله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة) أعنا على هذا العمل، والذي يشهد عون مولاه لا يشهد لنفسه حولاً ولا طولاً إلا بالله جل في علاه.

قوم يطلبون جنة الله، وقوم يطلبون وجه الله، قوم يرجون ما عند الله، وقوم يرجون ذات الله جل في علاه، ولكل قوم مشربهم، ولكل قوم منهجهم، اسمع إلى الله ﷻ يقول: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٤٨المائدة) لكل قوم منهجهم.

بين العابدين والمقربين

منهاج العابدين واضح لا لبس فيه، وهو ما كان عليه ظاهر أمير الأنبياء والمرسلين: ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٢المزّمِّل) { كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ، حَتَّى نَقُولَ: لا يُفْطِرُ }٨٧ وكان يصوم صيام الوصال، وكان لا يقوم إلا على ذكر لله ولا يجلس إلا على ذكر لله، وكان ﷺ تنام عينه وقلبه لا ينام شغلاً بذكر الله ﷻ.

٨٧ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عائشة رضي الله عنها.

ومطلب المقربين وجه الله، ولسان حالهم يقول كما قال الإمام الجنيد عند سكرات موته عندما قالوا له: اذكر الله، قال: وهل نسيته حتى أذكره؟! ثم قال:

إن بيتـــــاً أنت ساكنـــــه غير محتـــاج إلى السُـــــرج

وجهـــك المأمـــول حجتنـــا يوم يأتي النـــاس بالحجـــج

من يأتي بصلاة، ومن يأتي بصيام، ومن يأتي بتلاوة وغير ذلك، لكني لا أريد إلا وجهك، وكما قال الحلاج ﷺ:

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي أشهى عليَّ من الدنيا وما فيها

والصالحون في لحظة الموت يرون مقعدهم من الجنة وما أعد الله ﷻ لهم فيها من كمال النعيم، فرأى ابن الفارض ﷺ درجته في الجنة وما أعد الله له من النعيم في الجنة، فخاطب ربه فقال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أنفاسي

هل تعبد الله ليدخلك الجنة؟ هل الجنة أعلى أم الله؟!! لو عبدت الله ليدخلني الجنة فإن الجنة تكون أعلى من الله – حاشا لله ﷻ - ولكني أريد الجنة حتى تكمل عليَّ فيها المنة وأتمتع بخير نعيم في الجنة وهو النظر إلى وجه الله، لا أريد الجنة للحور والقصور ولا للأنهار ولا لغيرها، ولكن لوجه الله ﷻ، هذا الصنف من الرجال يقول فيهم الإمام أبو العزائم ﷺ:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حسنها بالزهـد همتهم
لا كفـء لله يحجبهم فيمنعهـم أحـد تعالى تطلـبه سريرتهـم

هؤلاء القوم مثل أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يقولون لبعضهم: كل لله واشرب لله واعط لله وامنع لله واعمل كل الأعمال لله لا تبغي من وراءها إلا وجه الله جل في علاه، والصدق يظهر في المحافظة على هذه النية حتى في الأعمال التي ظاهرها شهوانية أو دنيوية، فإنه يحولها بالنية إلى أعمال لوجه رب البرية ﷻ.

مقام العبودية

والطامعون في فضل الله تطمح نفوسهم في وراثة حبيب الله ومصطفاه، وحبيب الله ومصطفاه ﷺ أعطاه الله ﷻ ما لم يعط الأولين ولا الآخرين ولا الملائكة المقربين، لماذا؟ لأنه اكتملت عبوديته ظاهراً وباطناً لرب العالمين، ليس لكثرة عبادات، ولا لكثرة اجتهاده في الطاعات والأعمال، وإنما لتجمله بالعبودية للواحد المتعال: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (١الإسراء) ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (١الفرقان) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ (١الكهف)﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (١٠النجم)

فمن أراد وراثة حضرته لا بد أن يكون له نصيب من التشبه به في عبوديته لله:

فكن عبداً لنـا والعبـد يرضـى بما تقضـي الموالـي من مـراد

والعبودية أوصاف قلبية يتجمل بها العبد في حال توجهه إلى رب البرية:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ }٨٨

فنظر الله ﷻ إلى القلوب، وعطاءات الله الخاصة يهبها الله لأهل القلوب، لأن القلوب هي التي تحمل عطاءات علام الغيوب، لأنها عطاءات معنوية.

مَن الذي يحمل العلوم الإلهية اللدنية؟ العقل أم القلب؟ العقل يحمل العلوم التي في عالم النقل، لكن العلوم الوهبية وأستاذها رب البرية: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)

أين تنزل؟ في قلوب أهل الإخلاص لله، قال الحبيب ﷺ:

{ مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ } ٨٩

أين يُنزل الله ﷻ الحكمة؟ للنفوس أم للعقول أم للقلوب السليمة؟ للقلوب السليمة التي سلمت من الحظ ومن الهوى ومن الشح ومن الأثرة ومن الأنانية وغيرها: .. ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات).

---

٨٨ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٨٩ مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس ﷺ، ومصنف بن أبي شيبة

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } ٩٠

هل ينظر بعين الرأس أم بعين القلب؟! ... وهل عين الرأس ترى نور الله؟ ترى نور الشمس، ترى نور القمر، ترى نور الكهرباء، لكن نور الله لا يراه إلا قلب أحياه الله، كان داخلاً في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام) فعطاءات الله ﷻ وهباته لسيد الأولين والآخرين لقلبه الذي قال فيه سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ فيما ورد من الأثر:

{ نظر الله ﷻ إلى قلوب العباد فلم ير قلباً أنقى ولا أتقى ولا أرقى من قلب محمد ﷺ فأسرى به إليه وعرج به إليه }.

---

٩٠ سنن الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

جهاد المقربين

مَن يريد أن يكون له نصيب من هذا الميراث، ويكون من أهل هذا الإختصاص لا بد أن يجاهد، في أى الميادين يجاهد؟ يجاهد في آفاق قلبه، لأن الجهاد الذي يؤهله لهذه الأنوار وهذه الإشراقات هو جهاد القلب.

فينزع أولاً من هذا القلب كل موانع الحرمان التي ذكرها الرحمن ﷻ، وبينها النبي العدنان ﷺ التي تمنع تنزل عطاءات الرحمن في قلب الإنسان، والجهاد هنا شديد، ولذلك قال فيه الرحمن: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر) النزع يكون بشدة وعزيمة، والغل شجرة يتبعها الغيظ ويتبعها الكره، ويتبعها الحقد، ويتبعها الحسد، ويتبعها الأثرة، ويتبعها الأنانية ... لا بد أن أنزع كل هذه الأوصاف من القلب، مَن الذي ينزعها؟ أنا، وهذا دوري في الجهاد حتى أتأهل.

كثير منا يتحدث هنا وهناك ويقول لإخوانه: لي في طريق الله كذا من السنين ولِمَ لم يفتح الله علىَّ؟ ولِمَ لا أرى ما أسمعه عن الصالحين وأحوال المتقين؟ هل جهزت قلبك؟ هل هذبت نفسك؟ لا تطالب بعطاء إلا إذا جهزت الموضع الذي يتنزل فيه هذا العطاء، وإذا جهزت الموضع

فإن هؤلاء يرون أنفسهم في هذا الوقت ليسوا أهلاً للعطاء، وإذا تفضل المعطي شكروه وعلموا أن ذلك منَّة من عنده وفضلاً من لدنه لا بعمل عملوه ولا بشيء قدموه، وإنما محض اختيار من الله ﷻ لهؤلاء الأخيار، فهذا دورك، جاهد تشاهد، في أى شيء أجاهد؟

هنا حدث الخطأ، .... فكثير من السالكين ظن أن الجهاد في إمساك المسبحة ويعد !!! .... ، هل تعد على من لا يعد عليك نِعمه؟!! .... تعد ما تقوله باللسان والذي أنطقه وحرَّكه هو الرحمن ﷻ!! .... هل الذي فعلته من عندك بدون معونته لتقول له ﷻ إني قدمت لك؟!!.

ليس معنى ذلك أن نترك هذه الأبواب، لكن نعلم علم اليقين أنها ليست هي الموصلة لعطاء حضرة الوهاب ﷻ، لكن نقوم بها لأننا نتأسى بالحبيب ظاهراً وباطناً، فنتأسى به ظاهراً بشرعه، وباطناً في تحقيقه وعبوديته لله ﷻ.

إذن لا بد أن أبدأ أولاً بتجهيز الموضع الذي يتجلى فيه الله جل في علاه، فالذي يريد أن يأتيه ضيف من العظماء ماذا يفعل قبل دعوته؟ يهيء مكاناً في بيته أولاً لزيارته، وأنت تريد عظيم العظماء ﷻ، وتريد فضله، وتريد إكرامه، وتريد إنعامه، ومحل ذلك كله قلبك، السالك دائماً وأبداً يتحسس موضع قلبه، ليس بيده ولكن بفكره وحاله، هل قلبك في الدنيا والأهواء والشهوات وفي الحظوظ، أم مع الله، لا بد أن أتحسس قلبي إذا أردت أن أحظى بعطاء ربي ﷻ.

موانع العطاء

وآخذ مانعاً واحداً للعطاءات وهو مرض الكِبر، قال ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } ٩١

مرض الكبر يمنع العطاءات ويمنع الهبات ويمنع التنزلات، ربما لا تشعر بهذا المرض، لكن الطبيب يعلم، وإذا سلمت له تسلم، لكنك تعتقد أنك على خير، وهذا مرض إبليسي لعين، والله ﷻ في أكثر من موضع من كتابه الكريم يُحذر من الكبر والمتكبرين: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٢٣النحل) وما دام لا يحبهم هل يخصهم بعطاء؟!! ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة   من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

الكبر والحقد على أحد من المسلمين من الموانع، وهي التي يجاهدها المقربين، ويجتهد الرجل منهم في زوال المانع الواحد من هذه الموانع سنين، سيدي أبو العباس المرسي ﷺ ضرب مثلاً لأحبابه، وكان معهم يوماً ونزل المطر، وكانوا قريبين من جبل، فقال: يا قوم أين يستقر الماء، هل على الجبل أم في الأودية؟ قالوا: في الأودية، قال: كذاك عطاء الله ﷻ لا يستقر إلا في القلوب التي تواضعت لحضرة علام الغيوب ﷻ.

٩١ صحيح مسلم وسنن الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن مسعود ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: { كَانَ فِي عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ يُعْجِبُنَا تَعَبُّدُهُ وَاجْتِهَادُهُ، قَدْ عَرَّفْنَاهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاسْمِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ، وَوَصَفْنَاهُ بِصِفَتِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَذْكُرُهُ إِذْ طَلَعَ الرَّجُلُ، قُلْنَا: هُوَ هَذَا، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُخْبِرُونَ عَنْ رَجُلٍ، إِنَّ عَلَى وَجْهِهِ سُفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُسَلِّمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، هَلْ قُلْتَ حِينَ وَقَفْتَ عَلَى الْمَجْلِسِ: مَا فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ أَفْضَلُ، أَوْ خَيْرٌ مِنِّي؟، قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.} ٩٢

إذا ظن الإنسان أنه خير من أى إنسان في أى زمان ومكان فهو عنده بقية من الكبر، وهذا لا يطمع في فضل حضرة الرحمن ﷻ، وهذا الكلام لمن يريدون وراثة الحبيب، ويريدون أن يكونوا على نهجه في التواضع لله، وفي الإقبال على حضرة الله جل في علاه، نزل ملك يخير رسول الله ﷺ فقال:

{ إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا أَوْ نَبِيًّا مَلَكًا، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ تَوَاضَعَ، قَالَ: نَبِيًّا عَبْدًا }٩٣

اختار العبودية لأنها سر هذه المزية، يقول سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه وأرضاه: (من رأى نفسه يوماً خيراً من أحد من خلق الله فلا ينتظر عطاء الله جل في علاه، قالوا: كيف نتأهل للعطاء، قال: لا يرى المرء لنفسه حولاً ولا طولاً ولا علماً ولا مالاً ويرى كل ذلك بالله ولله ﷻ) وهذا حال المقربين الذي ورثه حضرة النبي ﷺ في هذا العطاء الإلهي السخي:

---

٩٢ مسند أبو يعلي الموصلي والمطالب العالية
٩٣ مسند أبو يعلي المصلي عن عائشة رضي الله عنها وسنن البيهقي، مسند عبد الرزاق.

تريـــد أن تـــرى حُسني وترقـــى		بلا حرب شديـــد لا يكـــون

والحرب الشديد ليس في العبادات، لأن العبادات أمر سهل، والذي يقوم بالعبادات يرى أنه عمل شيئاً وله مطالب ويريد أجره في الدنيا قبل الآخرة، وإذا لم يتحقق طلبٌ من طلباته يحاسب الله ﷻ مع أنه لم يعمل عملاً إلا بمعونة الله وحول الله وتوفيق الله جل في علاه، ولذلك قال بعض الصالحين: (من ترك العمل فقد أخطأ ومن عمل ورأى العمل فقد أشرك، قالوا: وما المـُخَلِّص من ذلك؟ قال: أن يعمل ولا يرى لنفسه عمل بل ينظر إلى توفيق الله له في العمل)

اللهم لولا الله ما اهتدينـــا		ولا تصدقنـــــا ولا صلينـــــــا

فأنزلــــن سكينـــــة علينـــــــا		وثبت الأقــــدام إن لاقينـــــا

هل نستطيع أن نحافظ على هذا الحال عند دخولنا في أى عمل للواحد المتعال؟ هذه أحوال الرجال، ومن ثَمَّ لا يُفاخر بعمل، ولا يباهي غيره بعمل، ولا يرى في نفسه أنه خيراً من غيره بعمل، لأن كل الأعمال عند الله ﷻ في الحقيقة علل، والله ﷻ منزهٌ عن العلل، وإنما يُعطي عطاءاً ذاتياً يليق بحضرته جل وعلا.

فإذا كان الإنسان عنده قليل أوكثير من العلم ورأى نفسه خيراً من غيره فقد وقع في مرض الكبر، وإذا كان الإنسان ذا مال ورأى نفسه خيراً من غيره بماله فقد مرض بداء الكبر، لأن المال يستطيع الله أن يزيله في لحظة في أى وقت أو حال،

ومن رأى نفسه خيراً من غيره في جماله وعنفوانه وقوته فهو مريض بداء الكبر، لأن الذي صوره وأحسن صورته هو الله رب العالمين، ومن رأى نفسه خيراً من غيره بعبادته فهذا على منهج إبليس اللعين: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ (١٢الأعراف) ومن رأى نفسه خير من غيره بحسبه أو نسبه فهو مريض بداء الكبر لأن الله قال: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (١٣الحجرات) لم يقل عائلة فلان ولا حسب فلان وإنما القريب من الله التقي، قال ﷺ:

{ التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ } ٩٤

ولذلك قالوا: (بحسب المرء من الشر أن يرى نفسه خيراً من غيره).ولكن يرى نفسه عبداً لله، إن أكرمه مولاه ووالاه بعنايته وتولاه فهو خير من غيره، وإن تولت عنه عناية الله لم ينفعه نسب ولا حسب ولا مال ولا عمل في هذه الحياة، لأن ذلك كله لا ينفع إذا فقد عناية الله وتوفيق الله وولاية الله جل في علاه.

٩٤ صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن البيهقي عن أبي هريرة ﷺ

دعوا الكبر والحسد القبيحين سادتي دعوا طمعاً فيما يزول وسابقوا

معظم مشاكل البرية الآن من رؤية الإنسان لنفسه وتفضيله لنفسه على بني جنسه، اسمع إلى الحبيب وهو يقول:

{ لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى }٩٥

الذي يئس من قومه وألقى نفسه في اليم، فقيَّض الله له الحوت، ونزل إلى الظلمات، مع هذا يقول الحبيب: { لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى } آداب يعلِّمها لنا خير البرية ﷺ وهي ألا يرى الإنسان نفسه إلا ومع توفيق الله ورعاية الله وعناية الله جل في علاه.

مداواة الكبر

الكِبر مرض من ضمن الأمراض، ومثله الحقد، ومثله الحسد، ومثله الإعجاب بالنفس ..... هذه الأمراض هي التي تمنع العطاءات الإلهية، وهي تحتاج إلى مجاهدة، ولا يستطيع أن يجاهد هذه الأمراض إلا يد الطبيب الذي أقامه الحبيب ﷺ، وهذا سر إلتجاء السابقين إلى الصالحين للقضاء على مثل هذه الأمراض.

الإمام الغزالي رضي الله عنه كان يحضر حلقة علمه في بغداد ما لا يقل عن عشرة آلاف نفس، منهم كذا وكذا من الأمراء، وكذا وكذا من الأغنياء، وكذا وكذا من العلماء، ولما أراد أن يرث ميراث الحبيب الباطني، الإلهام والكشف والفراسة والحكمة والتوفيق وغيرها

---

٩٥ الصحيحين البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمدعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه

من العطاءات القلبية الربانية، لجأ إلى شيخه، وأول ما عالج شيخه معه – وهذا علاج كل الصالحين – داء الكبر، دله على عمل رأى أنه هو الذي سيطهره من مرض الكبر، ولأن الله كتب له العناية وفقه الله لهذا العمل واستجاب وأناب، حتى وصل إلى أنه قال في كتابه (بداية الهداية) وهو يتحدث عن الصوفية: (علمت يقيناً أن هؤلاء القوم هم الذين قعدوا على الحقائق الإلهية، فإنهم يصلون إلى حال يرون فيه الملائكة عياناً ويكلمونهم ويشاهدون أنوار الملكوت ويفد إلى قلوبهم حقائق غيبية وعلوم وهبية، وعلمت يقيناً أن هذا الأمر لا يُتوصل إليه بالكتب وقراءتها ...) إلى أن قال:

فكان ما كان مما لست أذكره فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وانظر إلى من لم يوفقه الله، ذهب بعض العلماء إلى سيدي أبو يزيد البسطامي ﷺ وقال أحدهم: إننا نسمع منك علوماً لم نُحصلها، وليس لها سند عندنا، فقال: كيف حصَّلتم العلوم؟ ومن أين حصَّلتم؟ قالوا: عن فلان عن فلان، قال: حصَّلتم علمكم ميتاً عن ميت، وأنا حصَّلت علمي من الحى الذي لا يموت، قال: وكيف السبيل إلى ذلك؟ قال: لا تستطيع، قال: بالله عليك دلني، قال: تريد ذلك؟ قال: نعم، قال: املأ جيوبك جوزاً ولوزاً وقف على قارعة الطريق وناد على الصبيان وقل لهم: من ضربني على وجهي أعطيته جوزتين، قال: لا أستطيع أن أفعل ذلك، قال: إنني قلت لك أنك غير مؤهل لذلك، لأنه متكبر، والكبر يمنع الإنسان من عطاء حضرة الله ﷻ.

والكبر مستكين في النفوس لا يعلمه إلا خبير عيَّنه الملك القدوس، لكن مداواته تحتاج إلى طرح النفوس بالكلية، رغبة فيما عند الله ﷻ، وعطاءاته الوهبية.

أيضاً سيدي أحمد البدوي ﷺ ذهب إليه سيدي عبد الوهاب الجوهري وطلب منه طريق القوم، وكان صاحب محل لبيع الذهب والمجوهرات، قال: تريد أن تمشي معي؟ قال: نعم، قال: عملك أن تدير هذه الساقية لتخرج الماء، ولا تأكل إلا عندنا في المساء، ففعل ذلك، وفي ذات يوم حدَّثته نفسه: أنت الرجل المرفه الثري الغني تعمل في هذا العمل الوضيع، وإذا بالشيخ يقف أمامه ويقول: يا عبد الوهاب اتركنا فإنك لا تصلح لصحبتنا، فتاب وأناب وقال: تبت يا سيدي وأنبت إلى الله ﷻ، وظل حتى صار من كُمَّل العارفين لأنه طرح عن نفسه داء الكبر اللعين الذي يمنع المرء من فضل رب العالمين ﷻ.

هذه ميادين جهاد المقربين، يجاهد هذه الأمراض إلى أن يصبح كما قال الله:﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) إذا سلم القلب يقول أبو العزائم ﷺ:

نَفَسٌ بقلب سليم رفعة ورضا   وألف عام بلا قلب كلحظات

الجسم بالقلب يترقى إلى رتب   والجسم من غير قلب في الضلالات

كيف أصل إلى هذا القلب السليم؟ بالطبيب الرباني الذي أنابه عن حضرته السيد الرءوف الرحيم ﷺ، لو مكثت بمفردي ألف عام سأظل مع العوام:

ألف عام بغيــر بــاب التهامــي هي نفَسٌ بـشرى لأهل السماح

أما من سمحوا له، وفتحوا له الرحاب، ودلوه على هذا المنهاج، وجاءه فضل الكريم الوهاب فجاهد نفسه فجاز، فهذا هو الذي يرث الحبيب لأنه تخلق بأخلاق العبودية، وأخلاق العبودية هي أضداد الصفات الإلهية، سيدي أبو اليزيد قال: يارب بم يتقرب إليك المقربون؟ قال: بما ليس فيَّ، قال: وما الذي ليس فيك؟ قال: الذل والعجز والجهل والإنكسار والإضطرار والحاجة.

أدخل على حضرة الله عاجزاً فيجبرني الله، أدخل على حضرة الله جاهلاً فيُعلمني الله، أدخل على حضرة الله ذليلاً فيُعزني الله، أدخل على حضرة الله منكسراً فيجبر كسري الله جل في علاه، ولذا قال الله تعالى لموسى عندما قال: يارب أين أجدك؟ قال: { عند المنكسرة قلوبهم } وهؤلاء هم ورثة الحبيب الذين ورثوا العبودية لله ﷻ، ورثوا أوصاف الحبيب ﷺ الباطنية، وتجملوا بالأحوال الظاهرية فأفاض الله عليهم عطاءاته الباطنية.

الوصل الرابع عشر: حجاب العقل[96]

سيدي أحمد بن زروق ﷺ يقول: طرقت في سبيل الوصول إلى الحق ﷻ كل السبل، وخضت كل الطرق، فما وصلت إلى شيء، فنظرت فوجدت نفسي ونظرى إلى نفسي هو الذي يحجبني.

ورؤية النفس معناها أن الإنسان يرى نفسه، فلو كلمه إنسان بكلمة خارجة يغضب وقد يعتدي عليه، أو يغضب من شخص كان يظن أن يفعل له شيء لمكانة له ولم يفعل، وهكذا.

يقول: فجاهدت نفسي، ثم نظرت فإذا رؤيتي لنفسي تحجبني عن كل شيء، فتخلصت وجاهدت حتى تحققت بلا حول ولا قوة إلا بالله، وعلمت أن الله لا يفتح على العبد إلا إذا برئ من كل شيء، وتخلص من كل شيء، ولم يعتمد على شيء، ووقف على باب الله مجرداً من كل شيء.

لا بد من التجريد حتى تنال التحلية من الحميد المجيد ﷻ، أنت الآن مكتمل الزي وزرتني، هل سأعطيك شيء تلبسه؟! لا، لأنك مكتمل الزي، لكن لو كنت عرياناً لا بد أن أغطيك، ولو كان جيبك فارغاً لا بد أن أعطيك، لكن إذا كان جيبك مليء فلِمَ أعطيك؟! وهذا هو المحك الذي جعله الله وانتبه له الصالحين من عباد الله حتى يصلوا إلى فتح الله جل في علاه.

---

96 المعادي – الخميس 8 من ربيع الآخر 1433هـ 2012/3/1م

قد يكون الإنسان مع الرجل الصالح والعارف ولا يزيد مع الأيام إلا بعداً، لماذا؟ لأنه وقع في أكبر حجاب يحجب عن فضل الكريم الوهاب، وهو حجاب العقل، فالعقل أكبر حجاب يحجب عن الله، كيف؟ هل العقل تحكم به على شرع الله؟! لو حكمت العقل على شرع الله فقد فسدت وأفسدت.

فكثير من أتباع الصالحين يُحَكم عقله في كل التوجيهات والتلويحات التي تلوح من العارفين، فإذا وافقت العقل ينفذها ويجيزها، وإذا لم توافق العقل لا ينفذها ولا يجيزها، ومثل هذا لا يسلك في طريق الصالحين ولو بقي على هذا المنوال آلاف السنين.

بصيرة أبو حنيفة رضي الله عنه

والذي تعودناه من الصالحين أن آراء الصالحين تكون بنور النبوة حتى ولو كان كلاماً غير مفهوم، الشيخ أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه وأرضاه كان له تلميذ يتيم اسمه أبو يوسف ذهبت به أمه لتعلمه النجارة، فكان يترك النجارة ويذهب عند الإمام أبي حنيفة في المسجد ليتعلم العلم، وكلما اشتكى النجار لأمه من عدم مجيئه تذهب إلى أبي حنيفة وتكلمه بشدة وبعنف وتأخذ ابنها وتذهب به إلى النجار، وتقول له إنه فقير وليس لنا عائل فلماذا تمنعه من تعلم المهنة أو الصنعة؟!.

وفي يوم أكثرت عليه من الكلام حتى قال أبو حنيفة ﷺ: أبو يوسف سيأكل على مائدة الخلفاء الفالوذج – المهلبية – بدهن السمسم، ثم قال: اتركيه ولا شأن لك بالنفقة، وتكفل بالإنفاق عليه، وجاء أوان رحيل أبو حنيفة إلى ربه، فقال أبو يوسف: يا سيدي أوصني، فقال: يا أبا يوسف إن للوطواط مَنِي كمَنِي الرجال! لو حكَّمنا ذلك بالعقل هل نعتبر هذه وصية؟!! ومِن إمام في الشريعة!!.

وبعد موت أبو حنيفة تولى الحكم هارون الرشيد، وبعد توليته الحكم بفترة دخل غرفة نومه - وكان متزوجاً من ابنة عمه السيدة زبيدة، وكانت من الصالحات، وكان يحبها - فوجد على سريره مَنِياً، فقامت قيامة الخليفة، وأخذ يسأل العلماء ليجد مخرجاً – لأنه يعلم أن ابنة عمه نقية وتقية، وأخذت هي تسأل، ونزل عليها الهم والغم، ولم يجد العلماء مخرجاً لذلك.

وسمع أبو يوسف بذلك - وكان رجلاً مغموراً - فقال: أنا عندي حل، قالوا: وما هو؟ قال: أدخلوني المكان، فدخل – وكان في هذا العصر وإلى عصر قريب فتحات في البيوت أو الحجرات في أعلى السقف تُسمى ناروزة - فنظر في الناروزة فوجد عشاً، فقال: أريد سُلماً ومصباحاً، فصعد فجاء بوطواط مع وطواطة وقال لهم: إن للوطواط مَنِي كمَني الرجال، فانهالت عليه عطاءات الخليفة وزوجة الخليفة، وأصبح كبير العلماء في ديوان الخليفة.

وذات يوم أقام السلطان مأدبة طعام، ودعا لها أكابر دولته، ومن جملتهم أبو يوسف، وكان منصبه في هذا الوقت قاضي القضاة – أول من تولى منصب قاضي القضاة أبو يوسف – وبعد انتهاءه وانتهائهم من الطعام قدَّموا شيئاً حلواً، فقال هارون لأبي يوسف: يا أبا يوسف كُل من هذا الطعام كثيراً فإنا لا نصنعه إلا قليلاً، قال: ما هذا الطعام؟ قال: الفالوذج بدهن السمسم، فبكى أبو يوسف وتذكر بصيرة أبي حنيفة رضي الله تبارك وتعالى عنه، فإنه لم يقل ذلك القول جزافاً وإنما على منهج:﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ (١٠٨يوسف) فأقوال العارفين يقول فيها إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

خذ ما صفا لك من إشارة عارف فالعارفون كلامهم يشفي السقام
والعلم بالله العلي غوامض لا تُفقهن إلا لصبٍ في اصطلام
عني خـذوا مـا أستطيع أبثـه وتجملـوا بالحـال لا بكـلام

فإذا وضع المريد عقله ليزن به كلام شيخه توقف عن المسير، ولم يمش قليلاً ولا كثيراً في طريق الله عز وجل، ومعظم السالكين الواقفين فيما نراه الآن في هذا الزمان بسبب ذاك الأمر، لأنه يزن كل شيء بعقله، والعقل كما قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه: (العقل لا يعقل أخي حالاتي) فالعقل يعقل الأشياء المحسوسة والملموسة، لكن هل يعقل الغيوب؟! هل يعقل الأنوار؟! هل يعقل الإلهام؟! مال العقل ومال هذه الشئون.

ولذلك لا يفوز في ميدان العارفين إلا من يُسلم تسليماً كلياً للسادة المربين، وليس له إلا شرط واحد وهو إذا رآه خرج عن الشريعة ضرب بقوله عرض الحائط، لكن ما دام متمسكاً بشرع الله فيجب ألا يُحكم في قوله عقله ولا هواه، لأن الهوى هو الحجاب الأشد بعد العقل، إذا وافق القول هواه أمضاه، وإذا خالف هواه وكان فيه مخالفة لهواه انصرف عنه وحَضَّر الحجج ليدافع عن تمسكه برأيه وفساد نفسه وهواه الذي أذله وأضله.

أنوار التسليم

ولو تدبرنا في صفحات الصالحين نجد في هذا الأمر الكثير والكثير مما ورد عن الصالحين، لكن الأساس الأول التسليم، ولا ينفع التعليم ما لم يفز المرء بالتسليم، والتسليم يحتاج إلى عقيدة صحيحة، والعقيدة الصحيحة هي الرابطة بين المرشد وبين المريد، لو حُرم المريد من العقيدة الصحيحة في شيخه انقطع الوصل بينه وبين شيخه، واقتضت الحكمة الإلهية أن العطايا الربانية تنزل على سيدنا رسول الله ﷺ، وهو ﷺ يوزعها على الصالحين، والصالحون يوزعونها على المريدين، حكمة الله ﷻ وسُنته، ولا تجد لسنة الله ﷻ تبديلا.

وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك في قصة العبد الصالح مع سيدنا موسى:

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِى فَلَا تَسۡـَٔلۡنِى عَن شَىۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴾

(٧٠الكهف) أى لا تزن بميزان العقل، وهو وزن بميزان العقل، فكانت النتيجة: ﴿ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِى وَبَيۡنِكَ ﴾ (٧٨الكهف) ...

لأنه بميزان العقل كيف يخرق السفينة؟! ستغرق، والعقل لا يوافق على ذلك، وكيف يقتل الغلام؟! وكيف يقيم الجدار لقوم لم يضيفوهما؟! فأعلمنا الله ﷻ في القصة الواضحة أن العقل للإشراف على الأكوان وليس للإشراف على غيوب حضرة الرحمن، مال العقل ومال الإشراف على الغيوب، فالإشراف على الغيوب يحتاج إلى النور الموهوب الذي وضعه الله ﷻ في القلوب.

وإذا كان العبد في حضرة رجل مجذوب – وهذا للأسف يحدث – فإنه يُسلِّم بالكلية لما يراه من كرامات على يد المجذوب، مع أن المجذوب ليس بشيخ ولا يجب عليه أن يتخذه مرشداً، والإمتحان الأشد إذا رزقه الله بصحبة عبد، فإن العبد لا يظهر عليه من خفاياه شيء، ظاهره ذل العبودية والمسكنة والتواضع وغيرها من أوصاف العبودية التي أمره الله ﷻ أن يتحلى بها اقتداءاً بخير البرية ﷺ، والعبودية هي الستار الكثيف الذي يمنع المرء عن دخول حضرة اللطيف إلا إذا نبهه الله ﷻ ولم ينظر إلى بشريته وإنما كاشفه الله بأسرار خصوصيته.

فإذا توقف بعقله عند الأمور حُجب ولو استمر معه سنوات طوال، لأن كل أمر نزنه بميزان العقل كما قال بعض الصالحين: (غريب علمنا عن كل عقل) فهذا العلم الوهبي الإلهي: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) كما شاهدنا في الكتاب، لا يستطيع العقل فقهه ولا وزنه، وإنما يزن الملموسات والمحسوسات الموجودة في الأكوان، حتى أبسط الأمور الإلهية التي يتفضل الله ﷻ بها على أهل البداية، هل العقل يستطيع أن يعقل الرؤيا المنامية؟! لا يعقلها العقل مع أنها البداية لأهل البداية.

إذن لا بد للإنسان إذا أراد أن يُكرمه الكريم أن يُسَلم تسليماً كلياً للعالم الرباني، فلا يزن الأمور بموازين عقله، وإنما يستفت قلبه، فإذا وجد لهذا الكلام راحة في قلبه، وطمأنينة في سره، ويهجة عند سماعه يعلم أن هذا الكلام من الحق، لأن هذه الأمور هي التي دعاك إليها الله ﷻ، لكن إياك ثم إياك ثم إياك أن تزن كلام وأحوال العارفين بميزان العقل.

زن الأمور السياسية والأمور المعاشية والأمور الدنيوية بميزان العقل، وإن كانت تحتاج إلى ميزان العقل مع اتساع دائرة الاطلاع والخبرة والفكر، لكن الأمور الإلهية والعطاءات الربانية لا بد من استقبالها بالقلوب التي خلت من العيوب، والتي تنبهت إلى جمال الحبيب المحبوب، فسلَّمت للمطلوب، هذا هو المراد في هذا الزمان وفي كل زمان لمن أراد أن يفوز بعطاء الرحمن ﷻ على يد النبي العدنان ﷺ.

البعض يزن كثير من الناس بقدر علمهم وعباراتهم وألفاظهم وكلماتهم، لكن هذا العلم يستطيع أن يُحصله، لكننا نقيس الناس المقبلين على الله ﷻ بمدى إقبالهم على الله، والعلامة الدالة على ذلك الزهد في مُتَع الدنيا، والورع في أمور المعاش التي كلَّفه بها الله ﷻ، وانحياشه بالكلية بقلبه إلى ربه، ورغبته في الإشتغال به بالكلية، ولا يشتغل بالدنيا وما شابهها إلا على قدر المسئولية التي كلَّفه بها رب البرية ﷻ، ولذلك قالوا: (لا تنظر للرجل في علمه ولا في فهمه ولا في كلامه ولكن انظر إلى الرجل في ورعه ومراقبته لربه ﷻ) هذا ما يدل على صدق اليقين ونور الطريق الذي يسير فيه ويمشي فيه إلى ملك الملوك ﷻ.

الوصل الخامس عشر: حُجُب البعد عن الله٩٧

جعل الله ﷻ من حكمته وفرط رحمته وغيب إرادته في كل عبد اصطفاه قلب يتلألأ بحقيقة الأنوار المنبعثة في باطنه من كنز الإيمان بالله، وجعل في كل قلب لأهل صفوته من عباده عيناً ربانية يكشف بها حقائقه النورانية التي جمَّل الله ﷻ بها ذاته الترابية، ويكشف الله ﷻ بها الأنوار العلية السارية في الكائنات العلوية والسفلية، ويُكاشف بها بالتجليات الوهبية والأنوار الذاتية القدسية والحقائق الغيبية التي تعجز الألسن وتضيق الصدور عن النطق بها أو كتابتها في كلام مسطور، وفيها يقول الإمام الغزالي رضي الله عنه:

فكان ما كان مما لست أذكره فَظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

هذه العين يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

في العبـــد عيـــن ترانـــي في حـــال قـــرب التدانـــي

هذه العين عين البصيرة، أو عين السريرة، أو عين الفؤاد، أو عين القلب، هي عين ربانية ركَّبها الله ﷻ لأهل الخصوصية، إذا فُتحت ترى ما لا يراه الناظرون، وما الذي يمنعها من الفتح؟ يمنعها من مشاهدة حضرات الله ﷻ قوله ﷺ: { إنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ سَبْعِينَ ألف حِجَاباً مِنْ نُورٍ لَوْ كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَنْ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ }٩٨

---

٩٧ المعادي – الخميس ٨ من ربيع الآخر ١٤٣٣هـ ١/٣/٢٠١٢م
٩٨ إحياء علوم الدين

سبعون ألف حجاب من النور، ويقابلها سبعون ألف حجاب من الظلمات: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (٢٥٧البقرة)

لو ظهرت حقيقة الإيمان في قلب أى إنسان يتابع الحبيب العدنان لظهر الغيب كله له عين عيان، إذن ما الذي يحجب الإنسان؟

قول الله ﷻ في القرآن أشار إلى ذلك: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ (المطففين) .

والآية إشارة إلى الحجب الظلمانية، والحجب البشرية، والحجب الترابية، والحجب الطبعية، وهذه كالذنوب والعيوب والمساوئ وظلمات الطبع وفساد الأخلاق، وهذه تكون للعوام من أهل الإسلام ..لكن الذي يقع في الذنوب، والذي لا يتطهر من العيوب، والذي لا يجاهد فساد طبعه، والذي لا يُكمل جمال أخلاقه ... فهو من العوام حتى ولو كان في نظر الخلق في أرفع مقام، إلا أنه في نظر الحق وأهل الحق من العوام، فلا يتبين الصواب من الخطأ، ولا الحسن من السيء، ولا القبيح من الحسن، بل ربما يُقبل على ما يضره ويظن أنه ينفعه، ويترك ما ينفعه ظناً أنه يضره، لأنه لم يتبين بالنور الذي وضعه في قلبه الله ﷻ:

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ (٢٩الأنفال) والفرقان هو النورالفارق لمقام

الميزان الذي يزن مايراه الإنسان بالعينان، أو ما يلمسه بحواس الأبدان.

هذه الحجب وأمثالها وأشباهها التي يطول شرحها تُسمى الحجب الظلمانية، وأكثر الخلق يعلمها، الذنوب بأنواعها من الكبائر والصغائر واللمم والهفوات .... كل هذه تدخل في الحجب التي تحجب المرء عن النظر بنور الله الذي استودعه في قلبه وجعله دليله في حياته، وجعله موصلاً له عند ربه ﷻ.

لكن الأكثف منها، والأشد حجاباً منها، والذي يقع فيه الأغلبية من أهل الملة فيها الحجب النورانية، وهي الحجب التي يظن العبد أنه يتقرب بها إلى الله، ولا يفطن أنه يزيد حجاباً في عملها، ويزيد حجابه في فعلها، ويزيد حجابه في القيام بها، كيف ذلك؟ نأخذ مثالاً على ذلك وهو الحجب التي يقع فيها العلماء، والحجب التي يقع فيها الزُهاد والعُباد، فإنه كما قال بعض الصالحين المحققين: أشد الناس حجاباً عن الله العلماء والعُباد والزهاد، لأن ما يظنون أنه يقربهم إلى الله هو عين حجابهم وبعدهم عن حضرة الله جل في علاه.

حجاب العلماء

حجاب العلماء كالإشتغال بالمسائل الفقهية وتفريعاتها وأنواعها ومواضيعها، وينشغل بذلك بالكلية، ويظن أنه يقوم بعمل هام يقربه من رب البرية، في حين أنه لم يفطن أنه شغل باله وشغل قلبه بما يزيد حجابه عن القرب من حضرة الله جل وعلا.

لأن العالِم يُطالب بأن يأخذ من المسائل ما يحتاج إليه للعمل، ثم يأخذ من المسائل ما يحتاج إليه في النوازل، وعندما تنزل النازلة يُلهمه الله ﷻ بما يُخرجه من هذه الواقعة أو هذه النازلة، لكن لا يشغل البال على الدوام بهذه المسائل فيُقطع عن طريق المقربين وعن هدى الصالحين، ويكون هذا الذي يعمله هو حجابه الذي يُبعده عن طريق الله ﷻ.

أو يشتغل بجمع الأحاديث وتدوينها وتحقيق أسانيدها والتأكد من العنعنة الواردة فيها، فيشغل نفسه بجمعها، وأحوال الرجال الذين تواردت عنهم، والروايات، فينشغل بذلك عن العمل بها، وقد كفانا الله مؤنة ذلك برجال أهَّلهم لذلك في الزمن الخالي فقاموا بذلك، ومهما قمنا ومهما عملنا فلن نستطيع أن نصل إلى ما وصلوا إليه هنالك.

إذن ما الذي يجعلني أشتغل بهذا الباب وأنسى ما أنا مقبل عليه وما أريده إن كنت أريد السعادة يوم الحساب أو أريد الفتح من حضرة الوهاب ﷻ؟!! لكن آخذ ما ينفعني كما قال القائل:

العلم صعب وطويـــل سُلّمـــــه فانتق من كل شيء أحسنـــه

مِن الذي يستطيع أن يحيط بعلوم العلماء؟!! أو بباب واحد حتى يتخصص فيه من علوم السادة العلماء!! لا يستطيع أحد لا من السابقين ولا من اللاحقين، وإن تعلل بما كان عليه السابقين فإنهم لم يشغلهم ما كُلفوا به في ذلك عن الإقبال على الله طرفة عين، فكان همهم الأول الإقبال على الله، والتودد والتزلف والتقرب إلى حضرة الله، وجعلوا هذا العلم وسيلة إلى ذلك، ولم يجعلوه غاية، لكننا نجد في هذا العصر من يريد أن يقال عنه أنه المُحدث فلان الفلاني، وكل حديث لا يعرفه فهو حديث موضوع أو كذا، فيشغل نفسه بالظهور، وحب الظهور يقسم الظهور.

وكمن ينشغل بمطالعة الفتاوي القديمة والحديثة لكل المفتين السابقين والمعاصرين واللاحقين ويترك العمل بما علم، يريد أن يحوذ السبق في ذلك، حتى يقول: لا تفوتني مسألة في الإفتاء إلا وعندي فيها كل الآراء التي قيلت فيها، وهل هذا يُقربك إلى الله؟!! لقد كان عبد الله بن مسعود ﷺ ومن معه من صحابة رسول الله إذا سُئلوا: لو حدث كذا ماذا أفعل؟ يقول: لا تقل ولا تسأل عن شيء قبل وقوعه، هل وقع هذا؟ فإن قال لا، يقول: إن وقع فإن الله يُقيض في عصره وزمانه وأوانه من يُفتي الناس بما يريده الله ﷻ في شأنه، لكن لِمَ تشغل نفسك بأمور لم ترد بعد ولم تظهر بعد في هذا العالم؟!!.

كل هذه المسائل قد تجر إلى مشاكل، فإن اشتغال العلماء بهذه الشئون يؤجج نار الغيرة لبعضهم في صدورهم، وقد يوَرث الحقد بينهم لبعضهم، وإذا أصيب القلب بمرض الحقد أو داء الحسد أو حب الدنيا أو الكبر أو ما شابه ذلك فقد انقطع حبل وصله بمولاه، لأن الله ﷻ لا يكشف حجب جماله وكماله وأنواره إلا لمن قال في شأنه في كتابه: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) لا بد أن يكون القلب سليم من كل هذه العلل وهذه الأمراض التي أشرنا إليها وذكرنا نموذجاً منها.

حجب العُبَّاد

أما العُبَّاد فقد تشغله عبادته عن المعبود ﷻ، فينشغل بهيئات الصلاة، وحركاتها، والطهارة قبلها، وإتمامها عمَن هو موجهٌ هذا العمل إليه وهو الله ﷻ، وتلك طامة كبرى ومصيبة عظمى تجعله في حجاب عن الله وداخلاً في قول الله: ﴿ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ (١٠٤الكهف) يظن أنه يحسن الصنع وهو يزيد بعداً عن الله ﷻ.

وقد يُذيقه الله ﷻ حلاوة الطاعة، فيتلذذ بهذه الحلاوة، ويجد فيها بغيته، ويجد فيها طمأنينته، ولا يريد أن ينتقل منها إلى مقام آخر فوقها، بل يريد أن يستمر معه التلذذ بحلاوة الطاعة، وهذه وقفة، والوقفة حجاب من الحجب التي تمنعه عن صريح الإياب، وعن نور الكريم الوهاب ﷻ.

وقد يكون قصده بعبادته كون، والله ﷻ لا يرضى لعبده أن يقصد بعبادته كون ولو كان الآخرة، أو دار ولو كانت جنته، فلو كان يعبد الله لينال الآخرة فإنما ترك كوناً ليرغب في كون آخر، والله من وراء الأكوان:

﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ (٢٠البروج)

وإذا طلب بعمله الجنة فكأنه يطلب بعمله الأجر، !!! ولا يطلب الدرجة العظيمة والمنة، .... لماذا؟ ... لأن العارفين ما طلبوا الجنة إلا لأنها موضع تجلي الحق لهم، وبروز الأنوار الإلهية في قلوبهم، وظهور محبوبهم لهم بلا حجاب ولا سحاب!

فالمقصد من قبل ومن بعد هو كما قال الله تعالى:

﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف)

فهذه بعض حجب العُبَّاد.

حجب الزُّهَّاد

وكذلك الزُّهَّاد، إذا زهد في الدنيا ليتنعم في الآخرة بما اشتاقت إليه نفسه من حور وقصور، هل يفتح الله ﷻ له باب نعيم النظر إلى وجهه! أو باب قربه ووده؟!! لا بد أن يترك كل النعيم طلباً لمرضاة الحي القيوم ﷻ.

إذن كما قال إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه: (الدنيا حجاب لأهل الآخرة، والآخرة حجاب لأهل الجنة، والجنة حجاب لطلاب الوجه، والكل بلية إلا الله ﷻ) إذا أراد الإنسان أن يفتح الله ﷻ عين بصيرته لا بد أن يرفع كل هذه الحجب حجاباً وراء حجاب، ويجاهد حتى يزيل كل الأغيار، فإذا فرغ القلب من الأغيار ملأه الله ﷻ بالمعارف والأسرار، ثم تعطف عليه فأظهر له ما يتحمله على قدره من الأنوار من العزيز الغفار ﷻ:

فرغ القلب من سوانا ترانا يا مريداً جمالنا وبهانا

وهذه الحجب موضوعها طويل، ولا سبيل إلى الخلاص منها كما أجمع الصالحون ﷺ إلا بتسليم الأمر لمرشد رباني وخبير روحاني، يأخذ بيد العبد ويكشف عنه هذه الحجب حتى يقول له: ها أنت وربك، لأن الحقيقة كما يقول أهل الحقيقة، يقول فيها سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ: (إنما أنت المحجوب عن ربك وليس ربك بمحجوب عنك فارفع الغطاء تشاهد العطاء).

الله ﷻ ما غاب عن شيء ولا يغيب عنه شيء، ولله المثل الاعلى، فالشمس مشرقة الضياء على الدوام، مِن لا يراها إما من سحاب حجبها، وإما من رمد أصاب عينه فلا يراها، والسحاب الذي يمنع القلوب عن مشاهدة جمال الحبيب المحبوب هو حجب الحظ والهوى، فهي التي تحجب العبد عن جميع المشاهد الملكوتية، وعن جميع التجليات النورانية، وعن جميع المواجهات القدسية.

أنواع الحظوظ

والحظوظ ثلاثة: حظوظٌ للجسم، وحظوظٌ للقلب، وحظوظ للروح.

حظوظ الجسم هي شهوات الجسم من مطعم ومشرب ومنكح وملبس وكل ما يحسه الجسم ويلمسه ويطلبه:

والنفس شهوة مطعم أو مشرب أو ملبس أو منكح فاحذر بها الداء الدفين

هذه الحجب التي تحجب الجسم عن القيام بواجباته في خدمة الله، وفي العمل بشرع الله، وفي الإقتداء برسول الله ﷺ، فإذا حكَّم المنهج المحمدي في شهوات نفسه حاصر نفسه ونال أُنسه واكتمل بنيانه وبدأ يُشرق على جسمه أنوار قلبه، فيأخذ جسمه متجهاً به إلى ربه ﷻ، فلا سبيل إلى القضاء على شهوات الجسم إلا بإخضاعه لنهج الحبيب وسلطان الشريعة المطهرة، حتى يمشي كما ينبغي، وتكون القيادة والزمام لمملكة القلب التي تقود السفينة إلى جودي المواجهات والإشراقات في جوار سيد الرسل والكائنات ﷺ.

وحظوظ القلب حب الظهور وحب الثناء، وحب المدح، وحب التَمَشيخ، وما شابه ذلك من الأشياء التي ينشغل بها القلب ويريد أن ينال بها مناه في أن يكون له شأن بين عباد الله.

وحجب القلب وحظوظ القلب أشد ظلمة من حجب الجسم وشهوات الجسم، ودليلنا على ذلك أن آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقع في شهوة جسمانية: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ (١٢١طه) فتاب، فتاب الله ﷻ عليه.

أما إبليس فقد وقع في شهوة وحظ قلبي، وقع في الكبر والحسد لآدم، فكانت النتيجة أن طرده الله ﷻ من رحمته وقال له: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٨الأعراف) وقد قال صلوات ربي وتسليماته عليه: { لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } ٩٩

٩٩ صحيح مسلم وسنن الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وقال إمامنا أبو العزائم ﷺ موضحاً هذا الحديث:

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة من الكبر والأحقاد ما هو ذائق
وإياكم أخــلاق إبليـــس إنهــا لقد أبعدته وهو طاووس رامق

الذي أبعد إبليس الكبر والحقد والحسد، وهذه الأشياء هي أساس الكبائر التي محلها القلب، وهي التي تغطي على عين القلب، وتجعل الإنسان غير بصير وغير مستنير وغير مهتدي لا بالسراج المنير ولا بالكتاب الذي أنزله الله ﷻ عليه وهو القرآن الكريم.

أما شهوات الروح فهي المقامات، والكرامات، والرؤيات الصالحات من أجل أن يبيح بذلك ويتحدث بذلك لمن حوله، والفتوحات من أجل أن يجلب الدنيا، ويجتمع الناس حوله، وينتفع بجمعهم حوله، أو يُسر بذلك في نفسه .... كل هذه الأشياء تُسمى شهوات روحانية، أو حظوظ روحانية

ولا بد للمرء أن يتطهر بالكلية من كل الحجب الظلمانية والحجب النورانية، فإذا تطهر من الحجب الظلمانية أشرق الله ﷻ بأنواره الإلهية، ورزقه بصراً نورانياً يُكاشف به في البداية في عالم الرؤيا الصالحة، ثم يُكاشف به بمراد الله ﷻ في كلمات الله في كتاب الله،

ومراد رسول الله ﷺ في أحاديثه الصحيحة الواردة عن حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه، ثم يُكاشفه الله ﷻ بغيب ما في نفسه ليُصلح عيوبه ويُقَوِّم شأنه ويكون عبداً صالحاً أصلح أحواله، وأصبح صالحاً لمواجهة ربه ﷻ، ثم يتفضل الله ﷻ عليه ويُهيئه للمقامات العالية والمنازل الراقية فيُجمله بجمالات المقربين، ويُكمله بكمالات المحبوبين.

وصلى الله على سيدنا محمد على آله وصحبه وسلم

الباب الرابع

منازل الأخيار

✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵

الوصل السادس عشر: منازل أهل الفُتُوة

↯ مقام الفتوة ↯ الإيثار ↯ اكرام الضيف ↯ ↯ قضاء حوائج المسلمين ↯ كف الأذى ↯ ↯ خيركم خيركم لأهله ↯ الهدية ↯ ↯ رسالات الله ↯

✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵

الوصل السابع عشر: منزلة الحكمة

↯ بضاعة الله ↯ الطريق الأمثل لتقويم العصاة ↯ ↯ مرض البعد عن الله ↯ الرفق واللين ↯ ↯ منهج المخلصين ↯

✵✵✵✵✵✵✵✵✵✵ ↯

الوصل الثامن عشر:مقام قيام الليل

- المقام المحمود
- فضل قيام الليل
- تيسير القيام
- فضائل قيام الليل

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الباب الرابع :
منازل الأخيار

الوصل السادس عشر: منازل أهل الفُتُوَّة[100]

سؤال:

قد يخطر على البال لكثير من السالكين، فقد سألنى فيه وعنه كثير من إخواننا الذين يمشون على الهَدْى ويظنون أنهم سالكين، يقول أحدهم بلسانه أو بلسان حاله أو بلسان قاله: أنا قائم لله ﷻ بالعبادات كما ينبغي، أحافظ على الفرائض في وقتها، وأصوم شهر رمضان والأيام الفاضلة، وأداوم على السنن الرواتب، وأقرأ القرآن، وأذكر الله ﷻ دوماً في كل وقت وآن، وأزيد بالإكثار من الصلاة على النبي العدنان ﷺ، ولكن لا أجد الفتح الذي يتحدث عنه العارفون، ولا الكشف الذي ينبئ به المكاشفون، ولا الهبات ولا العطايا التي يخبرنا بها المقربون، فما السبيل إلى ذلك؟ وما الطريق الذي يوصل المرء ليكون أهلاً لذلك؟ والجواب:

---

100 **المعادي - الخميس 11 من صفر 1433هـ 5/1/2012م**

اعلم يا أخي يا من مشيت على هذا المنهاج أنك مشيت على منهاج خير وبر ورشاد، لكنه سبيل وطريق ذلَّلـه الله ومهَّده لنفر سماهم العُبَّاد، وجزاؤهم وافر في يوم الميعاد، جنات عدن يدخلونها وقصور وحور ونعيم لا ينفد يتمتعون به،ويقول الله لهم في ذلك: ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢النحل) وتقول لهم الملائكة بعددخولهم الجنة: ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ (٧٤الزمر) هذا سبيل العبَّاد الذين يتعبدون بما ورد عن سيد العباد، راجين فضل المنعم الجواد إذا وفدوا عليه في الميعاد.

مقام الفُتُوة

لكن طريق أهل الفتح ليس طريق أهل الكدح، فطريق أهل الفتح تأهيل القلوب والأسرار لأنها المحل الذي يتنزل فيه فتح الله، والذي يتحمل ظهور أنوار فضله ﷻ وتنزلات هداه وعلاه، وهؤلاء إمامهم بعد نبينا ﷺ هو أبو المرسلين والنبيين سيدنا إبراهيم الخليل، والذي أهَّله للمقام، وهيأه لبلوغ المرام أظهره الله ﷻ لطلاب هذا المقام في القرآن الكريم.

أما المقام الذي تأهل به لفضل الله وفتح الله اسمه مقام الفتوة:

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ (٦٠الأنبياء) وفي ذلك يقول سيدى أبو العباس المرسى ﷺ: (إنما سُمى إبراهيم فتى لأنه كسر الأصنام، وكل من يُكسر أصنامه - صنم حظه وصنم هواه وصنم شهوته - يُقال له فتى كما قيل لأهل الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (١٣الكهف) .. ومن تأهل لهذا المقام فبدايته أن يدخل في مقام الفتح الربانى الذي قال فيه الله في كتاب الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) كاشفه الله بالملكوت.

والملكوت أى باطن أو غيب السموات والأرض ليكون من عباد الله الموقنين، بِمَ بلغ إبراهيم مقام الفُتوة؟ لأنه آثر ما يرجوه مولاه على ما تطلبه نفسه وهواه، طلب من القوم أن يؤمنوا بالله فاشمئزوا ورفضوا، وأوقدوا له النيران، فدخل النيران مؤثراً الإيمان على أن يتبع هواه ويوافق العباد الذين لم يؤمنوا بحضرة الرحمن ﷻ.

رزقه الله المال فجعل نصيب الضيف هو الأعظم في هذا المال، حتي كان لا يأكل إلا إذا جاءه ضيف، يؤثر الضيف على نفسه، بل يؤثره بالطبع على أهله وزوجه وولده تنفيذاً لمراد ربه ﷻ، رزقه الله ﷻ الولد بعد طول الكَبَد، بعد أن بلغ من العمر ثمانين عاماً، وأمره الآمر ﷻ أن يهب هذا الغلام لبيت الله الحرام، يسكن فيه بغير أنيس، ويجلس فيه بغير جليس، ويعيش فيه بلا مأوى، حتي إذا شبَّ وترعرع يقوم مع أبيه بمعونته على بناء هذا البيت، ثم يتولى بعد ذلك سدانة هذا البيت والإشراف على هذا البيت، قال الله:

{ يا إبراهيم أتدرى لِمَ اتخذتك خليلا؟ قال: لا يارب، قال: لأنك جعلت بدنك للنيران ومالك للضيفان وولدك للقربان وقلبك للرحمن }

وعلى هذا المشهد العظيم صار طلاب هذا الفضل من الجواد الكريم، لا بد من بلوغ مقام الفتوة لمن أراد هذه الفتوحات، وأن يكون من أهل هذه المنح والعطاءات، حتي أن إخوة يوسف بلغت بهم الفُتُوة أن دبروا مؤامرة لإقصاء أخيهم ليخلو لهم وجه أبيهم:

﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ (٩يوسف).

ما مقصدهم؟ كانوا يريدون أن ينالوا ميراث النبوة من أبيهم الذي ورثه عن جده إبراهيم الخليل، ولما رأوا أن أباهم يخص بهذا الميراث يوسف دونهم دبَّروا مؤامرة لقتله أو إبعاده حتي يحظو بهذا الفضل ويكون لهم هذا الميراث.

وإن كان هذا السبيل ليس هو النهج الذي ارتضاه هذا القبيل، إلا أن عذرهم في ذلك أنهم لم يكن لهم مرشد يرجعون إليه ليرشدهم إلى أفضل الأحوال وخير الأعمال التي يُقبلون بها على الله وينالون بها هذا المنال، وكل قصص الأنبياء والمرسلين والصالحين إنما هي ترجمة عملية لمقام الفُتُوة.

مقام الفُتُوة باختصار:

أن يؤْثِر ما طلبه به مولاه، وما أمره به الله، وما يطلبه منه شرع الله على ما يدور في فكره، أو على ما يلوح في ذهنه، أو على ما يميل إليه هواه.

يريد أن يؤثر ما حكم به الله على أى أمر يدور في دائرة إنسانيته وبشريته وهواه، مَن فعل ذلك بدأ خطوة يتأهل نحو ذلك.

الإيثار

ومن توابع هذا المقام لمن مشى على هذا المنهج الكريم خلف المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام أن يؤثر إخوانه على نفسه:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر) سبب نزول هذه الآية كما قال أبي هريرة ﷺ قال:

{ أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ أَنَا فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ } ١٠١

---

١٠١ صحيح البخاري وسنن الترمذي والبيهقي

ويروى ابن مردويه ﷺ في تفسيره سبباً آخر لنزول هذه الآية: أن رجلاً من الأنصار جاءته صدقة وهى رأس كبش، فقال أخى فلان وعياله أحوج إلى هذه الرأس منى، فذهب إليه وأعطاها له، وقال الثانى مثل قوله، ودارت الرأس على سبعة بيوت ثم رجعت للأول، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ ﴾ ... ولذلك يقول الحافظ ابن حجر ﷺ: والآية تحتمل كل هذه الأسباب، فربما تكون نزلت لكل هذه الأسباب، لهذا وذاك، المهم أنهم كانوا: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ ﴾.

ولم يزل هذا الخُلُق أول أسرار الفُتوة، يتخلق به الصالحون وأتباعهم، حتي في أشد المآزق التي يتعرضون لها، ودعونا نبتعد عن العصر الأول لأن كثيرين يقولون إن العصر الأول ليس له مثال، فنرجع إلى العصر والقرن الثالث الهجري حيث الإمام الجنيد ﷺ، فقد خرج مع تلاميذه في سفر، ومروا بصحراء ونفد ما معهم من ماء حتي كادوا يهلكوا جميعاً ، وبينما هم سائرون إذا بهم يلمحوا بيعة – والبيعة هو الموضع الذي يتعبد فيه اليهود – فذهب واحد منهم إلى الراهب الموجود في البيعة وطلب منه الماء، فأحضر له الماء وقال له: اشرب،

فقال: لا أشرب حتي يشرب إخوانى جميعاً أولاً، فألح عليه، فرفض، فقال: أحضرهم جميعاً، وكلما عرض الماء على واحد منهم يأبى أن يشرب حتي يشرب إخوانه جميعاً ، فلما وجد إصرارهم جميعاً على ذلك أحضر حوضاً وملأه بالماء ودعاهم للشرب جميعاً، فأخذوا يأخذون الماء بأيديهم من الحوض ويشربون سوياً لأنهم أهل الإيثار.

بل الأغرب من ذلك في هذا الباب للإمام الجنيد وتلاميذه أهل الإيثار أن رجلاً في عصره كان يكره الصوفيه وكان يُسمى غلام أحمد، فوشى بهم إلى الخليفة بالوشاية التي نجدها في تاريخ الصوفية تكاد تكون قاسماً مشتركاً أن هؤلاء يريدون أن يستولوا على الحكم، ونمَّق وشايته حتي حكم الخليفة المقتدر بإحضارهم وقتلهم جميعاً، فأحضروهم، وصفوهم، ووضعوا آلة القتل، وحضر السياف الذي ينفذ القتل، وكان رجل يقف في آخر الصف يُسمى أبو الحسين النورى ﷺ - وكان إذا ذَكر الله ظهر نور من وجهه ولذلك سُمى بالنورى - يخرج مسرعاً ويقف أمام السياف، فقال له: ماذا تريد؟ قال: ابدأ بى أولاً، قال: ولماذا؟ قال: أريد أن أوثر إخواني بحياة ساعة – ساعة يذكرون فيها الله ﷻ - فدُهش السياف من ذلك وأرسل إلى الخليفة، فجاء، فسألوه أسئلة في الفقه فأجاب، ثم قال: إن لله عباداً إذا أقامهم قاموا بين يديه .، وأخذ في الحديث عن الصالحين حتي بكى الخليفة وبكى القاضي، وقال القاضى: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مؤمن، وبرأهم الله جميعاً وأنقذهم بخلق الإيثار:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ خُلُق مَن هذا؟

خُلُق الأنصار الذين فتح الله قلوبهم فنزل فيها عطاء ربهم، ففتح الله بهم ولهم البلاد والأمصار، وأزال بهم الكفر والكفار.

اكرام الضيف

الخُلُق الثاني الذي يُكرم الله ﷻ به أهل الفُتُوة على منهج إبراهيم عليه السلام خُلُق إكرام الضيف لقوله ﷺ:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ }١٠٢

والتقسيم الهندسي الرباني الذي قسَّم به الدار لكل رجل من أهل الإيمان حجرة للنوم وحجرة للولد وحجرة للضيف، فقال ﷺ:

{ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضِّيَافَةِ }١٠٣

كيف تريد أن يفتح عليك الفتاح ودارك مغلقة بالضبة والمفتاح، وقد قيل: (أقبح القبيح صوفي شحيح) لأن الصوفي على خُلُق الله ففى الأثر:

{ إن الله يحب من خَلقه من كان على خُلُقه }

١٠٢ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٠٣ الجامع لأخلاق الراوي وتاريخ جرجان للسهمي عن أنس رضي الله عنه

لا بد من هذا المنزل، ولذلك نجد بيوت الصالحين ومنازل كُمَّل المريدين عامرة بالضيفان، مفتوحة بصفة خاصة للإخوان الذين أقبلوا بالكلية على حضرة الرحمن، فقد قال الإمام علىّ ﷺ وكرَّم الله وجه: (لأن أُنفق درهماً على إخواني خير من أن أتصدق بمائة درهم على الفقراء والمساكين، ولأن أُنفق مائة درهم على إخواني خير من أن أعتق رقبة) وأنت لا ترزق الضيف، ولا تأتي له بشيء من عندك، لكن انظر إلى معنى الحديث النبوى الشريف إد يقول صلى الله عليه وسلم ما معناه:

{ يدخل الضيف ورزقه معه، ويخرج بذنوب أهل الدار فيلقيها في البحر }

مَن الذي نال المكسب الأعظم والغنيمة الأكبر الضيف أم المضيف؟! رجل دخل ورزقه معه وحمل ذنوبك كلها معه، فلا بد أن يكون على قدم إبراهيم الخليل، وإبراهيم أبو الأنبياء وأبو الضيفان، وكان في ذاك المقام الأعلى من الكل حبيبنا ﷺ.

وآداب الضيافة ما قال الصالحون: (نحن قوم نجود بالموجود ولا نتكلف المفقود) الضيف يأتي فنجود بما عندنا، أو نجود على الأصح بخير ما عندنا، فلا ينبغي أن ندخر شيئاً عندنا ولا نقدمه للضيف إما لتواضع رتبته أو لقلة منزلته في نظرنا لأننا نُكرم الكريم ﷻ في شخص الضيف الذي ورد علينا،

ولا نتكلف، فلم يأمرنا الشارع ﷺ أن نستدين لنكرم الضيف، ولا أن نكلف أنفسنا فوق طاقتها لنكرم الضيف، بل نجود بما عندنا إذا حلَّ فجأة، لكن إذا دعوناه لا بد أن نصنع كما كان يصنع أصحاب رسول الله ﷺ، فأوليه اهتمامي، وأقدم له غاية ما أستطيع طمعاً في أن أكون من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، فَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَلانَ الْكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ } ١٠٤

قضاء حوائج المسلمين

الخلة الثالثة التي ينبغى أن يتحلى بها أهل الفُتوة قضاء حوائج المسلمين: .. أن يسعى في قضاء مصالحهم، وأن يسعى لتذليل منافعهم، وأن يسعى في تيسير مطالبهم، وأنتم تعلمون أنه كان على قمة ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد كان قيام الليل لهما البحث عن المحتاجين والعجزة والمساكين ورعايتهم وقضاء مصالحهم، حتي أن جيران الصديق حزنوا عندما اختير لخلافة رسول الله ﷺ، مع أنهم يُجلونه ويُحبونه، وعندما رأى في وجوههم الحزن سألهم، فقالوا لأنك بعد اليوم لن تحلب لنا شياهنا – لأنه كان يحلب لهم شياههم رضي الله عنه - فطمأنهم رضى الله وتبارك عنه بأنه سيظل على حاله معهم، لأن خير الناس أنفعهم للناس.

١٠٤ مسند الإمام أحمد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

فكانوا يسعون لقضاء حوائج المسلمين طلباً لمرضاة الله، وبغية في التأسى بحبيب الله ومصطفاه، لا طلباً لمنفعة، ولا رغبة في مصلحة، ولا حتي طمعاً في كلمة شكر يسمعونها من أفواههم، وإنما كما قال الإمام عليّ في ذلك وهو إمامهم كما أخبر القرآن: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان) قال ﷺ:

{ إِنَّ من مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ، إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ وَتَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ }١٠٥

السعى في حوائج المسلمين ومنافعهم هو خُلُق أهل الفُتُوة في كل وقت وحين.

كف الأذى

والخُلُق الرابع كف الأذى عن جميع خلق الله، ولذلك لخَّص الإمام الجنيد رضي الله عنه الفُتُوة في عبارتين فقال: (الفُتُوة بذل الندى وكف الأذى) وبذل الندى أى الإكرام، وكف الأذى عمن قال لا إله إلا الله.

---

١٠٥ حلية الأولياء لأبي نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

كل من قال لا إله إلا الله ينبغي على المسلم أن يكف الأذى عنه إن كان بلسانه أو بيده وبنانه أو بفكره أو بقلبه وجنانه أو بأى ركن من أركانه، فقد قال الإمام عليّ ﷺ في وصف الصالحين في كل وقت وحين: (أنفسهم عفيفة وحاجاتهم خفيفة، الناس منهم في راحة وأنفسهم منهم في عناء) وما لنا نبعد وقد قال الله في شأنهم نحو إخوانهم: ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (٢٩الفتح) أما الشدة والغلظة والقسوة عندهم كما قال الله:﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴾ (٢٩الفتح) لا تجد الغلظة ولا القسوة ولا الفظاظة إلا على الكافرين، أما على المؤمنين فالشفقة والرحمة والمودة والعطف واللين على خُلُق سيد الأولين والآخرين ﷺ.

ورسول الله ﷺ في ذلك على خُلُق مولاه، لأن الله ﷻ يرزق البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ولا يمنع بره عن أحد مع أنه قد يكون كافر بالواحد الأحد، ولذلك عندما طلب سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام من رجل أن يذهب معه ليُضيفه، فسأله عن ديانته فعرف أنه غير مؤمن، فاشترط عليه ليُضيفه أن ينطق بكلمة الإيمان، فعاتبه الرحمن ﷻ، وقال: يا إبراهيم أنت من أجل لقمة واحدة تطلب منه أن يتخلى عن دينه ويؤمن بدينك وأنا أرزقه طوال عمره مع أنه لا يؤمن بي!! ولذا قال له مولاه:

{ يَا خَلِيلِي حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الأَبْرَارِ، وَأَنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ أَنْ أُظِلَّهُ تَحْتَ عَرْشِي وَأُسْقِيَهُ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِي وَأُدْنِيهِ مِنْ جِوَارِي }١٠٦

فكان ﷺ على خُلُق الله يعفو ويصفح: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ ﴾ (١٣المائدة) ويزيد على ذلك: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ (١٥٩آل عمران)، ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف)، ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ (٨٥الحجر) ...كان على هذا الخُلُق النبيل سيدنا رسول الله ﷺ، ويكون عليه الصالحون في كل زمان ومكان.

---

١٠٦ **الطبراني عن أبي هريرة ﷺ**

لماذا نجتمع على الصالحين؟ لننظر أحسن ما عندهم، لأنهم بشر قد يكون فيهم عيوب، وقد يكون لديهم أخطاء، لكننا ننتقى أفضل ما عندهم وهو ما تشبهوا فيه بحبيبهم، فنتشبه به في سلوكنا وفي أخلاقنا وفي تعاملاتنا وفي حياتنا، إن كان مع زوجاتنا أو أبناءنا أو مع جيراننا أو مع أهلينا أو مع كل خلق الله .... فنحن نحاول على قدرنا أن نكون صورة ممن نحن معهم من الصالحين، والصالحون يحاولون على قدرهم أن يكونوا صورة على قدرهم ولو مصغرة جداً من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

خيركم خيركم لأهله

ولذلك لي عتاب على كثير من الأحباب في هذا الباب، كثير من إخواننا ليسوا على النهج القويم الذي نحن عليه إذا ذهبوا إلى بيوتهم، فتجدهم مع زوجاتهم ومع أولادهم كأنهم سباع كاسرة، أو وحوش خرجت من مساكنها وقد أضر بها الجوع، يريدون أن يلتهموا هذا الغلام الذي هو فلذة كبدهم، وأن يُكسروا أضلاع هذا الفتى الذي ولّاهم الله ﷻ عليه وأمرهم بالإحسان إليه، وقال لهم الحبيب في شأنه:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }١٠٧

---

١٠٧ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن عمر ﭬ

لا يكف تليفون الإغاثة عندنا عن الإستغاثة من إخواننا، من الزوجات ومن الأولاد ومن البنات، وإني أعجب من كلمات السباب التي تقال!! هل يسمعونها منا هنا؟!! وأعجب من الإنفعال الشديد الذي يحدث!! هل يحدث هذا بيننا أو في بيوتنا؟!! وأعجب من الغلظة والقساوة والفظاظة في تعاملهم مع أولادهم!! مع أن لنا علامة فيمن تولاه الله، أن أول من يحبه زوجه وأولاده، فإذا كان زوجه وولده غير محبين له كان دليلاً على أنه يمشي في طريق خاطئ، ليس على نهج الحبيب ولا على هدى الصالحين.

فإن رسول الله ﷺ أول من آمن به زوجه، ومن الصبيان عليّ ﷺ الذي كان يتربى في حجره، ومن العبيد زيد بن حارثة الذي كان رقاً عنده، حتي بلغ الأمر أن أهله حضروا لأخذه فرفض، وعرضوا الأمر على النبي ﷺ فقال: أنتم بالخيار معه فإن اختاركم فلا أطلب منكم شيئاً وهو لكم، فخيَّروه فقال: لا أختار على محمد أحد أبداً!! من جمال أخلاقه ومن دماثة طبعه.

إذن ما هذا الذي أسمعه من إخواني؟!! نحن نحتاج إلى فأس الخليل لنُكسر بها هذه الأخلاق التي تُسيء إلى الصالحين، وتجعل الناس يتسخطون على أتباع الصالحين، وأحباب المتقين ظانين أن هذا الذي يرونه من وصايا الصالحين، ومن أوامر المتقين، مع أننا لا ناقة لنا ولا جمل في هذا الذي نراه أو نسمعه من إخواننا في كل وقت وحين، هدينا هو هدى الحبيب، وهدى أصحاب الحبيب الذين صاروا على هدى أتباع الحبيب، فقد كانوا يقولون على قدرهم: (عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم وأن متم بكوا عليكم).

ولا يكون ذلك إلا بالمودة والرحمة والشفقة والعطف والحنان، وإني أتسائل: الذي يُعطي الحنان والشفقة والمودة والعطف لأصدقاءه وزملاءه وجيرانه، ويُعطي الفظاظة والغلظة والقسوة لزوجه وأولاده، هل هذا يُتابع رسول الله؟!! فقد قال ﷺ في حديثه الصحيح الصريح:

{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي }١٠٨

لنعرف أن هذا منهج رسول الله ﷺ، إذن الخيرية تكون للزوجة والأولاد والأم والأب والأخوات والجيران ومن حولهم، ابدأ بمن تعول ثم أهلك ثم الأقرب فالأقرب كما قال ﷺ، وإني أرجو من إخواني جميعاً أن يتوبوا إلى الله من هذه الأفعال الشنيعة، ويعاهدوا الله ﷻ أن نكون جميعاً متبعين لسيد الأولين والآخرين ﷺ حتي نفوز بهداه ونحظى بالفتح الإلهى الذي أكرم الله به حبيبه ومصطفاه ﷺ.

الهدية

أيضاً من أخلاق أهل الفُتُوة الهدية، والهدية في أساسها جعلها الله ﷻ للحضرة النبوية وقال فيها عز شأنه: ﴿ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَىۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً ﴾ (١٢المجادلة) الإمام علىّ ﷺ وكرَّم الله وجهه يقول في هذه الآية:

١٠٨ سنن الترمذي والدارمي وصحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها

{ إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ لآيَةً مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ وَلا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي، آيَةُ النَّجْوَى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَىۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً ﴾ قَالَ: كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ، فَنَاجَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُنْتُ كُلَّمَا نَاجَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَايَ دِرْهَمًا، ثُمَّ نُسِخَتْ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، فَنَزَلَتْ ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَىۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَـٰتٍ ۚ ﴾ }[109]

وقال الإمام عليّ رضي الله عنه:

{ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَىۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً ﴾ قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: مَا تَرَى دِينَارًا؟

١٠٩ الحاكم في المستدرك

قُلْتُ: لا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: فَنِصْفُ دِينَارٍ؟ قُلْتُ: لا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: فَكَمْ؟ قُلْتُ: شَعِيرَةٌ، قَالَ: إِنَّكَ لَزَهِيدٌ ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ ﴾ الآيَةَ، قَالَ: فَبِي خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ } ١١٠

ونزلت هذه الآية كما يحكى سيدنا عبد الله بن عباس ﵄ غيرة من الله على حبيبه ومصطفاه، لأنه لما كثر عليه السائلون، وشغلوه، فأراد الله ﷻ أن يحد منهم فنزلت هذه الآية، فقلَّ المترددون، ثم بعد ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ﴾ (١٣المجادلة) فنسخ الله ﷻ هذا الحكم كما نسخ فرضية صيام يوم عاشوراء، لأن صيام يوم عاشوراء كان قبل صيام رمضان فريضة، فلما فُرض رمضان نُسخت الفريضة وبقيت سنيته.

١١٠ سنن الترمذي وصحيح ابن حبان

وكذلك أصبحت هذه الهدية سُنة لمن يريد أن يتهذب ويتأدب بآداب الواصلين والصالحين، وأن يحظى بالحظوة الكبرى والفتح الأعظم من لدن رب العالمين ﷻ، كان ﷺ في هذا الوقت عنده أهل الصُفَّة، وأهل الصُفة قوم جاءوا من شتى بقاع الجزيرة العربية، جنَّدهم الله ﷻ ليعيشوا مع الحبيب وينقلوا عنه هديه كله، ويتفرغوا لذلك، فعاشوا في مسجد رسول الله ﷺ، ولم يكن له سقف أو عريش، فصنع النبي ﷺ لهم عريشاً يجلسون تحته وينامون تحته، والعريش كان يُسمى الصُفَّة، ولذلك سُموا بأهل الصُفَّة، وكانوا حوالى تسعين رجلاً متفرغين بالكلية لرسول الله ﷺ، يسمعون منه ويخدمونه، وإذا كان في أمر انشغلوا بطاعة الله وذكر الله وتلاوة كتاب الله، تفرغوا بالكلية لله وهم المعنيون بقول الله:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢٨الكهف) أى انظر لهم دائماً، وكان قائدهم وعريفهم أبو هريرة ﷺ، وهؤلاء كان يتكفل بهم في طعامهم وشرابهم وكسائهم وغطائهم رسول الله ﷺ، فكان الأنصار وأغنياء المهاجرين يتسابقون في إعانة رسول الله ﷺ على هذا الأمر ليستطيع أن يكفل هؤلاء، ولهم عند الله ﷻ عظيم الأجر وموفور الجزاء.

رسالات الله

وهذه هي السُنَّة التي أخذ منها السلف الصالح الهدية للصالحين، لأن الصالحين كلَّفهم الله ﷻ برسالات: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٩الأحزاب) رسول الله خاتم النبيين، لكن الرسالات يقوم بها علماء يُكلفهم الله وليسوا نبيين ولا مرسلين، وإنما في مقام العلماء ورثة الأنبياء إلى يوم الدين، يُكلفهم الله بذلك، ويجعل الله ﷻ لمن يُعينهم على ذلك العطايا الإلهية والفتوحات الربانية والألطاف الخفية لأنهم قاموا مقام الأنصار والمهاجرين في إعانة حضرة النبي في هذا الوقت والحين.

فهذه هي السُنة في هذا الوقت، لكن ذلك كان عندما كان الصالحون يبنون زوايا، وكان يتفرغ لهذه الزوايا نفر من العُبّاد والزهاد لطاعة الله ﷻ، أما الآن فقد اختفى هذا الأمر وأصبحنا في عصر الأسباب، ولا بد لكل امرئ أن يكون له سبب يأخذ منه أرزاق حضرة الوهاب ﷻ، فأصبح هذا الأمر على قدر الطاقة فيما تحتاج إليه دعوة الله ﷻ، كل عصر له جوانب للدعوة غير العصر السابق والعصر اللاحق، فهذا الأمر فتحه رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يأمر أصحابه أن يقبلوا الهدية ويقول:

{ تَهَادُوا، تَحَابُّوا } ١١١

لكن لا تكون الهدية مقابل الهدية ...

١١١ سنن الترمذي والبيهقي ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

فمن يُحضر لأخية هدية يُحضرها لله، ويتيقن أن أجره على مولاه، ولا يطلب عليها أجراً ولا جزاءاً إلا من حضرة الله، هذه واحدة، والثانية: إذا أراد أن يهدي لأخيه يهدي له ما يشعر أنه يحتاج إليه، فلا يُهدي له شيئاً يعلم أنه في غِنى عنه، أو شيئاً يعلم أنه لا يحتاجه في شئونه، بل يبحث عما يحتاج ليُقدمه له.

ولذلك كان شيخنا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ عندما كان يذهب لزيارة الفقراء والمساكين كان يُعلمنا أن نأخذ لهم ما يحتاجون إليه من الأقوات، فيقول: لا تأخذ لهم فاكهة يأكلها الأولاد في لحظة وتنفد، ولكن خذ ما يحتاجون إليه من المواد، أو من الأشياء التي يحتاجون إليها من الأطعمة المستمرة في حياتهم اليومية، أو اعطهم نقوداً يشترون بها ما يريدون وما يشاءون.

وإنى أرى كثير من المسلمين عندما يحين المولد النبوي يشترون كميات كبيرة من الحلوى ليوزعها على الفقراء والمساكين، وأرى كثير من الفقراء عندهم كم من الحلوى يحتارون في تصريفه والعمل فيه!! ما الذي ينبغى أن يفعله المؤمن العاقل في ذلك؟ أعطيه قيمة هذه الحلوى في مظروف، ودعه يشتري ما شاء، ويأتي بما يريد لنفسه وأولاده، وخاصة أن هذا الزمان ليس كل الناس يأكلون الحلوى، ولكن اعط له ليشترى ما يريد وسمها ما شئت على المظروف، حلوى المولد أو غيره، المهم أن تعطيه ما ينفعه، وقد قال ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها في هذا الباب:

{ إِذَا سَاقَ اللَّهُ إِلَيْكَ رِزْقًا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، وَلا اسْتِشْرَافِ نَفْسٍ فَخُذْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَهُ }١١٢

فمن جاءه رزق فليقبله حتي ولو لم يكن يحتاجه فليأخذه ويعطيه لمن يحتاج حتي نشجع الناس على العطاء، ونشجع الناس على الإنفاق، ونشجع الناس على فعل الخير وعمل البر ..... هكذا كان ﷺ وصحبه الكرام.

إذا مشى الإنسان على هذه الأوصاف التي أشرنا وذكرنا بعضها، وتحلى بها في نفسه بعد تصفية نفسه، وبعد صفاء قلبه، أكرمه الله ﷻ بما أكرم به سلفنا الصالح من الفتوحات الإلهية ومن العطاءات الربانية.

---

١١٢ **الطبراني عن عمر بن الخطاب ﷺ**

الوصل السابع عشر: منزلة الحكمة[113]

نحن نحتاج إن شاء الله لأناس ينشروا المودَّة والرحمة والعطف والشفقة والحنان والأشياء التي جاء بها رسول الله ﷺ وألَّف بها القلوب وجمعها على حضرة علام الغيوب، والتي ذكَّرنا بها الله وقال لنا: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ ﴾ (١٠٣آل عمران) بماذا ألَّف بين القلوب؟ بالمحبة والمودَّة والحنان والعطف والشفقة والرحمة .. هذه هي البضاعة التي ألف بها سيدنا رسول الله بين القلوب، والتي يقولون فيها أن العرب كانوا كالوحوش الكاسرة، فكيف يُروِّض هذه الوحوش ويجعلها بهذه الشاكلة؟! بهذه البضاعة .. فنحن الذين يحملون هذه الأمانة لأننا نحن الذين نحمل هذه البضاعة، وتكليف الله ﷻ لنا أجمعين.

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران)

[113] جرجا ـ الجمعة ٢٠١٢/٣/٩ موافق ١٦ من ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ

ولذلك ما الذي يُعلمني أن هذا الرجل معه بضاعة رسول الله؟ هذه الأوصاف التي معه .. لكن معه الفظاظة والغلظة والقسوة فهذا ليس معه بضاعة رسول الله.

ولذلك أنا أعجب أحياناً أني أجد أخاً يعامل أخيه بشدة أو جفاء أو تعنُت أو بقسوة .. فهل هذه أُخُوَّة؟! لا، وأنا لازلت محتاجاً لحجر جلخ كبير يجلخ هذه الأوصاف التي فيَّ، ويضع مكانها الأوصاف النورانية النبوية والتي كانت عليها الحضرة المحمدية، والتي كان عليها الصالحون في كل مكان وزمان.

بضاعة الله

لو أن المسلمين في هذا الزمان وفى هذا الوقت تجملوا بهذه البضاعة أولاً، ثم قاموا ناشرين لها، هل سيبقى على الأرض كلها رجلاً لا يدخل في الإسلام؟ لا والله .. إذن فما الذي صدّ الناس؟ الجفاة الغلاظ في عرض بضاعة رسول الله.

أنت تعرض دين الله فلا بد وأن يكون معك اللين، ومعك السماحة، أنتم ترون التجار العاديين .. فهل تشتري من التاجر الهشوش البشوش والذي يتحدّث معك بلين وعنده سماحة في البيع والشراء، أم تشتري من المُتجهم غليظ القلب الذي لا تعرف أن تأخذ معه وتُعطي؟!

كذلك بضاعة الصالحين، وهي بضاعة أشدّ، فهي بضاعة مخاطبة القلوب وتليينها، وإذابة الشحناء، وكل ما لا يحبه الله ﷻ من القلوب، والقضاء على العيوب التي تمنع القلوب من مشاهدة الغيوب، وهذا الكلام كله لا يتم إلا بواسطة الحبيب المحبوب ﷺ .. ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ يُعطينا حديثاً عظيماً يقول فيه:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ } ١١٤

هذه القلوب تجذب حتى قساة القلوب وجُفاة الطبع وغلاظ النفوس، وهم يحتاجون إلى اللين والمودّة لكى نجذبهم.

الطريق الأمثل لتقويم العصاة

البلطجية الذين انتشروا في المجتمع ألا يحتاجون إلى أحدٍ يدعوهم إلى التوبة والأوبة والرجوع إلى الله، فهل نسدّ عليهم الباب؟! لا، بل يحتاجون إلى من يفتح لهم باب التوبة، وهل من يفتح لهم الباب يكون ممسكاً بالسيف أو العصا أو السلاح؟! فماذا يحتاجون؟ يريدون اللين والمودّة لكى يفتح لهم رحمة الله، وباب توبة الله، وباب عفو الله، وباب كرم الله ... فيدخلوا من هذا الباب تائبين منيبين إلى حضرة رب العالمين ﷻ.

لكن الذي يشتدّ عليهم، هم سيشتدون أيضاً، وحضرة النبي أعطى لنا المثل في بني إسرائيل:

---

١١٤ مسند الإمام أحمد والطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ

{ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ } ١١٥

الرجل العابد شديد ليس عنده تهاون ولا لين وسدّ عليه الباب، لكن الرجل العارف بالله، والذي على قلب نبيٍ تقي نقي فتح له باب التوبة، الباب مفتوح دائماً، حتى أنهم يقولون: من يطرق الباب يُفتح له على الفور، ونقول لهم: أنتم على غير صواب لأن الباب متى أغلق حتى يحتاج إلى من يطرق عليه؟! باب الله لن يُقفل ومفتوحٌ آناء الليل وأطراف النهار: { يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ } ١١٦

١١٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١١٦ صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن البيهقي عن عبد الله بن قيس ﷺ

فنحن محتاجون كلنا أن نكون على هذه الوتيرة، نكون صورة من الداعي الذي لا يسُدّ الأبواب، نكون صورة من الداعي الذي يسلك بالناس إلى أبواب حضرة الكريم الوهاب ﷻ، فلا يقول أنه يفتح الأبواب لأنها مفتوحة، ولكنه فقط يعرفهم الطريق، قال الله تعالى:

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١النور)

متى يكون هذا؟ هل في الظهر أم في العصر أم في المغرب أم في العشاء؟ هل في رمضان أم في الحج؟ هل في الجمعة أم في الخميس أم في غيره؟ لا .. مفتوحة في كل وقت مادام يقول: أنا تبت، يقول له الله: وأنا قبلت، يقول: أنا رجعت، فيقول الله: وأنا بفضلي الكبير عليك جُدت ... فضل الله وإكرام الله وعطاء الله، لأن عطاء الله وإكرام الله ينزل آناء الليل وأطراف النهار لكل من يتعرَّض له.

لماذا تنجح دعوة الصالحين مع العصاة والبلطجية والمذنبين؟ لأن هؤلاء أطباء رحماء يعتبرون أن هؤلاء مرضى .. وأنت كيف تتعامل مع المريض؟ تأخذه بالرفق وتُعطيه العلاج إلى أن يُشفى بإذن الله.

مرض البعد عن الله

هل هناك مرضٌ أكبر من مرض البعد عن حضرة الله؟ هل هناك مرضٌ أشد من الوقوع في الذنوب؟ هل هناك مرضٌ أقسى وأمَرّ من نسيان الحبيب المحبوب؟ إنها أمراضٌ شديدة.. وكذلك مرض الغفلة، هل هناك مرضٌ أشدّ منه؟.

من كان عنده كل أمراض الجسم ويراقب الله فهذا ليس بمريض .. أحد الصالحين كان ماشياً في الطريق ورأى رجلاً نائماً ومريضاً وجروحه تنزف صديد ويقف عليه الذباب والزنابير، وأول ما وصل عنده سمعه يقول: الحمد لله، فقال له: أنت تحمد الله على ماذا؟! فقال له: ألم يجعل لي لساناً ذاكراً وبدناً على البلاء صابراً وقلباً شاكراً؟! ماذا أريد من الدنيا أكثر من ذلك؟!.

فعندما تجد لك جاراً أو أخاً أو رفيقاً في العمل أو ذوي رحمٍ لك ومريض بمرض الغفلة، كيف تعالجه من هذا المرض؟ أتقول: له تعالى يا فلان، أنت إن شاء الله ستنزل في طبقات جهنم الدانية ويقولون لك هناك: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحاقة) .. هل هذا الأسلوب يجعله يسير معك ويتعالج؟ سيقول لك: مالك ومالي يا أخي، وقد يعاديك!! .. فلذلك لا بد أن يعامله كمريض، يعامله كطفلٍ صغير، لأنه لو علم الحقيقة ما بعُد عن الله طرفة عين .. أما الذي أبعده عن حضرة الله هو أن أقول له: يا غافل يا جاهل مثل الطفل الصغير لا يعرف ما ينفعه وما يضره.

ماذا يحتاج الجاهل ؟ من يعلمه، وماذا يحتاج الغافل؟ من ينبههُ ولكن برفق وبلطف وبلين، النائم كيف توقظه؟ كما علَّمنا رسول الله ﷺ، تدق الباب أولاً ثم تفتحه قليلاً وتقول: لا إله إلا الله وتُكررها ثلاث مرات لأنه من الجائز وأنت توقظه تكون الروح سائحة ولا تستطيع الرجوع بسرعة فتخرج روحه على لا إله إلا الله، بعد ذلك تقول له: قم يا فلان: { إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ ١١٧}

الرفق واللين

كل من يجهل هذا الدين فهو سادرٌ في غيه مسكين، يحتاج إلى من ينبهه برفق ولين، يقيم الحجة لرب العالمين ﷻ، فأنت أديت ما عليك، فما بالك بإخوانك المسلمين المنصرفين عن طاعة رب العالمين .. كيف تأخذهم؟ بالهوادة وبالرفق وباللين، فما بالك بإخوانك المقربين .. ماذا تفعل معهم؟

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٨٨الحجر) عامل الناس كما يعاملهم رب الناس، هل ربنا يحاسب على العمل أولاً أم على النية؟ على النية، إذن إذا وجدت من بذل مجهوداً عظيماً من أجلك ويرى في ذهنه أنه يقدم لك عملاً طيباً،

١١٧ صحيح مسلم وسنن الترمذي وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها.

وأنت ترى أن هذا العمل ليس له فائدة، فلماذا تجرحه وتُسفهه وتُحطمه وتقول له: ما هذا الذي فعلته؟! وتجعله يندم على ما فعله .. هل هذا يليق بمؤمن شفيق؟! لا .. فماذا أفعل؟ نيته مادامت نية طيبة، تقول له: أحسنت ونيتك صادقة وكنت تريد عملاً عظيماً لكن كان يمكن أن يكون كذا، فعندما أثني عليه في البداية يسمع ويعي ولا ينصرف عني .. لكن عندما أبدأ على الفور وأحطمة، فأنا أحطم أخي، وأجرح كبرياءه، وأضع شقاً في صدره لا يلتئم أبداً، ولم يكن هكذا أصحاب رسول الله ﷺ.

قالوا لسيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: إن أخاك فلان وقع في المعصية، فماذا تفعل له؟ قال رضي الله عنه: (أرأيتم لو أن أخاً لكم وقع في بئرٍ ماذا كنتم فاعلين؟ قالوا: نأخذ بيده، قال: كذلك أخاك إذا وقع في الذنب يحتاج من يأخذ بيده).

وليس من يجعله يزيد في الغواية، فلو كلمته كلاماً جارحاً وشديد يزيد في العناد والغواية، والنفس عنادية وتكون أنت السبب في بُعده عن الله، والزيادة في هذه الغواية وهذه العماية، فنحن نحاسب الناس على النوايا والطوايا، والنوايا لا يعلمها إلا الله، فنحن لنا الظاهر والله عز وجل يتولى السرائر.

لو قلت لإبنتي: أريد أن أشرب، وذهبت وهي فرحة وأحضرت الكوب ومن شدة فرحها وهي تجرى وقع منها الكوب وانكسر .. هل أضربها؟ أم أقول لها هوني عليكي، هل كانت نيتها أن تكسرها؟ لا .. لكن إذا كسرته عمداً وتهوراً أحاسبها على ذلك.

إذن مادام أخوك أو صديقك لم يتعمَّد، وأنت لم تر فيه نية العمد، وأنت تتلمَّس لأخيك البراءة من العيب، فلا تمسك بالعيب إلا إذا كانت هناك أدلة شرعية ظاهرة، لكنك ترى أخاك مُعرضٌ عنك قليلاً فتقول: لماذا لا يكلمني؟ لماذا لا يلقى علىَّ السلام؟ وتبدأ تضع على هذا الموضوع ٥٠ تُهمة .. لماذا ؟! ألا يكون مشغولاً بهمٍ أو غمٍّ يجعله لا يراك ولا يرى أحوالك ولا يدرى بك، لأن الإنسان عند الغمّ أو الهمّ لا يشعر بمن حوله .. فالتمس له العُذر: (التمس لأخيك سبعين عُذراً فإن لم تجد له عُذراً من السبعين فقل العيب فيَّ وليس العيب في أخى).

فأنا أرى أن سِكّين إخواننا حادة وزائدة عن اللزوم، فتقطع الأواصل والعلاقات والمودة بالشدة التي فيها، هذه السكين تكون على النفس، اقسُ على نفسك !!، اجعل القسوة على الكافرين أو اجعلها على المشركين أو على اليهود .. لكن المؤمنين فلا:﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢٩الفتح).

وما العلاج؟ العلم، وتكون النصيحة بالطريقة الصحيحة .. المجالسة والمؤانسة مع الناس لنقربهم إلى الله ﷻ، وبالتدريج لكى تُسمع أذنه كلها، فلو كان يسمع للشيطان، أنا أجعله يسمع لحظة للشيطان ولحظة يسمع لنداء الرحمن، وأظلّ أجتهد معه إلى أن أطرد الشيطان ويكون سمعه بأذنه كلها لحضرة الرحمن .. فقط يحتاج إلى الرحمة والشفقة واللين.

لكن لا بد من الإقتراب من أهل الغفلة وأهل المعاصي لكى نقربهم إلى الله ﷻ .. فهم لا يحضرون إلى الجوامع ولا لدروس وعظ .. من المسئول عنهم ؟ نحن كلنا، من أين يسمعوا؟ لا بد وأن نذهب إليهم ولكن بالطريقة اللطيفة وباللين وبالهُدى الذي كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ، سأل رجلٌ رسول الله ﷺ وقال له

{ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ ﷺ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ }١١٨

يعني كن كما أنت ولا تتغير ولا تتبدّل، فربما يأتي عليهم يومٌ من الأيام يشعروا ويحسّوا بعملك وبقيمته ويرجعوا نادمين.

---

١١٨ صحيح مسلم وابن حبان ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ

منهج المخلصين

(طالب نفسك بما للناس عندك، ولا تطالب الناس بما لهم عليك)

يعني أنا عليَّ واجبات للناس، ولي عندهم حقوق، فمن يريد الراحة ماذا يفعل؟ يقوم بما عليه من الواجبات ولا يطالبهم بما له من حقوق، فمن يطالب بما له من حقوق يُتعب نفسه ويُتعب الناس ويظلّ في عماء وغمّ وكمدٍ على الدوام .. لكن أفعل ما عليَّ ولا أريد ما لي أستريح.

أخ مريض أزوره لله ولا أنتظر منه أن يرد لي الزيارة، ولذلك زارني أو لم يزرني فلا يشغلني، وآخر قريبٌ لي وعنده عُرس أشاركه ولا أنتظر أنه يرد إلى في عُرسٍ عندي، حضر أم لم يحضر فلا أريد منه شيئاً، ذهبت إلى بعض الجيران في مناسبة العيد، أذهب لله ولا انتظر منهم أن يأتوا إليّ.

فالذي أتعب الناس في كل زمان ومكان هو أني أريد أن يفعلوا معي ما أفعله معهم، وهذه هي مصيبتنا أنها تُسقط الأجر، لأنك ذهبت إليه وتريد منه أن يأتي إليك .. وهذه مقابل هذه، يعني لا يوجد أجر من الله، لكن عندما أذهب لله، وأشارك لله، وأذهب العُرس لله ... فالأجر من الله.

إذن لماذا أتعب نفسي وأتعب الناس معي؟! أنا ذهبت لفلان وهو مريض وصنعت كذا وكذا وعندما مرضت أرسلت له ولم يزرني! .. إذن زيارتي ليست لله.

لكن ما الذي يريح الإنسان؟ يقوم الإنسان بما عليه لخلق الله، ولا ينتظر - حتى بداخله - من الخلق أن يردوا ما عليهم له، أسقط حقه لأنه يعمل لله وليس لخلق الله، فالتعامل مع الله يكون في كل حركاته وكل سكناته:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ (الأنعام)

وهذه هي معاملات العارفين، لا ينتظر ردّاً ولا مقابلاً من خلق الله، لأن الخلق أعجز من أن يدفعوا أجر تسبيحة واحدة يسبحها المرء لله ﷻ.

فلو اجتمع أهل المشرق والمغرب هل يستطيعوا أن يُعطوا لأحد أجر تسبيحة واحدة لله ﷻ؟! أو يُعطوا أجر كلمة علم، أو أجر نصيحة، أو أجر خُطوة مشاها إليه لكى يجبر خاطره؟!

لا أحد يقدر أن يُعطي شيئاً لأحد، ونحن مساكين أضعنا الموضوع وانتظرنا أجوراً ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، لكن ما الأجر؟ مثل أنبياء الله:

﴿ يَـٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ۖ إِنۡ أَجۡرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (٥١هود)

الوصل الثامن عشر: مقام قيام الليل١١٩

{ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، وَعِنْدَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقٍ، فَرَفَعَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَلَكٌ قَدْ نَزَلَ لَمْ يَنْزِلْ إِلَى الأَرْضِ قَطُّ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ } ١٢٠وقال ﷺ:

{ الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ } ١٢١

وهذا هو ما نود أن ننتبه إليه، فقد قال رسول الله ﷺ موجها الحديث لنا ولمن قبلنا ومن بعدنا من أمته إلى يوم الدين، فيجب علينا أن نتأسى به ﷺ، ويكون لنا نصيب من قيام الليل، لأن قيام الليل يجعل الإنسان مع النبي ﷺ يوم القيامة، في روضات الجنان.

المقام المحمود

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾

(١٧٩الإسراء)

---

١١٩ نجع حسان الضبعية ٢٠١٢/١١/١٣م
١٢٠ صحيح مسلم وابن حبان وسنن النسائي عن عبد الله بن عباس ﷺ
١٢١ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ

إذن التهجد يوصل الإنسان للمقام العظيم، ويوصل رسول الله ﷺ إلى المقام المحمود، وهذا المقام الذي قال عنه سيدنا رسول الله عنه:

{ فَإِنَّهَا مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو } ١٢٢

فهذا مقام خاص بسيدنا رسول الله ﷺ، وهو مقام الشفاعة، ولكن لماذا سماه الله بالمقام المحمود؟ لأن الناس ستحمده وتشكره وتثني عليه، لأنه هو الذي سيخلصهم من ورطات وأهوال الموقف العظيم بشفاعته عند حضرة العظيم ﷻ.

فلحظة أن يحيينا الله ﷻ جميعاً بعد النفخ في الصور، ويركب الله ﷻ الأعضاء والأجسام، ويأمر بالنفخة الأخرى فتدخل الأرواح في الأجسام:

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٦٨الزمر)

ونتحرك لأرض النشور التي سينشر فيها صحفنا، وينشر فيها أعمالنا، وينشر فيها كل حركاتنا وسكناتنا التي قمنا بها في الحياة الدنيا استعداداً للعرض وللحساب، للعرض على الكريم ﷻ بعد أن يتجمع جميع الناس كلهم من آدم إلى آخر الدنيا!!

١٢٢ رَوَاهُ الإمَامُ أَحْمَدُ ، عَنِ الْمُقْرِئ

سيحدث هرج ومرج .... والناس ستضطرب مما تراه من علامات الساعة وأهوالها .... والجميع خائف، فمنهم من يخاف الحساب، ومنهم من يخاف جهنم، ومنهم من يخاف من الصراط، ومنهم من يخاف الميزان، أو من تناول كتابه فلا يدري إن كان بيمينه أو بشماله.

فالكل خائف ويطلبون بدء الحساب، فيذهبوا للأنبياء وأولهم سيدنا آدم، فيحيلهم إلى سيدنا إبراهيم، فيذهبوا لسيدنا إبراهيم، ويذهبوا لسيدنا موسى، ويذهبوا لسيدنا عيسى، وكل واحد منهم يحيله إلى من بعده، ثم يذهبوا إلى سيدنا رسول الله ﷺ، فيقول: أنا لها، أنا لها، لأن الله أعلى شأنه ورفع مقامه وجعل هذه المهمة من خصوصياته على جميع الأنبياء والمرسلين:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧الأنبياء) ، وهو رحمة للمؤمنين

والمسلمين: ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١٢٨التوبة).

فمتى وأين سيكون رحمة للعالمين؟ في الموقف العظيم، فسيرحمهم كلهم من أهوال العذاب، ومن شدة الموقف ومن كرباته، ويسجد بين يدى العرش وكما قال:

{ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ }١٢٣

وهناك أناس في هذا اليوم لا يشغلهم هذا كله لأنهم سيكونون مع رسول الله: أين هذا في كتاب الله: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨التحريم) ... فهؤلاء في هذا اليوم محصنون.

١٢٣ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن ابن ماجة عن أنس بن مالك ﷺ

فضل قيام الليل

لكن كيف أصبح هؤلاء المؤمنون معه ﷺ؟ فرض الله ﷻ على سيدنا رسول الله ﷺ وعلينا خمس صلوات في اليوم والليلة، لكن فرض الله على سيدنا رسول الله صلاة خاصة، ونزل التشريع فقال له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾(المزمل) صلاة الليل، أو صلاة التهجد، أوصلاة القيام كل هذا مسمى للصلاة التي فرضها الله على سيدنا رسول الله، وبيَّن له أيضا كيفيتها.

بِمَ تزيد هذه الصلاة عن الصلوات الأخرى؟ أنك تزيد فيها من تلاوة القرآن، ولذلك كان ﷺ في صلاة القيام يطيل من قراءة القرآن، فهذا سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان طفل صغير، وكانت خالته من أزواج رسول الله وهي السيدة ميمونة بنت الحارث، وتحيَّن الفرصة التي يبيت فيها سيدنا رسول الله عند خالته واستأذنها أن يبيت عندها في بيتها، والبيت كان حجرة واحدة أي أنه سيبيت مع سيدنا رسول الله في نفس المكان، لماذا وهو طفل صغير؟ ليرى كيف كان يصلي سيدنا رسول الله صلاة الليل فيصلى مثله.

قال: فقام ﷺ فتوضأ من وعاء قديم ثم قام إلى الصلاة، فقمت على أثره فتوضأت كوضوئه ثم وقفت على يساره، فأمسكني ﷺ ولِنت في يده وأوقفني على يمينه، قال: فابتدأ في الركعة الأولى فقرأ بالفاتحة ثم البقرة، فقلت: إنه سيصدق ثم يركع لكنه واصل، ثم قرأ آل عمران، ثم قرأ النساء حتى كدت أن أقع من طول الوقوف.

فالشاهد هنا أنه ﷺ ينفذ كلام الله، فما سمات صلاة الليل؟ تكون بتطويل القراءة، وكيف تكون هذه القراءة؟ تكون بترتيل وتنغم وتمعن وتدبر في كلام الله ﷻ، لأن هذا هو المنهج الذي وضعه الله ﷻ للحبيب ﷺ ومن تابعه على هذا الأمر.

إذن فالله ﷻ قد رغب رسول الله في القيام: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ (٧٩الإسراء) .. لينال به المقام المحمود،

ثم فرض عليه القيام، وماذا على من يرغب أن يكون مع رسول الله؟ .. جعل الله لهم مدخلاً في آخر سورة المزمل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ (٢٠المزمل).

إذن من يرغبون أن يكونوا معه ﷺ ماذا يفعلون؟ وعلام يحافظون؟ على قيام الليل، مع مراعاة ألا يؤثر قيام الليل على عمل النهار، حتى لا يظل شبابنا قائماً الليل كله ثم يذهب إلى العمل فينام على مكتبه أو يقضي النهار كله نائماً، فليس هذا هو الإسلام، فقد كان من جملة أوصاف أصحاب سيدنا رسول الله وذلك في الإنجيل: (أصحابه رهبان بالليل وليوث بالنهار) فهم في الليل كالرهبان في طاعة الله وعبادة الله، وفي النهار مثل الأسود في السعي على المعاش، وفي نشر دين الله، وفي عمل الخير، وفي عمل البر، وفي عمل المصالح لعباد الله.

لكن الإنسان الذي سيقوم الليل، ويقصر في العمل المكلف به بالنهار، فإن هذا قد أخطأ منهج النبي المختار صلوات ربي وتسليماته عليه، لذا يجب أن ننتبه لهذا، فماذا أصنع؟ خذ ما تيسر لك، لأن الله لم يكلف حبيبه ومصطفاه أن يقوم الليل كله: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٢المزمل) فأنت عندما تحيي الليل عليك أن تحيي ما تيسر لك من الليل.

ومن فضل الله ﷻ علينا أن قيام الليل ليس كما يظن البعض بأنه الجزء الأخير من الليل فقط، صحيح أن الجزء الأخير من الليل أفضل لمن يستطيع ذلك، متى نقوم الليل في رمضان؟ بعد صلاة العشاء مباشرة، لأن قيام الليل يبدأ مع الليل، وبعض السلف الصالح كان يبدأ قيام الليل من بعد صلاة المغرب، فيصلي بعد المغرب مباشرة ما تيسر له ناوياً به قيام الليل، لأنه من الليل.

تيسير القيام

وقيام الليل بالصلاة إذا كان غير مكلف بمصلحة أومنفعة أو مهمة للمسلمين والمسلمات، فإذا كان مكلفاً بمهمة تهم المسلمين، كأن يكون اثنين من جيرانه متخاصمين ولا يستطيع أن يجلس معهما إلا بالليل، فهل يجتمع بهما ليصلحهما أم يذهب ويتركهما ليصلي؟ مصلحة المسلمين مقدمة على قيام الليل، ومن فضل الله عليه تكتب له هذه الساعات وهذه الأوقات قيام لله ﷻ ما دام هو متعود على قيام الليل.

أو إذا جاءه أحد أقاربه مريضاً وطلب منه أن يذهب معه إلى المستشفى، فهل يقول له إني سأقوم الليل دعني أصلي وعندما أفرغ من صلاتي أذهب معك إلى المستشفى!! فهل هذا يصح؟! المقدم هنا الأعمال الخاصة بالمسلمين وتكتب له قيام ليل، ما دام هو متعود على قيام الليل، لكن غير المتعود على قيام الليل لا يكتب له قيام بل سيكتب له أجر وثواب، والذي يحافظ على صلاة العشاء والفجر في جماعة فقد قام الليل، وفي ذلك يقول ﷺ: { مَنْ صَلَّى صَلاةَ الْعِشَاءِ، وَالصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ، فَهُوَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ }.١٢٤

فإذا تأخرت عن الجماعة بأمر هام وقهري فعلي حين أصلي أن أقرأ آخر آيتين من سور البقرة، لماذا؟ لأن حضرة النبي ﷺ قال: {الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ }.١٢٥

ويكتب في ديوان قوام الليل في هذه الليلة، مع أنه لم يصلِّ إلا الفرائض، لأنه أخذ برخصة رسول الله ﷺ وقرأ الآيتين اللتين في آخر سورة البقرة.

---

١٢٤ مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه
١٢٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه

فضائل قيام الليل

نحن محتاجون جميعاً لنكون مع رسول الله في الدار الآخرة يوم القيامة، وتكون لنا درجة رفيعة لقوله ﷺ فيما رواه عبدالله بن سلام وأخرجه ابن ماجه فى سننه:

{ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ }

إذن المشهورين الذين سيجعلهم الله في طابور العرض الأول هم المبرزين في طاعة رب العالمين ﷻ، لأنه يحافظ على قيام الليل ناهيك، عما بشرنا به رسول الله ﷺ.

والعلم الحديث أثبت لنا ذلك، أن الذي يقوم الليل يرزقه الله صحة وعافية في بدنه قال ﷺ:

{ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ }[126]

فقد كان دأب الصالحين وعادتهم جميعاً كما قال الله في القرآن: (الذاريات)

﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

فلم يكونوا ينامون إلا ساعات قليلة في الليل ...

١٢٦ سنن الترمذي والبيهقي عن بلال بن رباح ﷺ

وعندما يأتي السحر يستغفرون من التقصير، لأنهم يرون أنفسهم قد قصَّروا، وأنهم لم يقوموا بما ينبغي عليهم من طاعة وعبادة لخالق الأكوان ومدبر الأمور وهو الله ﷻ، فيستغفرون من هذا التقصير ومن هذا القصور ...

وهذا وصفهم كما بيَّن القرآن، وكما بيَّن هديهم النبي العدنان ﷺ.

وصف الله المؤمنين وصفاً آخر، يبين أنهم مشغولين بالكلية بهذا العمل، ويحزنون لو فاتهم:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (١٦السجدة)

فعندما ينام الواحد منهم لا يستغرق في النوم أبداً، فلا يتلذذ بطول النوم بل ينام قلقاً، لماذا؟ لأنه يريد أن يقوم ينادي الحي القيوم، يريد أن يقوم ليتبتل بين يدي الله ليشكر الله على عطاياه، كما قال ﷺ عندما قالت له السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ ﷺ: يَا عَائِشَةُ أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا }١٢٧

يريد أن يشكر الله ﷻ على عطاياه، .. والليلة التي لا يقوم فيها الليل يظل حزيناً طوال النهار ... ولذلك قوام الليل لهم جمال لا يصل له أحد من أهل الدنيا بحال! ما جمالهم؟

---

١٢٧ الصحيحين البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد

الصالحون من خلال تجاربهم الحكيمة قالوا لنا:

من داوم على صلاة الليل جمَّل الله وجهه بالنهار.

فالسيدات اللاتي يردن أن تحلو وجوههن لدى الأزواج أو عند الخاطبين فعليهن بقيام الليل، فإنه يفعل ما لا تستطيع فعله بالماكياج وأدوات التجميل ...

هذا هو طريق سيدنا رسول الله الذي بيَّنه لنا صلوات ربي وتسليماته عليه.

الباب الخامس

منح الواصلين

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل التاسع عشر:

اكرامات الله ﷻ المعنوية للمؤمنين

🕊 أوهام المريدين 🕊 الكرامات الحسية 🕊 الكرامات المعنوية 🕊المكاشفات 🕊 طريق الكشف 🕊

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل العشرون:

بين الكشف الحسي والكشف المعنوي

🕊 ورثة الأنبياء 🕊 الورثة المحمديون 🕊 🕊 هم درجات عند الله 🕊

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الحادى والعشرون:علم حكمة الأحكام

العمل بالأحكام لإرضاء الحاكم

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الوصل الثانى والعشرون:

رموز العارفين

🕊 رمز الخمر عند أهل الوصل 🕊 كشف الحجاب 🕊 🕊 الشراب الأول: خمر العلم والبيان 🕊 🕊 الشراب الثاني: العلم الرباني 🕊الشراب الثالث: كاسات الأنوار 🕊 التجليات الإلهية 🕊

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الباب الخامس

منح الواصلين

الوصل التاسع عشر: إكرامات الله ﷻ المعنوية للمؤمنين[128]

أوهام المريدين

هناك أمور تجول بخواطر كثير من إخواننا السالكين، تجعل بعضهم يظن بنفسه ظن السوء، أنه على غير هُدى، أو يمشي على غير صواب، وبعضهم يظن بنفسه أن الطريق إلى القرب من حضرة الله ﷻ مسدود أمامه، وبعضهم يوجه السبب إلى شيخه بأنه لا يريد أن يأخذ بيده إلى فضل الله وفتح الله وإكرام الله جل في علاه، وبعضهم يظن أنه مُقصر في العبادات، وغير مجتهد في الطاعات، وعليه إن أراد أن يفتحوا له معاليم الإشارات، وأن يسروه بالمكاشفات أن يجتهد في الطاعات، ويزيد في النوافل والقربات ..... إلى غيرها، وكلها ظنون.

بينما هذا الأخ قد يكون مغموراً بفضل الله، تطغى وتتوالى عليه إكرامات الله، لكن لتُخبطه في الفهم، وسوء ظنه المملوء بالوهم يظن مثل هذه الظنون.

---

[128] المعادي – الخميس ٢١من صفر ١٤٣٤هـ ٣/١/٢٠١٣م

الكرامات الحسية

فإن الناس في الأزمنة الماضية كان جُل تعلقهم بالمحسوسات، ولا يعترفون ولا يُقرون بالإكرامات الإلهية إلا إذا كانت محسوسة وملموسة، كانوا يعدون الكرامة أن يمشي الإنسان على الماء، أو أن يطير الإنسان في الهواء، أو أن يعرف ما يُخبئه المرء في بيته .... مع أن هذا الذي ذكرناه وأمثاله يُسمى في عرف العارفين كرامات حسية.

والكرامات الحسية قد تكون للإكرام، وقد تكون للإستدراج والعياذ بالله ﷻ، والكرامات الحسية قد تحدث للمؤمن وقد تحدث لغير المؤمن، فقد تحدث لمن يخاوي جنياً، فيحمله على سطح الماء، ويُخيل للخلق أنه يمشي على الماء، أو يحمله ويطير في الهواء، ويُخيل لمن رآه أنه يطير في الهواء، أو يُنبئه بما يُخبأ في البيوت، وهذا أمر ليس بغريب على عمل الجن: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾ (٢٧الأعراف).

وقد تحدث هذه الإكرامات الحسية لمن هم على غير الملة الحنيفية إذا جاهدوا أنفسهم بمجاهدات فادحة في حياتهم الكونية، كما يحدث لبعض الرهبان في الأديرة، بل لبعض البوذيين الذين لا يؤمنون بالله ﷻ في ممارستهم لليوجا، فيصلون إلى المرحلة التي يسمونها عندهم (النرفانا) أى الفناء، ويحدث معهم أمور عجيبة، يظن الناس أنها إكرامات ولكنها استدراج من الله ﷻ لمن لم يؤمن بالله ﷻ ورسوله ﷺ.

صحيح أن هذه الإكرامات الحسية وقعت للحبيب ﷺ، لكن إكرام الله للحبيب في هذه الإكرامات كان تحدياً لهذه المعجزة للكافرين أو المشركين أو المعارضين، والمعجزة تكون تحديا لمن يعارض النبي، والكرامة ليست فيها تحد لأحد وإنما فيها تأييد من الله، ودليل من الله أن هذا العبد مؤيد من مولاه جل في علاه، فالفارق بين الكرامة والمعجزة أن المعجزة مقرونة بالتحدي، أما الكرامة فليس فيها تحد لأحد من خلق الله.

ناهيك عن أن الكرامة لا يطلبها ولي إذا كانت حسية، لكن تحدث للأولياء إذا ضاقت بهم الأمور، وادلهمت بهم الشئون، وأحاطت بهم الحيطات، فيلجأون إلى الله فتأتي تفريجاً من الله ﷻ، أو تأييداً من الله ﷻ في وقت الشدة الشديدة، ولا يلتفت إليها الولي من قبل ولا من بعد ولا يطلبها، فالولي لا يطلب الكرامة أبداً وإنما يطلب الإستقامة.

الكرامات المعنوية

أما إكرامات الله ﷻ للصالحين، وتأييد الله ﷻ لأهل الإستقامة من أتباع سيد الأولين والآخرين، فأنا أظن على قدر علمي أننا جميعاً – والحمد لله – بها مكرمين، لكننا لا ننظر.

والكرامة المعنوية هي الكرامة التي يعتني بها الصالحون، ويهتم بشأنها المقربون لأنها دليل العناية من الله ﷻ،

أولها الإستقامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ (٣٠فصلت) وقد قيل فيها: (الإستقامة خير من ألف كرامة) إذا رزقك الله الإستقامة، وحفظك الله ﷻ من الزلات التي يعقبها الحسرة والندامة فاعلم علم اليقين أنك بعين الله، وأن عين الله تراك، وأن عناية الله ﷻ لا تتخلى عنك، لأن أكبر عناية من الله بعباده أن يوفقهم لسلوك طريقه القويم ومنهجه المستقيم.

العصمة للأنبياء، والحفظ للأولياء، وقد قال ﷺ في شأن نفر من ورثة الأنبياء ونحن جميعاً منهم إن شاء الله:

{ إِنَّ مِنَ الْعِصْمَةِ أَنْ لا تَجِدَ } ١٢٩

ألا تجد عند الفكر في المعصية، أو الهم بالمعصية الدواعي التي تساعدك على هذه المعصية فتمتنع عن عملها، وهذا لعناية الله بك، ورعاية الله ﷻ لك، فلا قوة لنا على طاعته إلا بفضله ومعونته، ولا حول لنا عن معصيته إلا بحفظه ورعايته.

١٢٩ **المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة للسخاوي**

إذا أكرم الله ﷻ العبد بكرامة التوفيق، وهي كرامة عزيزة، ومن عزها لم يذكرها الله ﷻ في كتابه إلا مرة واحدة وعلى لسان نبي: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (٨٨هود)

يوفقك لفعل الخيرات، وعمل الطاعات، والإنفاق في الأوجه المباركات، والمسارعة إلى القرب من الله ﷻ بالأعمال الصالحات .... ماذا تبغي وراء ذلك؟.

لكن النفس تريد الشهرة، فتريده أن يطير في الهواء، أو يمشي على الماء حتى يقول الناس فلان ولي يصنع كذا وكذا، هذه شهرة ورياء وسمعة حفظك الله ﷻ منها، وجعلك فيمن يقول فيهم ﷺ: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ } ١٣٠

إذا أكرمك الله ﷻ وجعل قلبك سليم، ونزع منه الغل والحقد والحسد لجميع خلق الله فاعلم علم اليقين أنه لم يقمك في هذا المقام إلا لأنك من كُمَّل أولياء الله: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)

﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) ومن الذي مدحه مولاه وأثنى عليه بالقلب السليم؟ خليل الله: ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات) فأنت على قدم الخليل لأن قلبك سليم، ليس فيه غل ولا حقد ولا حسد لأحد من المؤمنين، لكن النفس تتعجل الظهور، والظهور يحط من قدرها عند حضرة الديهور ﷻ.

١٣٠ صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

إذا أكرمك الله ﷻ ورزقك خشيته، وأصبحت تخشى الله في السر والعلن، لا تراقب إلا الله، ولا تخشى إلا من الله، ولا تخاف إلا من عظمة الله وقدرة الله، فأنت من كُمَّل العلماء الذين مدحهم وأثنى عليهم الله: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ ﴾ (٢٨فاطر)

ليس العلماء الذين لهم ألسنة فصيحة، وكلمات هيئتها كذا، وخُطَب موقعها كذا، ومؤلفات صفتها كذا .... لكن العلماء هم الذين في قلوبهم خشية الله وتقواه.

إذا أكرمك الله ﷻ ووجدت ميلاً في قلبك بالكلية للحضرة المحمدية، أو زهداً في دار الدنيا الدنية، أو همة عالية في الإقتداء بالصحابة الهادين المهديين، أو رغبة شديدة في مصاحبة الوارثين العارفين ..... كل هذه وأمثالها وأشباهها إكرامات من الله ﷻ، لكنها إكرامات للأفراد الكُمَّل الذين يجعلهم الله ﷻ فيما بينه وبينهم، ويقول فيهم كما ورد في الأثر:

{ أوليائي تحت قبائي لا يعلمهم أحد غيري }

لأن هذا حفظ لهم من فتنة الخلق، ومن فتن الدنيا، ومن حب الظهور، وكم كان يود ذلك كُمَّل الصالحين، لأن الخلق فتنة، يقول مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ:

وإذا رأيـــت الخلـق مقبلـــة   فلا تركن ركون مقرب من نار
فالخلق فتنة من أردت صدوده   وشهود أهل البعد في الأدوار

ثم يتحدث عن العلماء العاملين وكُمَّل الصالحين:

وإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم قاموا بحول منـــه لا بفخــار

يدعون والرهبوت ملء قلوبهم بالهَدْى هَدْى المصطفى المختار

يدعون الخلق ويرون أنهم يمشون على طريق أدق من الشعر وأحدُّ من السيف، لأن الخلق فتنة، تميل إليهم النفس وتركن إليهم، فيحب أن يسمع ثنائهم، ويتلذذ بمدحهم، وتُسر النفس بعطائهم وزياراتهم، ويحدث للإنسان زهوا إذا اهتموا به وقاموا عندما يرونه، أو عظموه أو وقروه ... وكل هذا فتنة للنفس، والنفس كما قال إمامنا أبو العزائم ﷺ: (لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كُمَّل العارفين إلا مع خروج النَفَس الأخير) طالما الإنسان يتنفس في دنياه فلا بد أن يستحضر دائماً وأبداً عظمة الله، وجبروت حضرة الله حتى تظل النفس واقعة تحت طائل خشية الله جل في علاه.

إذا أكرمك الله ﷻ وجعل قلبك موضعاً لزينته، فزينك بما يزين به أهل حضرته، زين القلب بالخشوع، أو زين القلب بالحضور، أو زين القلب بالخوف والخشية من حضرته، أو زين القلب بالإخلاص له في النوايا، ماذا تبغي وراء ذلك؟ والله ﷻ يقول في واحدة منها على سبيل المثال:

{ الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي أَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي } ١٣١

فكونه يُزين قلبك بالإخلاص فأنت من الخواص، وأنت محبوب لحضرة الله، ماذا تبغي بعد ذلك؟! دخلت في قول الله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (٥٤المائدة) هل تريد شيئاً وراء ذلك من الأمور التي يشترك فيها مع المؤمن الساحر والكاهن والبوذي والنصراني والمجوسي وغيره؟!!.

لكن تراكمات العصور المظلمة جعلت هذه الأفكار تعشش في أفكار المريدين ،حتى أنهم مهما تخبرهم، ومهما تحدثهم تظل عقيدتهم أنهم لا يكونوا صالحين إلا إذا ظهرت الكرامات الحسية على أيديهم، ولو حتى كانت استدراج، وهذا ليس من الفطنة ولا من الحكمة ولا من المنهج الكريم الذي كان عليه نبينا ﷺ وصحابته الكرام.

١٣١ أحاديث مسلسلات وأحاديث مقتبسة عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

المكاشفات

وسأتحدث عن كرامة يعدها الناس أم الكرامات، ويستعدون لها بكل الإستعدادات، ويستعدون ببذل كل نَفَس ونفيس في سبيل الوصول إليها، ما هذه الكرامة؟ يقول أحدهم: أريد أن أنال المكاشفة، وأنال مقام الكشف، وأصير من أهل المكاشفات، ونحن نقرر كما قرر أئمة الصالحين كسيدي محى الدين بن العربي، وسيدي أبو الحسن الشاذلي، وسيدي أبو العزائم، وغيرهم من كُمَّل الأولياء والصالحين أن الكشف نور من الله يتجلى في القلب بعد صفاءه ونقاءه، فيكشف للإنسان.

ماذا يكشف له؟ إذا كان من المُستدرجين سيكشف له العورات، وهل يرضى مسلم أو مؤمن أن يطلع على عورات الخلق؟!! أو يطلع على عورات حتى إخوانه!! ليس عنده وقت لهذا الكلام، لكن المؤمن التقي النقي المتابع للحبيب الصفي الوفي ليس له هدف في أوله أو في ختامه إلا مولاه، ولا يرجو من الله إلا ما يزيد قربه من الله، وينال به رضا مولاه جل في علاه، وهذا هدفه وغايته، وهذا حاله الدائم في كل أموره مع الله عَزَّ وَجَلَّ.

الذي يريد القرب من مولاه، وليس له هم إلا رضاه، ما الكشف النافع له؟ أن يكشف الله ﷻ له عن عيوب نفسه، ليقوم بإصلاحها، أو يكشف الله ﷻ له عن أحوال أهل الإستقامة ليقوم بها، ويعمل بعمل أهلها، أو يكشف الله ﷻ له عن مراده في كلامه، كلنا نقرأ القرآن، وقد نقرأ تفاسير للقرآن ولكنها آراء ووجهات نظر للخلق في القرآن، لذلك أعجب لمن يتعصب لرأى مُفسر مع أنه وجهة نظر!! والذي أعطاه أعطى غيره، وهل الحبيب ﷺ أمرنا وخص لنا مفسراً معيناً؟ كنا لن نختلف، بل إنه عندما أراد أن يُفسر قال له ربه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (١٩القيامة) لماذا؟ لأن كل بيان على حسب

العصر، وعلى حسب الإنسان، ومراده ونيته وقلبه مع حضرة الرحمن ﷻ، وعطاء الله ﷻ يسع الأولين والآخرين، بل كلهم جميعاً لا يساووا خردلة أو ذرة في بعض علوم رب العالمين سبحانه وتعالى.

فليس الشأن أن تفقه كلام المئولين والمفسرين في القرآن ولكن الشأن أن يُلهمك الله ﷻ مراده منك في القرآن، ماذا يريده منك في هذه الآية لتكون من أهل العناية؟ ماذا يريده منك في هذه السورة لتكون من الأولياء الصالحين الذين خصهم الله ﷻ بجمالات وكمالات هذه السورة؟ فالكشف هنا – وهو أعلاه – أن يُلهم الله ﷻ العبد بمراد الله في آيات الله، أو بمراد حبيب الله ومصطفاه في أحاديث الحبيب المصطفى التي أجراها الله على لسانه في هذه الحياة.

ومراد الله ﷻ لك غير مراد الله ﷻ لي، فإياك أن تتعصب وتظن أن الذي كاشفك به الله هو الصحيح وما عاداه الخطأ، أو أنك وحدك المكاشف بمعاني كتاب الله، أنت مُكاشف بما يخصك، وكل من وصل إلى هذا المقام كاشفه ربه ﷻ بما يخصه وما يليق به وما ينبغي له لينال فضل الله وإكرام الله وعطاء الله جل في علاه، وهذا أعلى الكشف.

ولذلك أتذكر في هذا المقام أني كنت كذلك، بسماعي قصص الصالحين، وقراءة ما كُتب عن العارفين، فكنت متعلقاً بالكشف الحسي، لكن شيخي الشيخ محمد علي سلامة رحمة الله ورضوانه عليه قال: (يا بُني أعلى الكشف الكشف العلمي) أن يكاشف الله ﷻ العبد بمراده في كلامه، فينطق عن الله، وهذا في قول الله: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) هذا المقام الكريم والذى أرسل الله ﷻ لصاحبه الكليم.

فأعلى مقامات الكشف في هذا المقام بعد أن يُكاشف الله ﷻ العبد بذنوبه وعيوبه، بعيوبه فيداويها، وبذنوبه فيتوب إلى الله ﷻ منها، يكاشفه بالمنهاج القويم، والصراط المستقيم الذي يسلك عليه ليصل إلى مراد الله، ولله طرائق بعدد أنفاس الخلائق، وإياك أن تظن أن ما وضح لك من طريق هو طريق أهل التحقيق، وما سواه فهو غريق!! هذا على قدرك، لكن لله طرائق ليس بعدد الخلائق ولكن بعدد أنفاس الخلائق.

فتح لك الباب لكن الله ﷻ ليس على بابه حُجَّاب، وجعل لكل رجل من العارفين والصالحين ما لا يُعد ولا يُحد من الأبواب التي يدخل منها إلى عطاء حضرة الوهاب ﷻ، أبواب لا عدَّ لها ولا حد لها، ولو ذكرناها عداً لجلسنا في مجلسنا هذا شهور وما استطعنا سردها كلها، تحتاج إلى معاملة روحانية صرفة.

هذا الكشف لكى يناله الإنسان لا بد أن يرتفع عن قلبه الرَيْن أو الغَيْن أو الغمام، ونحن كلنا - والحمد لله - لا يوجد فينا أحد على قلبه رَيْن، لأن الرين للكافرين: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين) والرين هو الغطاء الشديد الذي طُبع:

﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧التوبة)

والغَين يكون للأنبياء والمرسلين، ولذلك قال فيه حبيبي ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ } ١٣٢

١٣٢ صحيح مسلم وسنن أبي داود ومسند الإمام أحمد عن الأغر المزني ﷺ

وبين الغَين والعَين نقطة، إذا رُفعت النقطة من الغين صارت عين فتقع العين على العين، وحتى لا يجول بخواطركم أن الغين هنا يشابه ما عندنا قال حبيبي ﷺ لسيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما توقف عند هذا الحديث وجاء له في منامه: (غَيْن الأنوار لا غَيْن الأغيار يا مبارك).

الغين عندنا هو الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء والمال والأولاد والوظيفة، لكن هذا ليس عند رسول الله ﷺ، لكن الغين عنده هو الأنوار، فكلما ارتقى في مقامات القرب من الله رأى أن الذي كان فيه كان غَيناً لأنه صار أقرب إلى مولاه جل وعلا، فيستغفر الله ﷻ مما كان فيه.

أما الغمام فيكون لنا، هل الغمام يحجب ضوء الشمس على الدوام؟ لا، يحجب ضوء الشمس إلى وقت معلوم، فإذا مر الغمام انقشع الظلام، وأشرق القلب بالنور التام، وكان فيه الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

قلوبنا جميعاً أهل الإيمان يُشرق فيها نور الحبيب ﷺ، لكن فينا من يكون عنده شيء من الغمام، فإذا انجلى الغمام فأنت في المواجهات العلية مع الحبيب المصطفى على الدوام:

شمـــس الحبيـــب التهامــــي   تمحـــو جميـــع الظـــلام

تمحو كل شيء في قلب الإنسان وتؤهله إلى حضرة الرحمن ﷻ.

طريق الكشف

ما السبيل إلى الوصول إلى مقام الكشف العالي الذي نريد أن نكون فيه؟ هذا المقام هو: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَٰهُمْ ﴾ (٤٦الأعراف).

أول شيء في هذا الأمر – وجاء والحمد لله – ميزة مدرستنا المحمدية عن غيرها، وهو العلم: لا بد قبل العمل من العلم، لأن الإنسان إذا بدأ العمل ولم يتعلم لا يُؤْمَن عليه الخطأ والزلل، قد يغلب عليه عالم الوهم فيُصور له أنه من أهل الكرامات وأنه من أهل الدرجات وهو في سُفل السافلين، تضحك عليه الشياطين مناماً وتُصور له أنه من أهل عليين، ويرينه في المنام أنه في الجنة العالية بينما هو في سجين مسجون، والذي يُخرج الإنسان من كل هذه الأشياء العلم.

قد يرى الإنسان أشياء بعينيه ظاهرة ويظن أنها كشوف باهرة مع أنها في الحقيقة تقوم بها الجان ليُبعدوه عن طريق الرحمن ﷻ، سيدي عبد القادر الجيلاني ﵁ دخل خلوته ذات مرة فرأى نوراً من السماء إلى الأرض، وسمع النور يقول: عبدي عبد القادر، قال: لبيك سيدي، قال: أبحت لك المحرمات، قال: اخسأ يا ملعون، فوجد النور وقد تحول إلى دخان، وقال: كيف عرفتني يا عبد القادر؟ قال: إن الله لم يُحرم شيئاً على لسان نبي ثم يُبيحه لولي!! قال: نجوت مني يا عبد القادر بعلمك وفقهك ولقد خرَّجت قبلك سبعين رجلاً من العارفين بهذه الطريقة!!.

إذن نحن نحتاج أولاً للعلم، ولكن ليس من أهل البيان بل من أهل العيان، لأنهم مشوا في الطريق، تريد رجلاً يصف لك الطريق، وإذا أردت وصفاً دقيقاً فلا بد أن تذهب لرجل قد قام بقطع هذا الطريق ومشى فيه وعرف دروبه، كالإمام الجنيد ﷺ، ذهب إليه أحد مريديه وقال: يا سيدي رأيت أني وأنت في الجنة، فرأى أن هذا المريد سيسكن إلى هذا وقد يتوقف عن العمل المرضي الموصل إلى رضوان الله، فقال: يا هذا أما رأى الشيطان أحد يسخر به غيري وغيرك، أى لا تتوقف عند هذه الرؤيا واستمر.

وانقطع عنه مريد فسألهم عنه، فذهبوا إليه وسألوه لِمَ انقطعت عن الشيخ؟ فقال: لا حاجة لي بالشيخ، أنا يأتيني كل يوم قوم فيأخذوني ويذهبوا بي إلى الجنة لنذكر الله، فقال الشيخ ﷺ: قولوا له إذا جاءك هؤلاء القوم وذهبوا بك إلى حيث يذكرون وبدأوا في الذكر فقل: (لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم) فأخذوه وذهبوا إلى الموضع الذي يذكرون فيه معه، ووسط الذكر قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ففوجيء بالضرب ينهال عليه من كل واد حتى أُغمي عليه من شدة الضرب، ونام ولم يستيقظ إلا بعد أن لسعته الشمس بعد سطوعها في الصباح بساعة، فوجد نفسه على مزبلة بغداد، فعرف أن هؤلاء قوم من الشياطين يقطعونه عن شيخه حتى يقطعونه عن رب العالمين ﷻ.

فإن الإنسان طالما كان في حضن شيخه ويستحضر دوماً في كل أحواله صورة شيخه فهو في أمان، ولذلك قيل في الحكمة: (الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم) قال شيخي مولانا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ: هذا يا بُني لمن ليس في حضن الشيخ، أما من كان في حضن الشيخ فليس في هذا الخطر: ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (١٠١آل عمران) لأنه سيُخرجه في الوقت المناسب، ولن يتركه أبداً لسطوة الشيطان، أو لسيطرة إنس أو جان، لأنه توكل به وتعهد به حتى يوصله إلى حضرة الرحمن، وإلى نور النبي العدنان ﷺ.

ونادانـــي أيا مــاضي تهنـــى فأنت ومن يُحبــك في أمـــان
فأهل طريقنــا في حصــن طــه لقد بُـشرت لمـــا أن دعانـــي

إذن لا بد من العلم أولاً، ولذلك نركز عليه، كيف يدخل الشيطان للإنسان؟ يدخل الشيطان للإنسان من الباب الذي يجهله الإنسان، وليس له فيه علم، فكلما اتسعت مداركك علمك كلما لا يجد الشيطان إليك سبيلاً، لأنك ستسد أمامه كل الأبواب، ولكن أى علم؟

هو العلم لا يُجلى بغير الحقائق   وعلم بكشف فيه قرب لخالقي
وما العلم إلا ما يُعلمه العلي   وآى "يعلمكم" دليل لصادق
وما العلم والأعمال من غير خشية   سوى آلة صمـاء سُؤل المنافق
وفي أول الرحمـن نـور لمهتـد   به علّم القرآن جـذب الموفـق

هذا هو العلم الذي يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

عني اعقلوا ما تسمعون من الكلام   فالعلم بالرحمن من صافي المدام
خذ ما صفا لك من إشارة عارف   فالعارفون كلامهم يشفي السقام

ثم بعد العلم لا بد أن أخلي القلب من كل ما سوى الله ﷻ، من مال، وولد، وشهوات، وحظوظ، وأهواء، ورياسات، ورغبة في الكرامات، ورغبة في المكاشفات، ورغبة حتى في العلو في رفيع الدرجات .... كل ذلك ينفضه الإنسان من داخل القلب ويجعل القلب لله ﷻ:

إذا خلا القلب من وهم وشبهات   يشاهد الغيب مسـروداً بآيـات

بعد أن يخلو القلب من كل هذه الأشياء أحرص وأحافظ على ألا يكون القلب إلا لله، فكثير منا لا يستطيع أن يحافظ على ذلك فيُرد القهقرى من أجل ذلك، لكن لا بد أن نحافظ ألا يكون القلب إلا لله، والدنيا من مال وأهل وولد نجعلها في أيدينا، ونكون فيها كما أمر نبينا، لكن لا تتعلق القلوب إلا بجمال الحبيب المحبوب وحضرة علام الغيوب ﷻ، وهل في الدنيا جمال، وهل في الدنيا كمال يستطيع المرء أن يوجه إليه القلب وينظر إليه؟! أين هو ذلك؟! كلها مظاهر فانية، وشهوات دانية، وليس هناك فيها أى حنان أو عطف أو شفقة للقلب الذي هو من نور الله جل في علاه.

إذن أحافظ على القلب حتى لا يحل فيه غير الله جل وعلا، فيكون الهم كله لله، والنوايا كلها لله، والعمل كله لله، والأحوال كلها لله، والحركات والسكنات كلها لله، والقيام والقعود والنوم والصحو كله لله، وأقول كما قال لله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ إنا بكل أعضائي، وبكل جوارحي، وبكل حقائقي، وبكل مالي، وبكل أولادي، وبكل أحوالي لله: ﴿ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١٥٦البقرة) نرجع إلى الله ﷻ.

إذا حافظت على هذا المنوال، وأصبح القلب خالصاً لله جل في علاه أستعين بذكر الله، ولا يصح الذكر لأهل القرب إلا إذا كان بالقلب، ذكر اللسان حسنات تحصل على أجرها في الجنان، أما ذكر القلب فبعد إمساك اللسان يستحضر الإنسان في قلبه حضرة الله جل وعلا، ويذكره بقوله ﷻ (الله)، فإذا ذكر القلب سكنت الجوارح.

ولذلك سيدي أحمد البدوي ﷺ كان يقول عنه تلميذه النجيب سيدي عبد العال: (صحبت سيدي أحمد البدوي أربعين عاماً فما رأيته غفل عن ذكر الله تعالى طرفة عين) وكان يقول: (ذكر اللسان شقشقة) ما فائدة الذكر إذا قلت باللسان (الله) والقلب في الدنيا أو في الأهواء أو في المشاكل أو في المشاغل؟!! قال ﷺ:

{ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ }١٣٣

لكن لا بد أن ينطق القلب بالله في مواجهة الله جل في علاه:

لساني يقول الله قولاً صادقاً والقلب يشهد والجميل أمامي

ذكر شهود، وهو ذكر القلب، وهو بداية التعرف على الله، والمكاشفات الإلهية من حضرة الله، فإذا واظب المرء على هذا الذكر يتم الصفاء، ويتم النقاء، ويُفاض على القلب عظيم النور، وجمال الضياء، وجميل البهاء من حضرة الله ﷻ.

لكن على العبد أن يفعل ما ذكرناه ولا يطلب، ولا يسأل من حضرة الله، لأنه لا يعلم ما يُصلحه، ولا ما هو النافع له، وإنما يفعل ما ذكرناه، ويذكر بالقلب بعد تفريغ القلب لحضرة الله، ويكون بذلك متعرضاً لفضل الله، يُعطيه الله ﷻ ما يناسبه، ويتفضل عليه من العطايا الإلهية بما يلائمة، لأن هذه عطايا إلهية ليس لها أثمان نستطيع دفعها أو تقديمها في حياتنا الدنيوية: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (٥٤المائدة)

---

١٣٣ سنن الترمذي والمستدرك عن أبي هريرة ﷺ

اختصاص بالرحمة الإلهية: ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٧٤آل عمران).فكل ما على العبد أن يتعرض بما ذكرناه من خطوات مباركات:

إذا تعـــــرض عبـــــدي	لنيـــل فضلـــي تحـلـــــى
بحلـــة الحسنـــى منـــــي	وبالشهـــــود تمـلــــــــى
يـــــراه كـــل قلـــــب	مطهـــر لــــي صـلـــــى
يـــــراه أهـــــــل ودادي	نـــور الهُـــدى يتـــــدلى
يُحبــــه كـــل خلقــــــي	والحـــب منــــــي قبــــلا

إذا تعرض العبد فإن الله ﷻ كريم لا يرد عبده صفراً من عطاءه، بل يتفضل عليه بنوره وجماله وبهاءه، ويُجمله بجمال أولياءه على أن يكون كاتماً للسر، حافظاً للوداد، لا يبيح بشيء من ذلك إلا لأهل القرب والوداد، بحسب ما يليح له حضرة الجواد ﷻ، لأنه ماتت نفسه فلا يريد فخراً، ولا يبغي رياءاً، ولا يطلب شهرة، ولا يسعى إلى سمعة، وإنما هَمَّه في كل أحواله أن يكون بين يدى الله يتمتع بالمناجاة، ويسعد بوجه الله.

الوصل العشرون: بين الكشف الحسِّي والكشف المعنوي[134]

ورثة الأنبياء

جعل الله ﷻ أصحاب رسول الله ﷺ على قدم الأنبياء والمرسلين السابقين، فكل صحابي على قدم نبي أو رسول، أى يتبعه في مشربه، ويسير على منهجه، وينال بعضاً من إكرامه، ويحفه بعض عطايا الله ﷻ التي تفضَّل بها على هذا النبي على قدر زمانه وقدر حاله وعصره وأوانه، وبعد ذلك استمر هذا الأمر إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، فكل نبي له على قدمه ولي، كلما انتقل إلى جوار الله ولي رشح الحبيب المختار ﷺ على هذا القدم وهذه الرتبة ولي، فرُتب الأنبياء والمرسلين موجودة في الكون إلى يوم الدين.

قد يزيد عدد الورثة في مقام نبي من الأنبياء، فنجد سيدي محي الدين بن العربي يقول في هذا الباب: (لا تخلو الأرض من مائة ألف على قدم عيسى عليه السلام) كالمجاذيب الذين كنا نراهم إلى وقت قريب، منهم من يمشي حافياً، أو عارياً، ومنهم من ترك الدنيا ويعيش في كهف في صحراء، وغير ذلك،

---

١٣٤ المعادي – الخميس ٢١من صفر ١٤٣٤هـ ٣/١/٢٠١٣م

ولا شأن لهم بالأكل ولا الشرب، هائمين في ملكوت رب العالمين ﷻ، وهؤلاء يكون لهم مجاهدات فادحات، منهم من يصوم الأيام طويلة العدد، ومنهم من لا ينام الليل، ومنهم من لا يأكل إلا ما يسد الرمق فتصفوا أفئدتهم وتنطلق أعين بصائرهم، فيظهر لهم المكاشفات الحسية التي ورثوها عن الحضرة العيسوية: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ (٤٩آل عمران) وهؤلاء دائماً وأبداً يلفتون نظر الخلق، والناس تحب أن ترى هذه المظاهر، وتتمنى النفس قبل صفاءها وتزكيتها أن يكون لها هذا المرام.

الورثة المحمديون

أما الحضرة المحمدية، حضرة نبينا ﷺ، فقد أوتي كل ما أوتيه النبيون والمرسلون السابقون من الكرامات الحسية، وزاد على ذلك بالإكرامات المعنوية، ولذلك كانت معجزته الخاصة البيان والقرآن: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٤٤النحل) فورثة الحبيب ﷺ هم أهل العيان الذين تلقوا من حضرته ﷺ ومن الله أنوار هذا البيان، وهذه علامتهم، وهي الكرامة الأعظم لأنهم على قدم الحبيب المصطفى ﷺ.

قد تظهر منهم الكرامات المحسوسة لكنهم لا يلتفتون إليها، ولا يهشون بها، ولا يفرحون بسماعها، ولا يحاولون أن يثيروا انتباه أحد بها، لأنهم مشغولون بالكلية بحضرة الله وليس بملكوت الله، والمشغول بالله لا ينبغي أن يلتفت إلى سواه طرفة عين ولا أقل.

فرُّوا إلى الله من الأكوان الظاهرة والباطنة والدنيا والآخرة والأحوال والأموال والعلوم والأسرار والأنوار ولا يريدون إلا وجه الله ﷻ في كل الأحوال، فهؤلاء ورثة الحبيب المختار سيدنا رسول الله ﷺ، وهؤلاء نسميهم ورثة رسول الله، أو على قدم رسول الله: ﴿ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢يونس) أو نواب حضرة رسول الله، قل ما شئت،

فهذه كلها تُعبر عن حقيقتهم، وعن فضل الله ﷻ الذي عمَّهم به ببركة إتباعهم للحبيب ﷺ وسيرهم على آثاره.

هم درجات عند الله

كلما ارتفعت الرُتب قلَّ العدد وزاد المدد، في الجيش العساكر أكثر أم اللواءات؟ العساكر، لأنه كلما ارتقينا في الرُتب يكون العدد أقل، وكذلك الحال هنا، مائة ألف على قدم عيسى، والذين على قدم إبراهيم الخليل قال فيهم رسول الله ﷺ:

{ لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَبِهِمْ يُسْقَوْنَ، وَبِهِمْ يُنْصَرُونَ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلا أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ آخَرَ } ١٣٥

أما الذين على قدم الحبيب ﷺ فالواحد بعد الواحد، وهؤلاء يسمونهم الأفراد.

الذين في الرتبة العيسوية ما سرهم؟ يتفضل عليهم حضرة الله ﷻ بكلمة (كن) أى كن فيكون: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (٣٤الزمر) كل الذي يطلبوه ينالوه، وهم

مؤيدون ومحفوظون فلا يطلبون إلا ما يُرضي الله، ولا يرغبون إلا فيما يُقرب إلى حضرة الله جل في علاه، حتى تعرف الفرق بينهم وبين غيرهم ،إذا رأيت من يستخدم هذا الكشف في فضح الخلائق، وفي إثارة البلابل، وفي إضرار البشر .... فاعلم أن هذا من أهل سقر وليس من أتباع الأنبياء والمرسلين السابقين، فقد يكون معه جِني، أو نفسه خبيثة ووصل بجهاد نفسه إلى هذه المرحلة كالبوذيين وغيرهم، لكن لا يوجد رجل من عباد الله المقربين تتلهف روحه إلا على هداية الخلق إلى رب العالمين، ولا يسعى أحد منهم إلى إضرار أحد من الخلق:

١٣٥ رواه الطبراني عن أنس ﷺ

مَن كان منهم يرأهم ويودهم ويفوز منهم بالصفـــا ويوالـــي

والورثة المحمديون كالحبيب ﷺ، عرض عليه جميع المقامات فرفضها: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم) وهم على هذه الشاكلة، ومن جملة ما أعطاهم الله (كن) فتركوها وراء ظهورهم لأنهم لا يريدون إلا وجه محبوبهم، حتى الجنة لا يريدونها لنعمها ونعيمها إلا إذا كان سيتجلى لهم فيها وجه الله جل في علاه:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حسنها بالزهد همتهم
لا كفء لله تــــراه بصيرتهم أحد تعــالى تعلمــه سريرتهم
تركوا المراتب خلفهم لفناءهـم بالوجه عن عمل وعن أنساب

ولذلك يقول إمام من أئمتهم وهو إمامنا أبو العزائم ﷺ:

(كن) جُزتها كان المراد لرتبتي والعين مقصودي وياء إمامي

وقال لأحد تلاميذه: (كن جاوزنها يا فتى) وقال أيضاً:

لا تقف عند العلوم وسرها		واطلب المعلوم منه به أخَى
لا تقـف عنـد المحبــة إنها		حجبة العشاق عن غيب بهي

إياك أن تقف عند أى شيء إلا عند وجه مُكون الأكوان ﷻ، لأنك إذا وقفت حُجبت، ونحن لا نريد حجاباً، ولكن نريد أن نكون من أولي الألباب الذين كشف الله ﷻ عنهم كل حجاب، وهؤلاء لا بد أن لا تتغير نيتهم ولا تتحول لأنهم يقصدون الله ولا يبغون سواه طرفة عين ولا أقل، وجعلوا الأمور كلها لله، وقالوا كما قال الله على لسان حبيبه ومصطفاه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٣الأنعام).

ففارق بين من يعمل بـ (كن)، ومن جعل (كن) وراء ظهره، فهذه رتبة وهذه رتبة، حتى نعرف الفارق بين الرتبتين، بين الكشف الحسي والكشف المعنوي، الكشف الحسي سيقول لي صاحبه: فعلت بالأمس كذا، وماذا أفعل بذلك؟! هل سيزيدني شيء؟!! لكن الكشف المعنوي يقول لي صاحبه: طريقك كذا، وسبيلك كذا، وعقبتك الكؤود كذا، والذي أوقفك عن السير إلى الله كذا، والذي يقطع بك كل المحطات ويوقفك بين يدى الله في كل الأوقات هو كذا:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١٤فاطر)، وهذا هو الخبير القرآني الذي أحتاجه، خبير بمداواة النفوس، وخبير بأمراض القلوب، وخبير بمحطات الغيوب، وخبير بما يوصل إلى جمال الله ﷻ الموهوب، وخبير بالقرب من حضرة علام الغيوب، وهذا هو الرجل القرآني الذي أمرنا الله أن نبحث عنه وقال لنا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل).

الوصل الحادى والعشرون: علم حكمة الأحكام١٣٦

العمل بالأحكام لإرضاء الحاكم

أمرنا الله ﷻ بأوامر في شرعه المطهر، وطلب منا أن نحافظ عليها وأن نؤديها كما وصف المولى ﷻ آدائها، وكيفية المحافظة عليها في كتاب الله ﷻ، والمؤمن إذا واظب على العمل بهذه الأوامر الشرعية - وخاصة الفرائض العبادية من صلاة وصيام وزكاة وحج إن استطاع – يرفع الله شأنه، ويزيد الله ﷻ عنده قدره، ويصبح عند الله ﷻ بمكان يُشار إليه بالبنان حتى من حملة العرش وملائكة السموات العلى.

متي يعلم العبد بأن الله رفع قدره وأعلى شأنه وثبته على أول الطريق ليكون من عباد الله المقربين ومن أولياء الله الصالحين ومن أهل الفتح الأعظم في طريق رب العالمين ﷻ؟ وضع لهذا الأمر الآمر ﷻ محكاً ربانياً ونوراً قلبياً يعلم به العبد وغيره أنه ارتقى من عالم الشريعة إلى أنوار وأضواء عالم الحقيقة، أنت في الأعمال الشرعية مع الأحكام، ولكن العاقل يعمل بالأحكام طلباً للحاكم ﷻ، أنت تعمل بأحكام الشرع وتطلب بها وبالعمل بها رضاء الحاكم ﷻ الذي أنزل هذا الشرع.

---

١٣٦ المعادي – الخميس ٨ من ذو القعدة ١٤٣٢هـ ٦/١٠/٢٠١١م

على سبيل المثال، هل نحن نصلي للصلاة أم لنيل رضاء الله بهذه الصلاة؟! نصلي لنيل رضاء الله، إذن الصلاة لله، وهل نصوم من أجل الصيام رغم ما فيه من منافع لا تعد للقلب وللجسم ولغيره أم نصوم من أجل إرضاء من فرض هذا الصيام؟! نصوم من أجل إرضاء من فرض علينا الصيام وهو الحاكم ﷻ، نذهب للحج هل لزيارة بيت الله أم لإرضاء الله بزيارة بيت الله؟! نذهب لإرضاء الله ..... إذن الأحكام التشريعية - وخاصة العبادية – الغاية منها تنفيذ الأمر إرضاءاً للآمر، والعمل بالحكم رغبة في إرضاء الحاكم وهو الله ﷻ، ومن أسماءه ﷻ الحَكَم العدل اللطيف الخبير.

والله ﷻ حكيم لم يكلفنا بأمر شرعي إلا لحِكَم لا تعد ومنافع لا تحد، علمناها أو لم نعلمها، أهل الشريعة الغراء الأمناء عليها يسدون هذا الباب ويقولون: الأحكام الشرعية توقيفية، أى لا تجهد نفسك في البحث عن عللها وأسبابها وحكمتها، وإنما تطيع الله ﷻ لأنه أمر وهذا يكفيك، وهذا يكفى أهل البداية جميعاً، لكن أهل العناية إذا اجتهدوا في طاعة الله وتنفيذ أحكام الله، وقد طهروا القلوب من الذنوب والعيوب وكل الشواغل التي تشغل المرء عن حضرة علام الغيوب يتجلى عليها الفتاح فيفتح لصاحب القلب السليم باباً من التعرف - ليس التعرف على حضرته فهذا أمر ما زال أمامه بون بعيد وأمل طويل – لكنه يبدأ فيُعرفه بعض أحكام شرعه وحكمتها الجلية التي من أجلها فرضها الله ﷻ على البرية.

وهذا يكون إلهام من الله، يضعه الله ﷻ في قلب العبد إذا أخلص القصد إلى الله، وأحسن العمل بالشرع الشريف متأسياً ومقتفياً بحبيب الله ومصطفاه ﷺ، تلوح له في قلبه أقباس نورانية من حكمة التشريعات الإلهية، وهذا علم من علوم الإلهام يُسمى علم حكمة الاحكام.

هناك بعض المفكرين والفلاسفة يحاول أن يصل إلى حكمة الأحكام بفكره، وهذا أخطأ، ولو وصل إلى المنهج السليم القويم، لأن حكمة الأحكام إلهام من الحاكم ﷻ وليس نتيجة فكر، ولا نتيجة كد عقلي، ولا نتيجة دراسة أكاديمية، ولا نتيجة قراءة كتب، فمهما جد واجتهد الإنسان في قراءة الكتب سيطلع على خبرات السابقين ومنح العارفين السابقين أو المعاصرين، لكن أين منحه التي يختصه بها رب العالمين؟!

هذا لا يكون إلا من باب الإلهام: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة) ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ (٦٥الكهف).

أول علم يُفاض على المرء ليعلم علم اليقين أنه أخلص القصد في عمله وأحسن المتابعة للحبيب في فعله أن يُلهمه الله - خاصة به – بعض حِكَم العمل التشريعى الذي يقوم به لله ﷻ، ومن هنا فلا توجد حكمة أحكام واحدة توجد شريعة واحدة لأنها نزلت من عند الله ﷻ، لا يُغيرها ولا يبدلها أحد لأنها تنزيل من الواحد الأحد ﷻ، لكن حكمة الأحكام لا تظهر إلا لقلب سما وارتقى وتطهر من كل الشواغل الكونية، وأصبح جاهزاً للتلقى مباشرة بدون واسطة من رب البرية ﷻ:

﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) فعلم حكمة الأحكام هو أول علم، ثم بعده علم الحكمة: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٦٩البقرة) ثم علم الوهب: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ (١١٣النساء) ثم علم الفضل الإلهى الذي عمَّ به الأكوان ...... علوم لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، بدءها علم حكمة الأحكام.

فالذي بدأ الله ﷻ يواجهه في سيره وأعماله التي يتوجه بها إلى الله بحكمتها الباطنية التي على قدره توهب له من الله، هذا هو الذي بدأ يقيناً السير في الوصول إلى مرضاة الله جل في علاه، لأنه في مقام التعريف، أما قبل ذلك فهو في مقام التكليف، يؤدي العبادات لأنها تكليف كلفه به الله، قد يؤدي التكليف خوفاً من عقاب الله في جهنم أو في الدنيا، وقد يؤدي التكليف رغبة في ثواب، وقد يؤدي التكليف متابعة للنبى الأواب ﷺ، لكن الذي تلوح له هذه العلوم هو الذي يؤدي التكليف لله، لا يرجو من وراء هذا العمل إلا رضاه، يقول الله ﷻ في نفر من هؤلاء:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) لا يريدون إلا وجه الله ورضاء الله جل في علاه.

ومثل هؤلاء كلما كرر العبادة توالت عليه العلوم الإلهية بالإفادة، ليست حكمة واحدة تفاض عليه ويُغلق باب الفتح، لكن كلما أدى العبادة توالت عليه من العلوم الإلهية أسرار من حِكم هذه العبادة، قد يؤذن له بإفشاء بعضها للمحبين والمُخلصين، وقد لا يباح له أن يذيع ما حصَّله في ذلك من حِكم علية ومن علوم وهبية لأنها خصوصية خصه بها رب البرية ﷻ، قال في ذلك سيدنا أبو هريرة ﷺ:

{ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُوم }١٣٧

لا يستطيع أن يبثه ولو قطع هذا الحلقوم لأنها علوم خاصة لا يستطيع أن يتحملها العامة لأنها علوم الواهب ﷻ.

نأخذ مثال على ذلك من أحوال السابقين: الإمام الغزالى ﷺ جعل سفر الحج كالسفر للدار الآخرة، ينبغى لمن نوى هذه الفريضة أن يتذكر عند كل عمل حال من أحوال الآخرة، فإذا خلع ملابسه يتذكر خلع ملابسه لحظة الموت، وإذا لبس ملابس الإحرام يتذكر الكفن الذي يُلبسونه له بعد الموت، وإذا خرج من بيته مودعاً أهله تذكر وداعهم الأخير له عند خروجه من بيته إلى الله ﷻ لدفنه، فإذا ركب الطائرة أو السيارة يتذكر النعش الذي سيركبه إلى أن يصل إلى مثواه الأخير.

يتذكر في كل حال من الأحوال مشهد من مشاهد الآخرة، ويستطرد الإمام الغزالى ﷺ: فإذا لبى يتذكر نفخة الصور وخروجه من قبره ليلبي داعي يوم النشور فيقول: لبيك اللهم لبيك، بالله عليكم من عاش في هذه الأحوال وهو يؤدي هذه الأعمال كيف يكون قلبه؟! وكيف يكون حضوره؟! وكيف يكون أداؤه للعمل؟! وكيف يكون انشغاله بالخلق؟! مادام استحضر هذه المعاني هل يسمع من بجواره؟! هل ينشغل بمن حوله؟! لا ينشغل إلا بالله لأنه عاش في هذه المعاني العظيمة التي أفاضها عليه مولاه جل وعلا.

١٣٧ صحيح البخارى عن أبي هريرة ﷺ.

فإذا وقف بعرفات استحضر يوم الجمع، الخلق من جميع الجهات بجميع الأجناس بجميع الألوان بجميع اللغات يقفون في موقف واحد، لا يدرك واحد منهم تفاوت بينه وبين غيره في رتبة أو منزلة دنيوية، لا يبقى بينهم إلا التقى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣الحجرات) والتقوى لا يعلمها إلا من يقول للشيء كن فيكون، فيستحضر أنه في يوم القيامة.

ومن يستحضر أنه في يوم القيامة على عرفات كيف يكون حاله مع الله في الدعوات؟! وماذا يسأل الله ﷻ في هذه الأوقات والآنات؟! أيسأله شيئاً من الدنيا الدنية أو متعها الفانية الحقيرة؟! إنه لا يسأله إلا فضله العظيم وعفوه العميم وكرمه الذي لا يُحد، ويسأله ما ينفعه وما ينفع بنيه وأولاده في هذا الموقف العظيم: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء).

قال: فإذا وقف على عرفات وغابت الشمس فكأنما أُذن له بالإزدلاف أى القرب إلى الله ﷻ، فالمزدلفة هي الزلفى وهي القرب من الله ﷻ، فيذهب مسرعاً وكأنه متوجهاً للقاء ربه ﷻ، فتبرز في نفسه شهواته وحظوظه وأهواءه ومشاغله التي تشغله عن القرب من مولاه، وعن التقرب إلى حضرة الله جل في علاه، فيجمعها بجمع الجمار ويرميها عند رمى الأحجار، وكأنه يرمي وساوسه الخفية، ونوازع نفسه الإبليسية، ليكون طاهراً بالكلية، صالحاً للقاء رب البرية ﷻ.

ثم يذهب إليه لزيارته في بيته بعد أن ينحر نفسه الأمارة بالسوء عند نحره، ويحلق أخلاقه الذميمة عند حلق شعره، لأن الله يُحب من خَلقه من كان على خُلُقه، ولا يأذن بالدخول على حضرته إلا لمن كان على أخلاق عظمته ﷻ، فيطوف ببيت الله وقد أغناه بذاته مولاه، فيُبدل سيئاته بحسنات، ويُبدل كل حقائقه بحقائق إلهية، فيدخل في قول الله:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ }١٣٨

فيطوف بقلبه بعد فناء حسه وجسمه في شوقه إلى ربه، فيكون في مقام الخليل:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام)

١٣٨ صحيح البخاري وابن حبان وسنن البيهقي عن أبي هريرة ﷺ

فتلوح له أنوار عالم الملكوت، ويكون داخلاً في مقام خليل الله حساً بجسمه، وملكوتاً ومعنوياً بقلبه، فيشكر الله على عطاياه، فيُصلي ركعتين خلف مقام خليل الله شاكراً لله ﷻ على ما آتاه وعلى ما أعطاه، ثم يذهب بعد ذلك للصفاء في الصفا، ويتردد بينها وبين المروة ليخلع كل ما فيه من الجفا، وكل ما فيه من الخلاف، وكل ما فيه مما حذر منه مولاه جل في علاه، فيكون قد عمل بقول الله:

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١٩٦البقرة).

فهذا مشهد رجل من العارفين، وليس مشهداً ثابتاً كان يراه في كل حج يحج به إلى بيت رب العالمين، لكنه له في كل حج مشاهد عالية وأسرار راقية، ما دام القلب قد صفا والفتاح قد أزال منه الجفا، وفتح به باباً للتعرف والصفا، ويتأسى في كل أعماله بالحبيب المصطفى، فإن هناك علوماً لا تُعد ولا تُحد يوافيه بها مولاه ليعمل العمل في رحاب المقربين، أو في رحاب المتقين، أو في رحاب الأولياء والصالحين، أو في رحاب الأنبياء والمرسلين، على نهجهم وعلى سمتهم رضي الله عنهم أجمعين.

مثال آخر في الحج وهو الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: وكلٌ يستحضر على قدره بما شرح الله ﷻ به صدره، الإمام الغزالي رأى في الحج طريق إلى الآخرة، والإمام أبو العزائم رأى في الحج طريق إلى الله، فرأى الحج هو السير إلى حضرة الله جل في علاه، ونحن لا نفرق بين أحد من أولياءه، ولكن نذكر لكل منهم ما ذكره في كلامه، أما المضنون الذي استقر في صدورهم لا يعلمه إلا الله، أو ما أباحوه لأحبابهم، فقد قال الله ﷻ في معانى القرآن التي يفيضها على أهل العرفان: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ ﴾ مبينة وواضحة أين؟ ﴿ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (٤٩العنكبوت)

ليست في الكتب، كل ما خطَّه العلماء والعرفاء والحكماء فهذا لا يساوي خردلة أو ذرة رمل في صحراء واسعة بالنسبة لما أوتيه العارفون في قلوبهم وخصهم به الله ولم يؤذن لهم في الإباحة به، لأن هذه إكرامات الله لهم وعطاءات الله لهم حفزاً لهممهم وتنشيطاً لقلوبهم وأرواحهم وتبشيراً لهم بأن عناية الله معهم ومحيطة بهم، فيتذوقون هذه المعاني في غيبة المباني، ويشكرون الله ﷻ بالقرآن والمثاني، فيجدون كل العلوم الإلهية وطرائف الحكمة الربانية كشجرة فروعها تحمل هذه الثمار، وكل فرع منهم دان يقتطفون منه ما يشاءون: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤الزمر).

فالإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه قال: الحج هو السفر إلى الله ﷻ، وليس إلى بيت الله، الجسم يذهب إلى بيت الله والروح والقلب إلى حضرة الله جل في علاه، فإذا أحرم إحرامه الظاهر يُحرم باطناً عن كل حظوظه وهواه، وهذا يكون كما قال الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾

(١٢٢الأنعام) فيسمع النداء بأُذن قلبه، أو بأُذن روحه، والذى قال فيه الله: ﴿ وَأَذِّن فِى

ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾ (٢٧الحج) منهم من يسمع النداء من الجليل، ومنهم

من يسمع النداء على قدره من الخليل.

فإذا لبى النداء يلبيه سماعاً، الناس تقول: (لبيك اللهم لبيك) لكن ما الذي سمعوه؟ النداء القديم الذي ذُكر، لكن هؤلاء وهم أهل مقام الإحسان ليسوا على هذه الهيئة، ويقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ:

ألبّيه سماعاً حيـــن يدعـــو فأسمعـــه ألبـّـي بالشجـــون

أُذن الروح تسمع التلبية، كيف يتم هذا السماع؟ هذا أمر ليس له كلمات تصوغه، ولا عبارات تصفه، وإنما هو حال لمن تجمل بهذا الجمال، فيسمع ويلبي: (لبيك اللهم لبيك) ولبيك يعني إجابة لك بعد إجابة، يجيب مَن؟ الذي سمع نداه، فيسمع ويلبي النداء سماعاً.

ومن لا يستطع أن يصل إلى هذا المقام يُلبي الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، ولكل منهما إحرام، فمن أحرم عن حظه وهواه، وخرج من حوله وطوله، وأصبح لا حول ولا قوة له إلا بالله، فإنه يسمع من الله جل في علاه، ومن أحرم عن حظه وهواه ولكنه لم يستطع أن يتبرأ من حوله وطوله وقواه يسمع من خليل الله: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ ﴾ لم يقل (يأتين إلى البيت الحرام) ولكنه قال: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾.

فيُلبي سماعاً، ويمشي إلى الله، وعند سفره كلما قطع مسافة فارق جزءاً من الأرض ومن عالم الأماكن، وكذلك يسافر بقلبه إلى مولاه، كلما قطع نَفَساً فارق مقاماً من المقامات، ورُفع إلى مقام أعلى في القربات والدرجات، وفيها يقول ﷺ:

مِني أَسافر لا من كوني الداني … أفردت ربي لا حور وولدان
وجهت وجهيَّ لله العظيم ولي … شوق عظيم إلى فضل ورضوان

وجهه لله ﷻ، فيسافر بجسمه إلى البيت ويسافر بقلبه وروحه إلى رب البيت جل وعلا، سفر حسي يصحبه سفر معنوي، الجسم مع الخلق والقلب يتقلب في أنوار وأسماء حضرة الحق ﷻ، فإذا ذهب إلى عرفات عرف نفسه، وسُميت عرفات لأن الإنسان فيها يعرف نفسه، يعرف ذله، ويعرف مبدأه، ويعرف حقيقته، ويعرف مقامه، وإذا عرف ذلك أقبل بالكلية على الله للقول المأثور: (من عرف نفسه فقد عرف ربه).

فيعرف أن الفضل كله من الله، ويعرف أن الخير كله بيد الله، والفتح كله بيد الله، وما من شيء في الملك أو في الملكوت في الدنيا أو الآخرة إلا بأمر الله جل في علاه، ويعرف أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره موتاً ولا حياة ولا رزقاً ولا نشوراً، وأن الأمر كله مع من يقول للشيء كن فيكون، وهذه هي المعرفة الواجب أن يكون عليها أهل الله الصادقين من عباد الله، الذين لا يريدون من الله إلا الله جل في علاه.

فيدعوه الله ﷻ إلى زيارته لأنه عرف ربه، فيستحضر في مقام الزلفى كل الحجب التي حجبته عن ربه ﷻ، إن كانت حجب حسية أو معنوية أو باطنية، فأما الحجب الحسية: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ ﴾ ومعها السيارات الفاخرة والطائرات وما يشبهها ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ وما يشبهها ﴿ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (١٤آل عمران) فيستحضر جمار هذه الحجب ويرمى بها الشيطان حتى يُفرغ القلب والجنان لحضرة الرحمن ﷻ.

وقد قال سيدنا سليمان الداراني ﵁: (كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشئوم): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (٩المنافقون).

فيرمى جمار الإحتجاب التي تحجبه عن الكريم الوهاب ﷻ، ويذبح النفس الشهوانية التي تأمره بالمعاصي وتزينها له وتسولها له، ويذهب للقاء الله ﷻ والتعرض لفتحه في بيته، فيطوف بقلبه حول أسماء الله ﷻ وصفاته:

أطوف وحول مجـلاه طوافـي ورسم البيت يُمحى باليقيـن
وكيف ترى عيون الروح كوناً وتشهد حسن جنات وعين
ووجه مكون الأكوان حولي يُرى جهراً لكل فتى مكين

ألم يقل لنا الله جل في علاه: ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ (١١٥البقرة) لِمَ لا نراه؟

من الحجب التي على القلب وتحجبنا عن هذه الجمالات العلية، مع أنها أوضح من وضوح الشمس لذى عينين، لكن لا تراها العيون وإنما تراها القلوب التي خلت من العيوب، وتشهدها الأرواح التي أذن لها الكريم الفتاح ﷻ.

فيطوف حول البيت بجسمه، ويطوف حول الصفات والأسماء الإلهية بقلبه، ويطوف حول المجلى الذاتي بروحه، ويطوف حول الذات العلية بنفخة قدسه، فيشهد في هذا المقام، ويُشهده الله ﷻ في مقام الخليل جمال الله ﷻ الذي جهزه فيه، فيشهد فيه قلباً، والقلب بيت الجليل، والكعبة بيت الخليل، الكعبة بناها الخليل وفيها آثار الخليل، لكن القلب بناه الجليل وفيه أوصاف الجميل ﷻ، فيه المعاني العلية، وفيه الأنوار الربانية التي يستمد منها نور الإيمان، وفيه الهداية، وفيه العناية، وفيه الرعاية، وفيه الولاية، وفيه الخشوع، وفيه الحضور، وفيه ما فيه من أنوار خالقه وباريه.

فيرى أن قلبه بيتٌ جمَّله الله بما لا يستطيع أن يراه أحد من خلق الله إلا إذا كان من العباد الذين كاشفهم الله فرأوا مظاهر ابداع قدرة الله في هذا القلب التقي النقي، وفيه يقول سيدنا أبو اليزيد البسطامى رضي الله عنه وأرضاه: (العرش وما يحويه، والسموات السبع والأراضين وما فيهن وما بينهن كذرة رمل واسعة في زاوية واحدة من زوايا قلب المؤمن الذي صنعه الله ﷻ):

{ مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلا سَمَائِي ، وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ } ١٣٩

١٣٩ رواه الإمام أحمد في الزهد.

إذا كانت السماوات والأرض لم تسع صفات الرحمن، لكن القلب يسع جمال الرحمن، وابداع الحنان المنان ﷻ، السماوات والأرض والعرش والكرسي كلها يقول فيها الله: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ (١٥٦الأعراف) صفة واحدة من صفات الله وسعت كل كائنات الله الظاهرة والباطنة جل في علاه.

كل هذه العوالم قال فيها سيدي أبو اليزيد ﷺ: (لا تساوي زاوية واحدة من زوايا قلب المؤمن التي هي ثلاثمائة وستين زاوية) كلها لا تساوي زاوية واحدة من زوايا قلب الإنسان الذي صنعه وأبدعه وصوره الرحمن ﷻ.

فيشكر الله ﷻ على عطاياه، ويذهب بعد ذلك عارضاً الصفاء على مولاه، فيخلع كل ما يحجبه من الحجب المعنوية الباطنية، إن كان راغباً في الرؤيا، أو راغباً في الشهود، أو راغباً في الترك، أو راغباً حتي في ترك الترك، يجمع كل هذه الحجب ويرمي بها جنباً ويسعى من الصفاء للوفاء (للمروة) ليوفي بما عاهد عليه مولاه، وهنا يحصل القرب من القريب، والإتصال بمن ليس له حد ولا عد ولكن كما يقول الرجل القريب:

بلا كـــمٍ ولا كيــفٍ ولكــــن بأنـــوار تعالـــــت معنويــــة

إذن لابد للإنسان لكى يكون من أهل الإحسان والإيقان أن يجتهد في تصفية قلبه، وإتقان عمله بالتأسي بحبيبه، ليُكرمه الله ﷻ بأن يُجلي له في قلبه بعض حِكم عباداته، فتُفنيه عن حسه، وعن نفسه، وعن لبسه، وعن وهمه، وتجعله يعيش في أنوار وهو يؤدي هذه العبادات للعزيز الغفار ﷻ، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ في الصلاة:

أقيم صلاتي إن تجردت عن نفسي فأفنى بها عني بمشهده القدسي
لديها يواجهني بوجه مقدس أكون أنا عرش التنزل والكرسي
عليَّ يُصلي في صلاتي لأنني تشبهت بالمختار بالجسم والنفس

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾

(٤٣الأحزاب) ويبين ﷺ هذه الترقي فيقول عن هذه العبادات: (العبادات إما تكليف وإما تعريف وإما تشريف وإما تصريف وإما عبودة للواحد الأحد) فالذي يؤديها كالعامة فإنه يؤديها كتكليف كُلِّف به من الله، ويؤدي ما كلَّفه به مولاه.

والذي جاهد نفسه حتي أصلح قلبه وأصبح الفتاح قد فتح له باباً فيه لتلقى معانيه العلية وغيوبه الربانية، أصبح في مقام التعريف، لا يعمل شيئاً إلا ويظهر له حكمة الله في هذا العمل، لماذا جعل الله الصلوات خمس؟ لماذا كان هذا الصبح؟ ولماذا كان هذا اسمه الظهر؟ ولماذا هذه اسمها المغرب وهذه العشاء؟ ولماذا هذه ثلاث ركعات؟ ولماذا هذه أربع ركعات؟ ولماذا ركوع وسجود؟ ..... كل هذه الأسرار تظهر لأهل الأنوار بدون تعمل أو تفكر أو ادكار، وإنما فضلاً يُساق إليهم من بحار العزيز الغفار ﷻ، وهكذا في الصيام، وهكذا في الزكاة وهكذا في الحج، وهكذا في كل التشريعات الإلهية، حتي في المعاملات، حتي في الميراث، حتي في كل أبواب التشريعات الإلهية تلوح الحِكم الربانية لأهل القرب والعطية.

فإذا لم ينشغلوا بالحكمة عن الحاكم أشرف الله بقلوبهم على حضرة أسماءه وصفاته فيشاهدون الله نور السماوات والأرض، ويشاهدون أسماء الله في كون الله الظاهر والباطن، العالي والسافل بفضل الله وإكرام الله ﷻ، سر قول الله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت) فإذا رأى أسرار الأسماء والصفات رقوه إلى أسرار حضرة الذات، كمالات بعد كمالات في مقام التعريف، فإذا رقى وارتقى وسما وعلا وجاوز الكل أعطاه الله ﷻ سر قوله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤الزمر) وهو مقام التصريف، ولا يتصرف في هذا المقام إلا بما يريده الله ﷻ أدباً مع الله ﷻ في هذا المقام.

فإذا تأدب بهذا الأدب في هذا المقام جمَّله الله بجمال العبودة لذاته، وهذا أكمل الآداب في حضرة الكريم الوهاب، وعليه كان النبي الأواب ﷺ، وعليه خاصة الصالحين في أى زمان ومكان.

البعض يتساءل في نفسه ويقول: كيف نجد هذه الأحوال؟ وكيف تتوارد علينا المعاني ونحن نؤدي هذه الأعمال؟ نقول: ألا تعلم يا أخي أن كل عمل شرعي تعمله لله فيه نصيب يقوم به الجسم، والنصيب الأعظم والأكرم هو الذي يقوم به القلب، أنت تؤدي الصلاة، حركاتها الظاهرة بالجسم، من قيام وركوع وسجود وتلاوة وتسبيح وتشهد، لكن لو أديت هذه الأعمال ووصلت فيها إلى رتبة الكمال، والقلب ليس حاضر، هل الله ﷻ يكون إليك ناظر؟!!

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ } ١٤٠

ما الصلاة التي تتقبلها يا الله وتجعل أهلها من المُفلحين بنص كتاب الله؟ (المؤمنون)

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾

وأين يكون الخشوع؟ في القلب، فالخشوع والحضور والخشية والخوف والوجل والحب والرغبة والرهبة والتوكل والتفويض .... كل هذه المقامات الكريمة والأوصاف العظيمة ما محلها الجسم أم القلب؟ القلب، إذن لا بد لكى يُصلى الإنسان صلاة مقبولة عند الله ينال بها رضا الله لا بد أن تكون بالجسم والقلب، إذا كانت الصلاة بالجسم فقط ولو كانت قياماً لليل – وهو أعلى النوافل في الأجر والثواب في باب الصلاة – يقول فيها ﷺ: { رُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إلا السَّهَرُ } ١٤١

---
١٤٠ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ؓ
١٤١ سنن ابن ماجة والدارمي ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ؓ

إذن لا بد لتصحيح الصلاة من حضور القلب ومعانيه التي أشرنا إلى بعضها في مواجهة ذي الجلال والإكرام ﷻ، وهذا ما أشار إليه بعض العارفين في قول رب العالمين: ﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ ﴾ (٣١ الأعراف):

أهل الظاهر خصوا الزينة بما يراه الخلق من الطهارة والنظافة والجلباب والثوب والمكان والزمان، لو جهزنا المكان وجهزنا الجسم ولم نزين القلب بالزينة التي يحبها الله، هل يُقبل علينا الله؟!! لا، إذن لا بد من الزينة التي يُحبها الله، وهي زينتكم التي يحبها ربكم منكم، والتي منها الخشوع والحضور والخوف والخشية والوجل .... لا بد من حضور هذه الزينة، لأنها زينة القلب.

الزينة التي لا يحبها الله في القلب – وللأسف انتشرت في هذا الزمان – هي الكِبر، فأغلب الناس في هذا الزمان مرضى بمرض الكِبر، ولذلك يقول ما لي وما للخلق مادام في جيبي ما يكفيني، وفي بيتي ما أحتاج إليه، فلا حاجة لى حتى بالجيران، ولا يريد حتى أن يُلقي السلام، مع أن السلام لله، بحجة أنه ظن أنه استغنى عن الخلق بخشاش ومُتع هذه الحياة الفانية، وهذا مرض استشرى في هذا العصر مع قول الحبيب ﷺ: { لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } ١٤٢

١٤٢ صحيح مسلم وسنن الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة   من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

والذي يبغضه الله ﷻ إذا وُجد في القلب كالحقد والحسد والغل والحرص والطمع والشح والأثرة والأنانية ...... كيف يُصلي المرء بين يدى الله وهو بقلبه يحقد على هذا وهذا من خلق الله على عطايا الله التي أعطاها لهم وخصَّهم بها دون غيرهم؟! هذا يعترض على الله.

ألا قل لمن كان لي حاسداً   أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعلـه   لأنك لم ترضَ لي ما كتب

فالناس في غفلة لأنهم وقفوا عند المظاهر والظواهر، وتركوا الحقائق التي بها الإرتقاء عند خالق الخلائق ﷻ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣الحجرات) أين التقوى؟ أشار إليها النبي وقال وهو يُشير إلى قلبه ثَلاثَ مَرَّاتٍ:

{ التَّقْوَى هَاهُنَا }١٤٣

إذن الرُقي بالقلب وليس بالجسم، لو كان الرُقي بالجسم لكان الرُقي للطوال والأجسام الكبيرة، لكن الرُقي بالقلوب الكبيرة، التي فيها الرحمة والشفقة والعطف والحنان والحب والود كحال النبي العدنان ﷺ.

١٤٣ صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن البيهقي عن أبي هريرة ﷺ

إذن حتي يجد الإنسان لذة الصلاة، أو يذوق في الصلاة طعم المناجاة لحضرة الله، أو يتذوق حلاوة الإيمان في قلبه بين يدى مولاه، لا بد أن يُطهِّر القلب، فينزع كلَّ الذي ذكرناه ويخلعه ويملأه بما كان عليه رسول الله ﷺ من الشفقة والعطف والحنان والحب والود ...... فيرتقي في العلو درجات عند رفيع الدرجات ﷻ:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

الذي يريد أن يذهب لله لا بد أن يكون الجسم نظيف على شرع الله، ولا بد أن يكون معه القلب سليم كقلب حبيب الله ومصطفاه، وهنا يشعر بالمعاني الإيمانية العالية، ويترقى في هذه المشاهد الراقية، سيدنا إبراهيم لماذا رأى الملكوت ورأى أنوار الحى الذي لا يموت؟

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات)

لم يذكر الجسم لأن المهم هو القلب.

الجسم بالقلب يترقى إلى رتب والجسم من غير قلب كلحظات
نَفَسٌ بقلب سليم رفعة ورضا وألف عام بلا قلب كلحظات

لذلك اهتم الصالحون بالقلب، وصاحب القلب إذا صفَّاه ... ونقَّاه .. وبذكر الله ﷻ رقَّاه

... : تظهر فيه عين تُسمى عين الحياة، تُفتح له من حضرة الله ..هو الآن مفتوح على الخلق لأن العين تُوَّرد له مناظر، والأذن تُوَّرد له كلمات وعبارات، والأنف يُوَّرد له مشام، والعقل ُوَّرد له أفكار وخواطر، واللمس يُوَّرد له ما يمسه أو يلمسه فينشغل بما يرد عليه من هذه الحواس !

فإذا فُتحت في القلب عين تتلقى من الله فيا هَنَا الإنسان: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ (٦الإنسان) لم يقل (يشرب منها) ولكن قال: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ من المفترض أن العين نشرب منها، لكن هذه العين يشربون بها من حضرة الله، من المعاني العلية الواردة من سماء فضل الله، كيف تأتي هذه العين؟ هل هناك عين تستطيع أن تصنعها في صخر أو جبل بدون ديناميت؟ لا، كذلك فإن عين القلب تحتاج إلى ديناميت: ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (٦الإنسان) والديناميت الذي يُفجرها يُسمى ديناميت المحبة لسيد الأحبة ﷺ، .... وهو الوحيد الذي يستطيع أن يفتح عين القلب.

وعين القلب إذا صفت ووفت فإن الإنسان يصبح منظور بعين الله، ومرعي برعاية حبيبه ومصطفاه، فتتوارد عليه الإلهامات الربانية، والخواطر القدسية، والحِكم العلية، مثل هذا عندما يصلي، كيف تكون صلاته؟ عندما يقرأ تأتيه معانى للكلمات التي يقرأ فيها لكتاب الله، يقرأ الفاتحة في كل ركعة، وفي كل قراءة للفاتحة تأتي إليه معاني مفاتحة من الفتاح العليم ﷻ، لو جُمعت هذه المعاني لما وسعتها الأرض، يقول فيها سيدنا الإمام علىّ ﷺ وكرَّم الله وجهه:

(لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم سبعين جملاً)

يُحَملون سبعين جملاً من المعاني التي ألهمه بها الله ﷻ في تفسير فاتحة الكتاب.

لأنني لو قرأت الفاتحة في الركعة الأولى وكما هي في الركعة الثانية، وكما هي في الظهر، وكما هي في العصر، وكما هي بالأمس، وكما هي اليوم، فكانت تكفي واحدة، لو كان لك ستون ألف صورة كلهم مثل بعض، سنأخذ منهم صورة واحدة، كذلك لو صليت ألف صلاة كلهم مثل بعض فتكفي واحدة.

إذن لا بد في كل صلاة أن أزيد قرباً إلى حضرة الله، ولا بد أن يكون لي في كل ركعة من ركعات الصلاة فتح جديد من عند حضرة الله جل في علاه، ويكون لي نور جديد من حضرة الله جل في علاه، وإلا سأظل كما أنا، كمن يفعل خطوات منتظمة وهو واقف في مكانه، وكما قال بعض الصالحين ليُقرب هذا الأمر للمريدين: (لو وضعنا غطاءاً على عين الحيوان الذي يدير الساقية،

وتركناه لمدة يوم، وسألناه قبل أن نرفع الغطاء كم قطعت من الأرض، سيقول: خمسون كيلو أو مائة كيلو، فإذا رُفع الغطاء يجد نفسه مكانه) وكذلك نفس الحال:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق)

عندما يخرج من الدنيا ويُكشف عنه الغطاء يجد نفسه لم يمشى أى خطوة.

إذن لا بد في كل صلاة أن يكون لي مزيد قرب من حضرة الله، ولي زيادة فتح من الفتاح جل في علاه، كيف؟ لا بد من تجهيز القلب، ويكون مع الصلاة، ونفس الأمر يكون مع الصيام، ومع الزكاة، ومع الحج.

فهناك إنسان يُخرج الصدقة ويستحضر بقلبه أنه يضعها في يد الله، تصديقاً لحديث رسول الله:

{ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ تَقَبَّلَهَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَخَذَهَا بِيَمِينِهِ } ١٤٤

وآخر يُخرج الصدقة – وقد تكون أكبر منها في القدر المادي – وتكون على سبيل الفخر والمباهاة، هل يتساوى هذا مع ذاك؟!

لا!! لأن العبرة هنا بالمعاني التي تحضر في القلب عند أداء هذه الزكاة أو هذه الصدقة التي أرجو بها وجه الله جل في علاه.

---

١٤٤ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

فهناك من يؤدي الصدقة يريد أن يُطفئ الله بها نار خطاياه، وهناك من يُخرج الصدقة يريد أن يعمل بقول الله: ﴿ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ (١٢المجادلة)!

هذا مشهد وهذا مشهد!

وإذا كان القلب جامداً وخامداً فأين هذه المشاهد؟!! لا يوجد.. ولكن قد تأتي معاني فكرية، أو معاني عقلية .. وهذه لا شأن لها بالمواهب والعطية من رب البرية ﷻ.

لذلك حتى يترقى الإنسان في عالم المعاني لا بد أولاً:

Ø أن يُطهِّر القلب، ويُزيل كل ما لا يُرضي الله فيه.

Ø Ø ويُزينه بالجمال الذي يُحبه الله، وكان عليه حبيب الله ومصطفاه من الخشية والتواضع وغير ذلك مما أشرنا إليه.

الوصل الثانى والعشرون: رموز العارفين[145]

الخمر والكأس والعشق وكشف الحجاب ... هذه كلها رموز لا تُفك إلا لمن فتحوا له الباب وأذاقوه جميل الخطاب وشاهد هذا الجناب، وفى مولاه وحبيبه ﷺ بالكلية ذاب.

الجُهَّال يعترضون على الصالحين في هذه الأحوال، يظنون أنها خمرة حسية أو كاسات محسوسة دنيوية، ولكن المعتاد في أى زمان ومكان أن أى طائفة دائماً لهم لغة مع غيرهم، ولهم إشارات مع إخوانهم وأحبابهم، أليس هذا موجود في كل مكان؟ الصُنَّاع في أى مجال من المجالات لهم إشارات بينهم وغيرهم لا يعرفها، وهى ألفاظ، إما أن تُسميها شفرات، أو تسميها رموز، أو تسميها تغطية على الحقائق حتى لا يراها ولا يسمعها ولا يطلع عليها إلا أهلها.

وهذا الأمر موجود في الجيش، وموجود في الداخلية، وموجود في الصناعات، وموجود في المصانع، وموجود حتى في الكمبيوتر، أليس له لغة خاصة به؟! وحتى برامج الكمبيوتر لها لغة خاصة بها.

فالصالحون لأجل المعاني التي فكّوها، والعلوم التي عرفوها لا تهضمها العقول، ولا يستطيعوا أن يُثبتونها في النقول ..

١٤٥ نجع قباح ـ العديسات ـ الخميس ٢٠١٢/٣/٢٩م موافق ٦ من جماد الأول ١٤٣٣ هـ

فماذا يفعلون؟

ألغزوا ورمزوا إلى هذه المعاني.

من يريد أن يفتح له هذا الكنز فلا بد أن يفكّ هذا الرمز، فكل رمز وراءه كنز من الحقائق، وكنز من العلوم، وكنز من الأنوار، وكنز من الأسرار، وكنز من الفتوحات، وكنز من الفيوضات، ولا يعلمه إلا أهله.

رمز الخمر عند أهل الوصل

فالخمر سُمي خمراً في اللغة لأنه يخامر العقل، أى يُغطي على العقل، وهم قد رمزوا إلى الحقائق التي تذهب مباشرة إلى القلب والفؤاد ولا يستطيع تقبلها عقل، لأن العقل يحتاج إلى أشياء محسوسة مثل هذه الملموسة، أما الحقائق الغيبية فكيف يعقلها، حتى لو نبقى في الدائرة الأولى ـ دائرتنا نحن وعقلنا نحن ـ كيف تُثبت له بالأدلة والبراهين أنه يوجد ملائكة؟ يريد أن يراهم ويُسلم عليهم ويجالسهم، فلا يقتنع، يريد أن تُثبت له بالبراهين أن هناك حياة آخرة، وأن هناك جنة وهناك نار، فهل يوجد أحد يستطيع أن يُثبت ذلك للعقل؟ لا، ولذلك قال الله في المؤمنين:

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ (٣البقرة)

فهي كلها حقائق غيبية، والعقل لا يعقل الحقائق الغيبية.

كشف الحجاب

الصالحون يريدون أن يُؤهلوا الطالبين والسالكين لمقامات الفتح عند رب العالمين، فمتى يحدث الفتح؟ إذا كُشف الحجاب، وما الحجاب ؟ نحن نسمع كثيرٌ من الناس يقولون: فلان مكشوف عنه الحجاب، والناس يضعونها في غير موضعها، وكلمة مكشوف عنه الحجاب عند الناس يعني أنني أعرف ماذا يُخبيء في البيت، يعلم ما بداخلي أو ماحدث مني بالأمس، فهذا ليس بكشف الحجاب، لكن كما قال الإمام أبو العزائم: (كشف الحجاب عن الجمال الباقي) وليس عما في النفس، ولا عما في البيت، فما للصالحين وما لهذا؟! فهم غير مشغولين بذلك، ولكنهم مشغولون بالله ﷻ.

سيدنا سليمان الحكيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام أعطانا النموذج القوي للصالحين، طلب من أعوانه أن يأتوه بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس، أما هو فشغله بالله أنساه ما سواه، .. وهذا يحتاج إلى إنسان مُتيقظ قليلاً !! ..

ولايزال متنبهاً في الدنيا قليلاً، ... فقال (سليمان): ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾

(٣٨النمل) . وماذا تفعل أنت؟ أنا غير مشغول بهذه الصغائر!، فهي تحتاج إلى الصغار، وأما الكبار فلا شغل لهم إلا بالنظر إلى جمال العزيز الغفار ﷻ. فما الحجاب الذي حجب عن حضرة الله؟ أنت!. .. أنت في الشهود رأيت وسمعت وعاينت:

من ألست لم ننسَ ما قد شهدنا   من جمال الجميل إذ خاطبنا

كيف ننسى ما شهدنا وما الذي حجبنا؟ ..الجسم .. من لحظة دخول الروح وإشراقها على الجسم، وظهر الجسم في عالم الدنيا حصل اللبس وحصل الإلتباس وحصل الحجاب للأحباب: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ (١٥ق) إسمه الخلق الجديد، أما الروح فإسمها الخلق الأول: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ ﴾ (١٥ق) فهذا الذي أتى بالحجاب!!، ولذلك شيخنا أبو العزائم ﷺ يقول في ذلك: (أنت الحجاب، فامحَ أنت .. يُرفعْ لك النقاب، وترقَ إلى معيَّـة الكريم الوهـاب).

ما الذي حجبك؟ أنت! ...!!

رأيت نفسك!، وأوجدت لنفسك مكانة!، وعملت لنفسك إعتباراً!، وتريد أن تصنع لنفسك شخصية!، وتريد أن يكون لك اهتمام، وتريد أن يكون لك زمام، وتريد أن يكون لك بين الناس تواجد وتعظيم واحترام، أو تريد أن تكون شيخاً بين الأنام، أو تريد أن يكون لك كيان بين الأقوام!!. هذا كله من النفس التي معك:

انــف أنـا واثبــت أنـــا   تلقَ المسرّة والهنـــا
تشهـد جمـــالاً ظاهـراً   بالحُسـن يـا مَـــن أمَّنــــا

(أمَّنا) يعني قصدنا في الصلاة، اخرج من أنانيتك ومت في غرام الحبيب، حتى ينادي عليك المنادي فلا تسمعه، وتسمع الحبيب فيك وهو يُجيب، لأنك قد مِتّ، والذي مايزال متنبهاً ماذا يرى؟ لا يرى إلا الدنيا ومحسوساتها، تريد أن ترجع لترى ارجع إلى الخلق الأول والذى كان عليه المُعوّل، وهذا يحتاج إلى أن نشرب ونتناول الأقداح، ونذكر على حسب ما تتحمله أوعية الحاضرين من إلهام رب العالمين ﷻ مع علم اليقين أنه:
(أحب الصالحين ولست منهم).

الشراب الأول: خمر العلم والبيان

لا بد في البداية من خمر العلم وخمر البيان، ويكون هذا من رجل آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً، لأنه لايوجد بيانا يُسكر الإنسان، أى يجعله يغيب عن الشعور والأحاسيس والوجدان، وينشغل بالكلية عن طلبات هذا الكيان، إلا العلم النازل من عند حضرة الرحمن ﷻ، الإمام أبو العزائم ﷺ وقف عند البحر المتوسط ـ وكان إسمه بحر الروم، وهؤلاء القوم وصلوا إلى مقام يكلم فيه كل الحقائق ـ وقال:

قليلك قد يُطهّر كل جسمي   يُطهّر بحر رومٍ كل رسمي
وقلبـــي لا تُطهـــره بحــــارٌ   يُطهّره العلى بنيل علمــــي

بماذا يُطهّره؟ بالعلم، وما هذا العلم ؟ العلم القرآني الرباني النازل من فضل الله، أرضنا هذه هل ينفع أن نسقيها من بِركة ماؤها راكد ولا يأتيها ماء جاري؟!

لن ينمو الزرع، وهذا ما قاله الإمام أبو العزائم ﷺ: (كما أن كل ماءٍ لا ينزل من السماء لا ينفع، فكذلك كل علمٍ لا ينزل من سماء الفضل الإلهي لا يرفع) فما الذي يجعل الإنسان يغيب عن هذا الكيان لكى يتمتع بالحضور والقرب والتدان؟

يمحو الكيان بعاليه وسافله   علمٌ من الله بالإلهام في الأصل

وهذا هو العلم الإلهي، ولذلك سيدنا موسى لما أراد أن يرى قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ (١٤٣الأعراف) فقال له: اذهب أولاً إلى هذا الرجل، واسمع منه العلم، وخذ خمرة البيان، وهي العلوم الخاصة التي تُتلقّى من العارفين من أفواههم إلى جهة القلب والفؤاد، والتي يسمونها علوم الخلوة.

الإمام الجنيد ﷺ كان يحضُر مجلسه سبعة أو ثمانية أو أحد عشر على الأكثر، فيُغلق الباب بالمفتاح ويضع المفتاح تحت ركبته حتى لا يدخل عليهم أحدٌ ويسمع هذا البيان، ويبدأ يبُثّ الحقائق بثاً:

عني خذوا ما أستطيع أبثّه   وتجملوا بالحـــال لا بكلامـــي

﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّى وَحُزۡنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٨٦يوسف) والبثّ هو من القلوب إلى القلوب، وليس من اللسان إلى الآذان، وهذا بيانٌ للكل بما فيهم أهل الحرمان، لكن هؤلاء:

أمن القلوب إلى القلوب شرابي   ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطابي
ومن اللطيفة للطيفة نظرتي   تُعطى لمطلوبٍ من الوهـــاب

وأين الشريعة ؟ في المسجد وفى السوق وفى كل مكان، لكن المشكلة الكبيرة هي أن المحطة الأولي والتى فيها التصفية، وهي محطة التزكية، يقول: لي وقت طويل في الطريق ولم يتغير في شيئاً!! هنا لا بد وأن تتيقظ، والعزم يزيد، ويكون أشدّ من الحديد، ولا تتحوّل ولا تبيد:

إذا الجبــال تحولت عن أرضها   عن حبنــا في الله لا نتحول
وحى السـماء مُنزّلٌ ببيوتنـــا   وحقائق الآيـــات عنا تُنقل
وإذا تجلـــى بالجمــال حبيبنـــا   في الأولياء فلنا الطراز الأول

أنت تحتاج أن تعيش بوجدانك إلى أن تنسى كيانك، حتى تكون كمن كانوا عند رسول الله، رجل منهم قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ } ١٤٦

١٤٦ صحيح مسلم وسنن الترمذي وابن ماجة عن حنظلة بن الربيع رضي الله عنه

ما سر ذلك؟ خمرة البيان التي سمعها من النبي العدنان ﷺ،وهذا ما يحصل لمن يعبر، وماذا يأتى بعد ذلك؟ العقبة:

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ (١١-١٣البلد)

إذا فككت الرقبة من الشهوات والحظوظ والأهواء والآمال الكاذبة الفانية والدنيا وملذاتها وزخارفها وزهرتها ولم تُسلِّم رقبتك إلا لله؛ ... فقد أصبحت عبداً لله حُراً مما سواه.

الشراب الثاني: العلم الرباني

يبدأ بعد ذلك الشراب الثاني وهو العلم الرباني، ومن الذي يديره؟ العبد الرباني الذي أقامه الحبيب، وفتح له كنوز فضله، وجعل له أكبر النصيب، وأمره ألا يوزِّع ذلك إلا على المحبين الذين عندهم قابل نوراني يتحملون به هذا العلم الإلهي، ولا يتضررون ولا يشكُون، بعد ذلك يتناول هذا الكأس .. ليس بالعقل ولكن بالقلب، فمن يسمع كلام العارفين بالعقل يريد أن يزن كل كلمة، وهذا يستمر طوال حياته في الموازين! ولن يسير مع الله.

سيدنا موسى عندما أراد أن يزن، قال له: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾

(٦٧الكهف) وكيف تسمع إذن؟ بالقلب مباشرة، فتطهّر القلب مما فيه من حظٍ وهوىً وحقد وحسد وحرص وأمل، ومن كل شيءٍ غير الله، فيكون هذا هو الكأس الذي تتلقى به، وهذا هو الكأس الذي وصفه الله لنا في آية الدهر في سورة الدهر:

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ (٦الإنسان) ولم يقل يشرب منها، ولكن يشرب بها

من الصالحين، ومن أمير الأنبياء والمرسلين، ومن رب العالمين، وكما قال الله:

﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾ (٦الإنسان) أى يطهروها بالكلية .. وكيف يطهرونها؟ إن ما

فيها شديد كالجبال .. شديدة الصلابة، فلا يوجد شيءٌ يطهرها إلا ديناميت المحبة لسيد الأحبة ﷺ، تحتاج إلى محبة شديدة تشعل نار الغرام فتمحوا من القلب كل شيء سوى الملك العلام ﷻ:

وفي بحـر الوصول إليه دعني ولع نـور قلبـي بالتدانـي

ولذلك فعندما نرى أحوال الصادقين المحبين، نجد أن الناس يعترضون عليهم، وهم عنهم غائبين، غير موجودين هنا، فلا بد من ذلك: (من لم تكن بدايته محرقة، لم تكن نهايته مشرقة)

إذا رأيت مكان مملوء بالحشائش والحلفا وفيه حيات وعقارب وثعابين وتريد تطهيرها، فتوقد ناراً في كل الأركان لتخرج بسرعة من الأرض، والأرض هي القلب وهي أرض الله، فتخرج منها حيّات الهمّ، وعقارب الحسد، ويُخرج منها كل مايغضب الله ﷻ، فيطهره في الحال بنار المحبة: (نار المحبة لا تبق في قلب المحب لغير محبوبه حبة):

نار المحبة كم أذابت مهجتي	وأخو المحبة لا يميل لغيرهـــا
يا لائمين محمداً رفقـــــاً به	فهو الذي ذاق الجحيم وحرهـا

يسألون أحد الصالحين: هل تُطفئ نار الآخرة؟ ولو أطفئت فكيف يوقدها الله ﷻ؟ فقال: (يُسلط عليها شرارة نار من نار محبة قلوب أولياءه) إذا كانت النار التي ستحرق الحطب والخشب لا بد وأن تكون أشد، فلا بد وأن تكون النار التي ستحرق الأغيار شديدة، لأنها أغيار تصنع حجاب على القلب تمنعه من مشاهدة الأنوار، ومن القرب من النبي المختار، ومن سلوك طريق الأخيار، ومن مشاهدة الحق ﷻ بصفاته وبتجلياته كوضح النهار في كل الأقطار، وهى نار المحبة.

ما الذي يؤجج نار المحبة؟ القرب من الصالحين، وملازمة الصادقين، وعدم السماح للنفس بالاعتذار عن رفقتهم، والتهاون في مجالسهم وصحبتهم، لأن من يتأخر يؤخر نفسه، .. فأنت تؤخِّر نفسك، وهم لا يريدون شيئاً منك.

أما الإنسان الذي يشرب رحيق المعارف الإلهية، وخمر العلوم القرآنية، فيسكر عن الدنيا الدنية، ويكون مثل من عرف حقيقتها فيقول: (إنها مثل الحية مسّها ناعم وسُمّها قاتل) ما الذي في يدك يا موسى؟ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ﴾ (١٨طه)

أى يعتمد عليها وهي الأسباب، قال له: ﴿ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ (١٩طه) ألقها حتى تعتمد

على مسبب الأسباب: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ (٢٠طه) فلكى يرتفع لا

يرى إلا مُسبب الأسباب وهو فاعل الأسباب، وقد قال فيه أبو العزائم ﷺ:

من يشهد الغير فعال فمُنقطعٌ		لأنه مشركٌ قد مال للسُفل

وقال أيضاً:

عني إسمعوا ما تعقلون من الكلام		فالعلم بالرحمن من صافي المدام
والعلم بالله العلي غوامضٌ		لا يُفقهن إلا لصبٍ في إصطلام
خذ ماصفا لك من إشارة عارفٍ		فالعارفون كلامهم يشفى السقام

والشيخ أبو اليزيد البسطامى ﷺ وأرضاه يقول: (الذي يقبل علوم القوم ولا يعترض عليها فهو ولىٌ لله ﷻ) لأنه قابل للحقائق ولم يعترض عليها، ولأنه سمعها على الفور بالقلب وليس بالعقل، فالعقل للأكوان، والقلب لغيب الرحمن ﷻ، فكيف تسمع الغيب بالعقل؟! فهو ليس ميزانه، هل يوجد أحدٌ يزن الذهب بميزان القطن؟!!.

العقل ميزان للأكوان، أما القلب فيتلقى عن حضرة الرحمن ﷻ .. مع ملاحظة أن العارفين والمربين والعلماء الروحانيين لايخرجون عن شرع الله ﷻ طرفة عين ولا أقلّ .. لربما يقول قائل أننا نقول: اتركوا العقل واسمعوا بالقلب، يعني إن حدث أى شيء مخالف للشرع نتركه؟! لا، لأن من يظهر منه شيئاً يخالف الشرع فيكون غير سائر على المنهج القويم الذي أتى به الرءوف الرحيم ﷺ، فمنهج سيدنا رسول الله لا يخالف شرع الله طرفة عين ولا أقل.

إذا تأهل القلب للعلوم الوهبية، وانشغل بالله بالكلية، وتطهرت أرجاء القلب الظاهرة والخفية، فتبدأ تحلّ فيه الأنوار الباطنية، وتبدأ بعدها تظهر فيه الحقيقة المحمدية، فالحقيقة المحمدية شيء ورؤية النبي في المنام شيءٌ آخر، فمن رآه في الصورة البشرية فهي على قدره، ومع أنها بُشرى ولكنها على قدره، لكن الترقيات الإلهية تحتاج إلى الحقيقة المحمدية، لأنها لا تُوصف بالكلام ولا يستطيع أحدٌ أن يصفها للأنام، ولكن بابها هو أن يُكرم المرء فيجعله الحبيب ﷺ بفضله وكرمه مؤهلاً لهذا المقام.

الشراب الثالث: كاسات الأنوار

سقوني الراح في ليل التداني بكأس النور من بحر المعاني

وليل التداني هو الجسم وقد أصبح مؤهلاً للقرب والتداني، لأن من وصل لهذا المقام فليس عنده ليلٌ أو نهار، ولا شمسٌ ولا قمرٌ، ولا صبحٌ يلوح ولا مساءٌ عند العطية، لكن هذا الليل والذي كان يحجبه أصبح نهاراً،

وأصبح ليلاً للقرب يناوله الحبيب المختار ﷺ كاسات الأنوار، وهي كاسات من الحبيب المختار يتجلى له على قدره لمشاهده النبوية، فكلما يرى مشهداً يغيب عن الوجود العالي والداني بما يرى من الجمال العلي، وبما يشهد من جمال الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه.

أهى المدامـــة هيجــت أشواقـي كلا ولكن حُسن وجه الساقي

فهذه هي الخمرة التي يناولها رسول الله ﷺ، إذا كن من رأين بعض جمال رسول الله مشرقاً في كيان يوسف نبى الله لم يستطعن أن يسيطرن على أعضائهن وقطعن أيديهن بالسكاكين: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (٣١يوسف) ... ! فكيف بمن رأى جمال رسول الله؟! هل تبقى فيه ذرة للدنيا الفانية؟! هل يبقى فيه ذرة لهوى أو لشهوة أو لحظ؟! فهذا أصبح على الفور يقول:

سقاني رسول الله كأساً مزمزماً وصيرني طه إمامـــاً مقدمـــاً
فقبَّلت لما أن وصلت يمينـــه وبشـرني بعـد الشهـود بكلمـا
فنقطة نــور منـــه تُحيى قلوبنـا فكيف إذا ما كنت بحراً وأنجماً

وهذا شراب الأبرار .... من النبي المختار ... للأخيار الأطهار ... لذين خُصُّوا بهذه الأسرار.

التجليات الإلهية

وبعد ذلك تجليات وهبية إلهية، وفيوضات ذاتية ربانية، وحقائق قدسية علوية، والذي يناولها رب البرية لمن تجمل ظاهراً وباطناً بالحقيقة المحمدية، معارج يعرج عليها المقربون حتى ينالوا ما قُدّر لهم من فضل الله ﷻ في كل وقت وحين.

هذه الحقائق وهذه الأسرار كيف يُظهرونها للمحرومين والمطرودين والسفليين والملهيين بالدنيا عن رب العالمين؟!!

هل سيتقبلوا هذه الحقائق؟! لا، إذا كان هناك مريض فهل أقدر أن أعطيه قطعة لحم سمينة؟ لا، لأن ذلك يزيد مرضه .. كذلك لو أن أحداً أيضاً مريض القلب، سقيم الفؤاد، ومليء بالنفاق، كيف أعطيه جوهرة من حكمة العارفين، أو لؤلؤة من كلام الصديقين؟! فهو مسكين لن يعرف أن يُبينها ولا يفك أصدافها ولا يفتح جوهرها، بل سيظنها كما قال سيدنا عيسى ؛: (لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فالحكمة أغلى من الجوهر، والذى لا يقبل الحكمة شرٌ من الخنزير).

ماذا تقول فيمن يذهب إلى معلف مواشيه ويضع لهم في مكان العلف جواهر ثمينة وذهب؟! ماذا يفعلون بها؟! هل سيأكلونها؟! ولكنها تحتاج أن تُعلق في الرقاب، ولا تؤكل في الفم، أو تُعلق في الأذن فحافظ عليها.

فكلام الحكماء، وكلام العرفاء، والعلم الذي يأتون به من سيد الرسل والأنبياء ... هذا علمٌ خاص لمخصوصين، وهؤلاء المطلوبين لله، ولهم درجات وهبية ولهم قرارات صادرة من الحضرة الإلهية، ولكنهم منتظرين حتى تتوفر لهم أركان الخصوصية فيمنحوه العطية.

إذا كان طوال حياته يلهو في الدنيا الدنية ولكنه من أهل الخصوصية، فيحفظوا له العطية حتى يخرج من الدار الدنية ثم يعطوها له.. من تأهل في دنياه يأخذ ما قدر له من عطاء الله وفضل الله من يد حبيب الله ومصطفاه.

ومن كانت الدنيا تشغله فعطاؤه محفوظ ولن يأخذه أحد، لأنه غير قادر على جهاد نفسه، فيحفظوا له العطايا حتى يخرج من هذه الدار، ويُكشف عنه الغطاء:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (١٤القصص)

ولذلك قال لنا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

اخفوا علومكمُ صوناً لها عمن   مالوا إلى الحظ من زورٍ وبهتان

أى إذا سمعتم هذه الحقائق فلا تنقلوها لغير مؤهل لقبولها، لأنك قد لا تستطيع أن تصوغها بالطريقة التي سمعتها بها، فتقع في المحظور.

وقد تجد من يشنعوا على الطريق بسببك، ويقولون : رجل من الطريق يقول كذا وكذا، لأنك لم تستقم فيك هذه الأشياء.

إذن فهناك .... علوم تُذيعها للناس وينتفع بها الناس، وعلومٌ خاصة بك أنت، وترفع بها نفسك، وتتجاوز بها لبسك وتنال بها أنسك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

......إنتهى الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه .....

ترجمة المؤلف فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت WWW.Fawzyabuzeid.com وهو أصبح أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وإضافة اللغة الإنجليزية .

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة مؤلفات الشيخ : سبعة وسبعون كتاباً في ست سلاسل

أولا : سلسلة من أعلام الصوفية : عدد ٥ كتب:

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط)
٢- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة.،
٣- - المربى الربانى السيد أحمد البدوى
٤- - شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى
٥- - الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : سلسلة الدين والحياة :عدد ٢١ كتاب:

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢. ٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم. ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب

١٠- فتاوى جامعة للشباب.١١- مفاتح الفرج (٨ط) (ترجم للأندونسية)١٢-تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم للإنجليزية) ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام (٢ط).١٤- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية).١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (يترجم للأندونيسية) ١٦- المؤمنات القانتات ١٧-فتاوى جامعة للنساء ١٨- قضايا الشباب المعاصر.١٩-زاد الحاج والمعتمر (٢ط)،(٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة.، (٧١) الصيام شريعة وحقيقة.، (٧٢) إكرام الله للأموات.، (٧٣) جامع الأذكار والأوراد.، (٧٤) الحب والجنس فى الإسلام.، (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة، (٧٦) فتاوى فورية ج١.

ثالثاً: سلسلة الخطب الإلهامية: عدد ٧ كتب:

مج١: المناسبات الدينية :٢ط طبعة مجزأة و طبعة مجلدواحد:

٢٠- ج١: المولد النبوى. ٢١- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر. ٢٤- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك. ٢٥- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء. ٢٦- الخطب الإلهامية :مج١:المناسبات الدينية (٣ ط) مجلد.

ثالثا :سلسلة الحقيقة المحمدية: عدد ٨ كتب:

٢٧- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٨- الرحمة المهداة. ٢٩- إشراقات الإسراء:ج١(٢ط)،
٣٠- إشراقات الإسراء ج٢، ٣١- الكمالات المحمدية (٢ط)، ٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ (٢ط) (ترجم للإنجليزية). ٣٣-السراج المنير، (٧٠) ثانى اثنين.

رابعا : سلسلة الطريق إلى الله: عدد١٢ كتاب:

٣٤- أذكار الأبرار. ٣٥- المجاهدة للصفاء و المشاهدة ٣٦- علامات التوفيق لأهل التحقيق. ٣٧- رسالة الصالحين.٣٨- مراقى الصالحين. ٣٩- طريق المحبوبين و أذواقهم. ٤٠- كيف تكون داعياً على بصيرة. ٤١- نيل التهانى بالورد القرآنى.٤٢- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق).، ٤٣- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم للأندونسية). ٤٤- نوافل المقربين.(٦٤)أحسن القول.

خامسا: سلسلة دراسات صوفية معاصرة: عدد ١٥ كتاب:

٤٥- الصوفية و الحياة المعاصرة. ٤٦- الصفاء والأصفياء.٤٧- أبواب القرب و منازل التقريب.،٤٨- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية). ٤٩- المنهج الصوفى والحياة العصرية.٥٠- الولاية والأولياء

٥١- موازين الصادقين. ٥٢- الفتح العرفانى.٥٣- النفس وصفها وتزكيتها.٥٤- سياحة العارفين.٥٥-منهاج الواصلين.(٦٥) نسمات القرب. (٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء. (٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية،(٧٧) شراب أهل الوصل.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور: عدد ٩ كتب:

٥٥- مختصر مفاتح الفرج (٤ط). ٥٦- أذكار الأبرار (٣ط).٥٧- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).(٢ط)،٥٨- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).٥٩- بشائر المؤمن عند الموت (٣ط) ٦٠ - أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام(٢ط)، ٦١- مختصر زاد الحاج والمعتمر. (٦٣) بشريات المؤمن في الآخرة. (٦٦) بشائر الفضل الإلهي.

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ شارع د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية للتراث	٢٥١٢٠٨٤٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

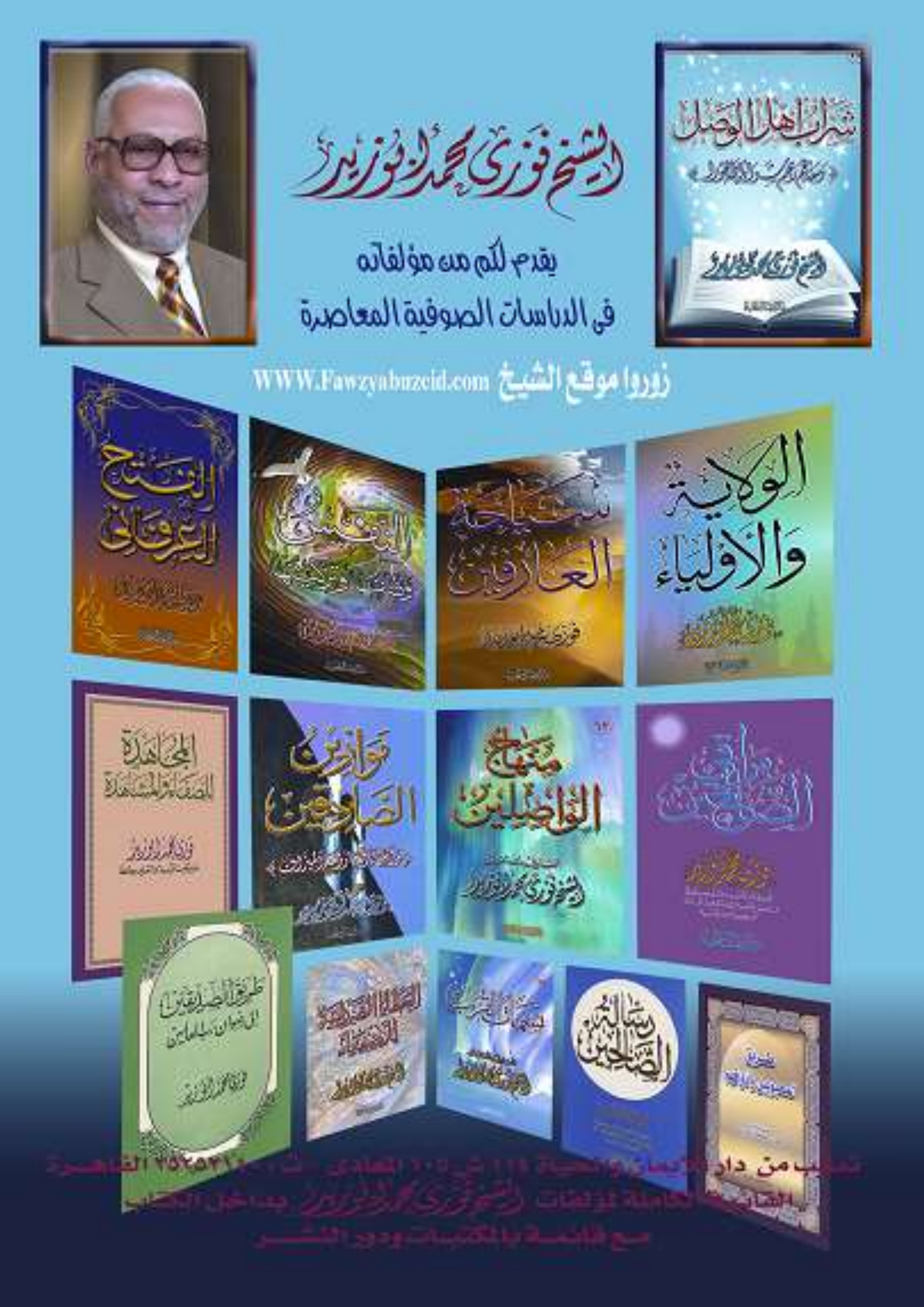
		الإســــكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
معرض الكتاب	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
		الأقــــــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩شارع سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء، أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى

كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس- ش الشهداء، حاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك بالقرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	أ.حسنى محمد عبد العاطى المنسى الكشك أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والقومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات.
ويمكن أيضاً الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على النت www.askzad.com ، ويمكن تحميل الكتب بشروط الموقع.

دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي - القاهرة،تليفون: ٢٥٢٥٢١٤٠-٠٠٢٠٢ ، فاكس: ٠٠٢٠٢-٢٥٢٦١٦١٨

الفهرست


الشيخ فوزي محمد أبو زيد
يقدم لكم من مؤلفاته
فى الدراسات الصوفية المعاصرة
زوروا موقع الشيخ WWW.Fawzyabuzeid.com
شراب أهل الوصل
الولاية والأولياء
الفتح العرفاني
المجاهدة للصفاء والمشاهدة
موازين الصادقين
منهاج الواصلين
رسالة الصالحين